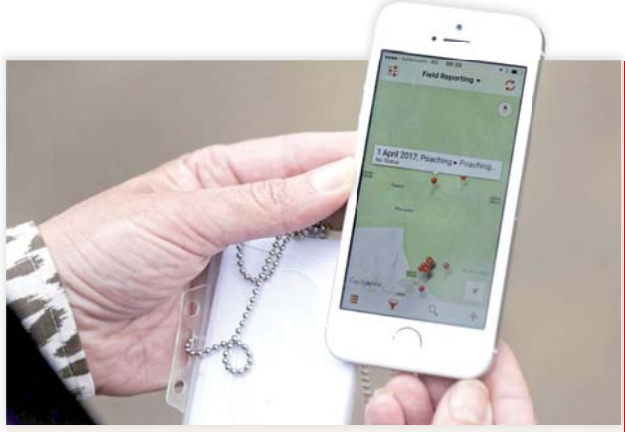

غوغل جاسوس أفضل من جيمس بوند

ص7

أكرم شهيب

سياسي في الحرب
مقاتل في السلم

ص8

غارة مسرحية على الفساد في مصر

ص15

العرب

www.alarab.co.uk
أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2018/09/30
20 محرم 1440
السنة 41 العدد 11124
Sunday 30/09/2018
41st Year, Issue 11124

أردوغان في ألمانيا: غاز عثماني أم متسلط عصري

● افتتاح دكتاتور شرقي جامعا بكولونيا يحمل رسالة مسيئة للإسلام والمسلمين

ميركل تمنح أردوغان الفرصة لتصدير مبادئه إلى ألمانيا

❑ **برلين** – فشل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في أن يجعل زيارته إلى ألمانيا فرصة لبناء علاقات ثنائية متينة يدخل من بوابتها إلى الاتحاد الأوروبي بتفهم أكبر لمطالب بلاده ووضعها الاقتصادي الصعب.

وبدا أن الرئيس التركي كان يخطط لأن يجعل من زيارته ولقاءاته مع المسؤولين الألمان ما يشبه الاستعراض الذي يقدمه في صورة الفاتح الإسلامي وليس رئيس دولة تعيش حالة من الانهيار الاقتصادي وتحتاج إلى دعم عاجل لوقف تدهور الليرة، فضلا عن كسر البرود مع برلين وإعادة النقاشات بأكثر حرارة بشأن الهجرة أو التأشيرات.

ووصفت أوساط تركية إشراف أردوغان على افتتاح جامع كبير بمدينة كولونيا وسط استعراض من الاتحاد التركي الإسلامي للشؤون الدينية "ديتيب"، الذي يثير مخاوف كبيرة في ألمانيا، بأنه تأكيد على أن أردوغان بحث عن تركيز الأضواء على مجده الشخصي، ولم يهتمّ للنتائج الاقتصادية ولا لصورة تركيا.

وتساءلت: كيف لرئيس دولة لديه أزمة اقتصادية خانقة أن يقدم نفسه "كفاتح إسلامي" بدل أن يقدم نفسه كقائد عصري يدرك أن الأزمات تحتاج إلى الانفتاح والوعي والمرونة بدل العيش على الماضي، وإثارة مخاوف الغربيين من الإسلام الذي يقوم على الاستعراض والتخويف والتعالي.

وكان الاتحاد التركي الإسلامي دعا إلى حضور ندوة احتفالية خارج المسجد بمناسبة زيارة أردوغان، وتوقع أن يحضرها 25 ألفا من أنصاره، لكن الإجراءات الأمنية المشددة لم تسمح بحضور هذا العدد.

ويتهم هذا الاتحاد بأنه على ارتباط بنظام أردوغان وهو يدير 900 مسجد تحت إشراف أئمة قادمين من تركيا، وأنه يخدم أجندة سياسية ولا يلعب دور هيئة دينية بالمرة. كما أن الهيئة التي تشرف عليه متهمة بالتجسس على معارضي الرئيس التركي.

وقال مراقبون أتراك إن أردوغان أحبط لأن الألمان عاملوه إما بصورة الغازي العثماني من القرن الخامس عشر وإما المتسلط الذي ينتمي إلى القرن العشرين ولا علاقة له بعالم اليوم، خاصة أن زيارته خيمت عليها أخبار الاعتقالات والقرارات القضائية غير القانونية والقمع المتزايد للمعارضة السياسية في بلاده.

يوشكا فيشر
أردوغان ضيع فرصة نادرة لتركيا والعالم الإسلامي

وأشار هؤلاء المراقبون إلى أن افتتاح الجامع الذي كان الهدف منه الإشادة بالانفتاح الألماني حمل رسالة مسيئة للإسلام لأنه يفتتح من قبل دكتاتور "شرقي" تغصّ سجونه بمئات الآلاف من المعتقلين، في محاكمات جماعية لا تراعي ضوابط الاتحاد الأوروبي الذي تكافح تركيا للانضمام إليه.

ولا شك أن حيرة الألمان من مطالبة أردوغان بمحاصرة نشاطات جماعة فتح الله غولن التي هي نفس نشاطات الجماعات الإسلامية التركية المحسوبة على نظامه، والتي تسيطر على مساجد ألمانيا وتلعب دورا سياسيا في خدمة نظامه، وهي نفس مآخذه على خصمه كولن.

وأعلن أردوغان أن هناك "المئات والآلاف من الإرهابيين" في ألمانيا، في إشارة إلى أنصار غولن، وذلك خلال كلمة ألقاها بحضور الرئيس الألماني فرانك فالتر شتاينماير.

وسيزيد الاستعراض الذي كان الاتحاد الحليف له ينوي إقامته حول الجامع (25 ألف مشارك) من تخويف الغربيين من إسلام يرتبط بالدكتاتورية والتشدد معا، ويعطي المبررات لمزيد التضييق على المسلمين.

وقدم معارضو المسجد وخصوصا من اليمين المتطرف عدة طعون ضد بنائه مبدين مخاوف من تحول كولونيا إلى مركز للإسلاميين على غرار ما حصل في لندن، غير أن الطعون فشلت في نهاية المطاف.

واحتشد المئات صباح السبت في كولونيا وراء لافتة ضخمة كتب عليها "أردوغان غير مرحب به". وقال توماس المشارك في التظاهرة وهو ألماني في الثانية والعشرين من عمره جاء للدفاع عن حرية الصحافة، "أتفهم أن يذهب إلى برلين. لكن مجيئه إلى كولونيا مستفز".

وتابع الفتى الذي كان يحمل مع آخرين لافتات كتب عليها أردوغان "دكتاتور وقاتل"، "نحن هنا لإظهار أن كولونيا لا تريده".

وقال قانصو وهو متظاهر آخر جاء من سويسرا للمشاركة في التجمع "أريد أن أعبر عن صوت الناس الذين لا يمكنهم النزول إلى الشارع في تركيا".

وقال وزير الخارجية الألماني السابق يوشكا فيشر إن أردوغان ضيع فرصة نادرة لتركيا والعالم الإسلامي بشكل عام، فبلاده تعاني حاليا من أزمة العملة وهي أزمة من صنع يده، حتى أن تركيا يمكن أن تواجه إمكانية الإفلاس على المستوى الوطني وبينما يقوم بشكل متزايد بتقسيم ولاءاته بين الشرق والغرب، فإنه يخاطر بزعزعة استقرار الشرق الأوسط بشكل أكبر.

وأضاف فيشر في مقال لموقع برويجكت سنديكيت "لقد اندلعت مجددا الصراعات العرقية الداخلية في تركيا، وخاصة مع الأكراد، بكامل قوتها وحتى على الرغم من أن التجارب السابقة تظهر أنه لا يمكن حلها عسكريا، وبفضل أردوغان أصبحت تركيا جزءا من المشكلة في المنطقة بدلا من الحل".

واشنطن تتبنى خطة لعزل الأسد

❑ **نيويورك** – أعلن جيم جيفري، ممثل الولايات المتحدة الخاص في سوريا، أن الولايات المتحدة ستتبنى مع حلفائها "استراتيجية عزلة" تشمل العقوبات إذا عرقل الرئيس السوري بشار الأسد العملية السياسية الرامية لإنهاء الحرب المستمرة منذ سبع سنوات.

وأضاف جيفري أن واشنطن ستعمل مع دول في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط لفرض عقوبات دولية مشددة إذا تقاعست حكومة الأسد عن التعاون بخصوص إعادة كتابة الدستور تمهيدا لإجراء انتخابات. وقال جيفري "إذا فعل النظام ذلك، نعتقد أن بوسعنا عندئذ ملاحقته بنفس الطريقة التي لاحقنا بها إيران قبل 2015، بعقوبات دولية مشددة"، مشيرا إلى عقوبات فرضت على طهران بسبب برنامجها النووي.

وأضاف "حتى إذا لم يقرها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، فسنفعل ذلك من خلال الاتحاد الأوروبي، سنفعله من خلال حلفائنا الآسيويين، ثم سيكون شغلنا الشاغل جعل الحياة أسوأ ما يمكن لهذا النظام المتداعي ونجعل الروس والإيرانيين الذين أحدثوا هذه الفوضى يهربون منها".

ويعتقد مراقبون أن إدارة الرئيس دونالد ترامب تحاول التأثير في مسار الحل السياسي بسوريا من بوابة العقوبات التي أثبتت جدواها في ملفات أخرى، وأنها بذلك تجبر روسيا على ألا تنفرد بالحل، وأن تعطي الأولوية لتنشيط العملية السياسية قبل الحديث عن إعادة الإعمار الذي يعني الاعتراف بالأمر الواقع.

وقام حلفاء الأسد، روسيا وإيران فضلا عن الصين، ببعض الاستثمارات في البلاد، لكنهم لا يستطيعون تحمل تكاليف إعادة الإعمار ويريدون تقاسم العبء مع دول أخرى. وقالت الدول الغربية إنها لن توافق على تمويل إعادة إعمار سوريا أو إسقاط العقوبات دون تسوية سياسية. وتجعل العقوبات الأميركية من الصعب على الشركات الأجنبية العمل هناك.

وجيفري مكلف من وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو بالإشراف على دور واشنطن في العملية السياسية في الوقت الذي يعمل فيه تحالف بقيادة الولايات المتحدة على القضاء على فلول داعش.

وتم الاتفاق على تشكيل لجنة دستورية في مؤتمر السلام السوري في منتجع سوتشي الروسي في يناير. والأمر متروك لدي ميستورا ليقرر من يختار. وقال دي ميستورا إنه سيختار نحو 50 شخصا، بينهم مؤيدون للحكومة والمعارضة ومستقلون.

ووافقت سوريا في البداية على الخطة، لكنها رفضتها لاحقا. ويأتي تقديمها قائمة أسماء إلى الأمم المتحدة في أعقاب اجتماع بين الأسد والرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

إيران تستخدم العراق ساحة لاختبار استراتيجية ترامب المتشددة

● تهديدات إيرانية وراء قرار واشنطن إغلاق قنصليتها في البصرة

❑ **واشنطن** – أغلقت الولايات المتحدة، الجمعة، قنصليتها في البصرة التي شهدت احتجاجات دامية في جنوب العراق منددة بـ"نيران غير مباشرة" نسبتها إلى قوات مدعومة من إيران ومحملة إياها المسؤولية عن أي أذى يلحق بالأميركيين، وسط توقعات بأن طهران ستسعى لإرباك استراتيجية الرئيس الأميركي دونالد ترامب عبر استهداف الوجود الأميركي بأيدي ميليشيات تابعة لها خاصة في العراق.

وطلب وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو من جميع الموظفين غير الضروريين مغادرة البصرة ونقل الخدمات القنصلية إلى السفارة في بغداد.

وشهدت البصرة في الأسابيع الماضية تظاهرات احتجاجية ضد الوضع المعيشي والخدمات الحكومية المتردية.

ويقول مراقبون عراقيون إن إيران تحاول أن توظف أجواء الغضب التي تشهدها البصرة على الأحزاب القريبة منها في خلق مناخ أمني خارج عن السيطرة ما يتيح للميليشيات تنفيذ أجندتها سواء باستهداف النشطاء العراقيين الذين يطالبونها بالخروج من بلادهم، أو باستهداف الوجود الأجنبي، مثلما جرى للقنصلية الأميركية بالمدينة.

ويشير مراقب سياسي عراقي في تصريح لـ"العرب" إلى أن استهداف القنصلية الأميركية يعكس أسلوبا إيرانيا معهودا، وهو توكيل الميليشيات الحليفة بتنفيذ عمليات محدودة، لإظهار مدى قدرة إيران على ردة الفعل دون أن تتورط بشكل مباشر.

وشدد المراقب على أن ما جرى في البصرة هو رسالة سياسية للولايات المتحدة مفادها أن إيران يمكن أن تستهدف الوجود الأميركي في العراق وغيره عبر أذرعها المنتشرة في المنطقة، معتبرا أنها رسالة محدودة التأثير، وربما تقود واشنطن إلى المزيد من التشدد في تنفيذ استراتيجية خنق إيران وإجبارها على الانسحاب من الدول التي تتمركز فيها حاليا مثل سوريا والعراق.

واعتبر أن طهران بهذه المناوشة المحدودة تحاول اختبار جدية ترامب في تنفيذ عقوبات مشددة عليها، وإصراره على بناء تحالف إقليمي ودولي للحدّ من تدخلها في المحيط الإقليمي، محذرا من أن النفوذ الإيراني في العراق أكبر مما يتوقع، وأن طهران قد تهدف إلى مقايضة واشنطن بقبول بقاء إيران في سوريا مقابل الحفاظ على مصالحها في العراق.

وقال بومبيو، الذي جعل التصدي للنفوذ الإيراني في المنطقة من أهم أولوياته، إن الحكومة الإيرانية وفيلق القدس التابع للحرس الثوري يهددان الموظفين الأميركيين والمنشآت الأميركية، ووجه أصابع الاتهام إلى قوات موالية لإيران في "إطلاق النار غير المباشر"، وهو ما يعني عادة صواريخ أو مدفعية، على القنصلية الأميركية.

وأضاف بومبيو "أبلغت حكومة إيران بأن الولايات المتحدة ستحمل طهران مسؤولية مباشرة عن أي أذى يلحق بالأميركيين أو بمنشآتنا الدبلوماسية في العراق أو في أي مكان آخر، سواء كان ذلك مرتكبا من جانب قوات إيرانية بشكل مباشر أو من جانب ميليشيات مرتبطة بها".

وأضاف "أوضحت أن على إيران أن تفهم بأن الولايات المتحدة سترد فورا وبشكل مناسب على أي هجوم" يستهدف منشآت أميركية.

وفي وقت سابق من هذا الشهر، سقطت ثلاث قذائف هاون على المنطقة الخضراء المحصنة في بغداد والتي تضم السفارة الأميركية، دون أن يؤدي ذلك إلى إصابات. ولم تعرف الجهة المسؤولة عن ذلك.

وفي رد فعل على القرار، أعربت وزارة الخارجية العراقية، السبت، عن أسفها للقرار الأميركي، مؤكدة أن "العراق ملتزم بحماية البعثات الدبلوماسية الأجنبية المقيمة على أراضيه".

فرصة سورية لن تتكرّر
خيرالله خيرالله
» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الاستحقاق الرئاسي في الجزائر تحت المنظار الأميركي

واشنطن تسارع لملء فراغ الأزمة الصامتة بين الجزائر وفرنسا

تحاول الولايات المتحدة الأميركية استثمار أزمة صامتة بين الجزائر وفرنسا على خلفية تصريحات وقرارات حول ملفات تاريخية مشتركة وأجواء مشحونة منذ هجوم المدير السابق للاستخبارات الفرنسية برنارد باجولي على السلطات الجزائرية، للحد من تأثير القرار الفرنسي على الجزائر ولتوسيع دائرة نفوذها في البلد الذي يستعد لسباق رئاسي عام 2019.

صابر بليدي

❑ **الجزائر** – تتطلع الأوساط السياسية في الجزائر إلى معرفة موقف القوى الإقليمية المؤثرة في القرار السياسي من الانتخابات الرئاسية المزمع إجراؤها في أبريل عام 2019، في ظل الغموض المحيط بالمرشح الذي ستتقدم به السلطة الجزائرية لخوض السباق الرئاسي القادم.

ومنذ أبريل الماضي يواجه عبدالعزيز بوتفليقة، الرئيس البالغ من العمر 81 عاما والممسك بزمام السلطة منذ 1999، مطالبات من معسكره بالترشح لولاية خامسة لكن الجنرال السابق الذي تردّت حالته الصحية منذ أصيب بجلطة دماغية في 2013، لم يكشف حتى اليوم عما إذا كان سيخوض الانتخابات المقبلة أم لا.

> واشنطن من القوى الإقليمية المؤثرة في القرار الجزائري، ولا يستبعد أن تسعى لتعزيز مواقع الموالين لها في السلطة، إذ تبحث عن نظام سياسي يحفظ مصالحها

وكشفت نائبة مدير مكتب التواصل الإعلامي الإقليمي في وزارة الخارجية الأميركية إريكا تشوسانو، عن لقاءات مرتقبة ستجريها سفارة الولايات المتحدة في الجزائر مع سياسيين وإعلاميين وفعاليات من المجتمع المدني لاستقراء الوضع في البلاد، في خطوة تعكس الاهتمام الأميركي بتفاصيل الاستحقاق الرئاسي المرتقب.

وتأتي إشادة إريكا تشوسانو، في ندوة صحافية عبر الهاتف بمقر السفارة الأميركية في الجزائر، حضرها صحافيون جزائريون، بما أسمته بـ"حجم ونوعية العلاقات الثنائية التي تربط البلدين على المستويين الحكومي والشعبي"، لتؤكد شروع واشنطن في جسّ نبض الطبقة السياسية والجمعيات الأهلية بهدف معرفة مسار العلاقات من جهة وحقيقة الوضع السياسي في البلد من جهة ثانية.

وتعد واشنطن من القوى الإقليمية المؤثرة في القرار الجزائري، ولا يستبعد أن تسعى لتعزيز مواقع موالين لها في السلطة، إذ تبحث دوما عن نظام سياسي يحفظ ويعزز مصالحها في المنطقة، في الوقت الذي تخوض فيه صراعا غير معلن مع باريس لسحب نفوذها التاريخي في العواصم الأفريقية الكبرى.

وتشكل الأزمة الصامتة بين الجزائر وفرنسا، التي تجلت في تصريحات وقرارات حول ملفات تاريخية مشتركة، فرصة سانحة لواشنطن لملء فراغ باريس، خاصة في ظل تنامي تيار داخل المؤسسات الرسمية الفرنسية، يدفع باتجاه سحب الدعم والتزكية اللذين حظيت بهما السلطة الجزائرية في العقدين الأخيرين من طرف باريس، لا سيما خلال انتخابات الرئاسة التي جرت عام 2014.

ويمثل الدبلوماسي ومسؤول الاستخبارات السابق بيرنار باجولي، قاطرة التيار الذي يعمل على إعادة ترتيب أوراق فرنسا في الجزائر، بمساعيه للترويج إلى سلطة جديدة تفتح معها باريس آفاقا جديدة، وهو ما تفصح عنه الانتقادات الجريئة التي ووجها باجولي للنظام الجزائري وللرئيس بوتفليقة تحديدا، على خلفية ما أسماه بـ"عرقلة فتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين، وتوظيف ورقة التاريخ في إثارة مشاعر الجزائريين".

وفي المقابل أطنبت المسؤولة الأميركية في مدح علاقات الطرفين، وقالت "أعتقد أن علاقة الولايات المتحدة بالجزائر مثمرة وعميقة، ليس فقط بالحكومة وإنما حتى على المستوى الشعبي"، ويتنافى هذا التصريح مع حقيقة الانزعاج الأميركي الصريح للإدارة الأميركية من امتناع الجزائر عن فتح أراضيها لإقامة قيادة الأفريكوم، والدراسة الجارية لإمكانية فرض عقوبات أميركية على الجزائر، إذا استمرت في سياسة التسليح من السوق الروسية.

وأشارت إريكا تشوسانو إلى أن "واشنطن تراقب التطورات عن كثب.. التطورات المتصلة بالانتخابات الرئاسية المنتظرة في شهر أبريل القادم، وأن السفارة الأميركية في الجزائر، ستفتح سلسلة لقاءات ونقاشات مع الطبقة السياسية ومع صحافيين وجمعيات لفهم الوضع والاطلاع على التفاصيل"، وهي خطوة صريحة تترجم الاهتمام الأميركي بالاستحقاق الرئاسي والرغبة في الاطمئنان على مصالحها، ولأملها في أن يبدي الرئيس الجديد انفتاحه على التوجه الأميركي في المنطقة."

واشنطن تستفيد من الخلافات الفرنسية الجزائرية

وأضافت أن "بلادها مستعدة للعمل مع الحكومة الجزائرية التي ستتمخض عن الانتخابات الرئاسية القادمة"، في حين لم تخض في مسألة الاستقطاب القائم حول الموالين والمناهضين لمشروع الولاية الرئاسية الخامسة للرئيس بوتفليقة.

ويمثل وزير الطاقة الأسبق شكيب خليل، المعروف بشبكة علاقاته القوية مع دوائر النفط الأميركية، المرشح الأنسب لحماية مصالح واشنطن بالجزائر، ويطرح اسم الرجل كواحد من الخيارات الممكنة في حال استقرار السلطة على خوض الاستحقاق الرئاسي بخليفة لبوتفليقة، خاصة وأن الرجل لم يتوان في الجهر بعدائه للنفوذ الفرنسي وبانتقاده للدوائر الموالية لباريس في السلطة الجزائرية.

ولفت نائب وزير الخارجية الأميركي جون سوليفان على هامش لقائه بوزير الخارجية عبدالقادر مساهل في واشنطن، بمناسبة الدورة الخامسة للحوار الأمني الثنائي الجزائري الأميركي، إلى "دعم الولايات المتحدة لإجراء انتخابات ديمقراطية في الجزائر تحترم فيها إرادة الشعب، وأن واشنطن تريد أن تترجم إرادة الشعب الجزائري على أرض الواقع، وذلك عبر انتخابات عادلة وحرة"، وهو الانشغال الذي يترجم مخاوف المعارضة السياسية من تلاعب السلطة بالاستحقاقات الانتخابية.

وأدرج محللون سياسيون الاهتمام الأميركي بالاستحقاق الرئاسي في الجزائر، والهجوم الذي يشنه بيرنار باجولي، عبر كتابه "الشمس لن تشرق من الشرق"، لسرد تجربته الدبلوماسية في المنطقة العربية والجزائر تحديدا، في خانة الضغوط التي تمارسها واشنطن وباريس، وفي إطار صراع المصالح والنفوذ بينهما. ففيما يمثل باجولي التيار الذي يهدد بسحب دعمه وتزكيته لنظام بوتفليقة، من أجل الحصول على تنازلات جديدة لخدمة مصالح بلاده، لعلمه المسبق بتقلص هامش المناورة الدولية للسلطة الجزائرية في تمرير التجديد لبوتفليقة، فتحت واشنطن نقاشا لفرض عقوبات على الجزائر، في حال استمرارها في سياسة التسليح من روسيا.

وصرّح المتحدث باسم السفارة الأميركية في الجزائر لسيانس كنوكس براون، لموقع "تي آس آ" الناطق بالفرنسية، بأن "البند 231 من قانون مكافحة أعداء الولايات المتحدة من خلال العقوبات، يفرض عقوبات إلزامية على أي شخص يقرر وزير الخارجية أنه علم منذ 2 أغسطس 2017، بمشاركته في صفقة كبيرة مع أي شخص تم تحديده كجزء من قطاع الدفاع أو الاستخبارات الروسية".

وبرّر العقوبات المذكورة بفرض بلاده، لـ"تكاليف على روسيا بسبب أنشطتها الخبيثة، بما في ذلك الهجوم الإلكتروني، والأنشطة غير المقبولة في أوكرانيا، وانتهاكات حقوق الإنسان"، وأن إدارة بلاده "أجرت سلسلة من المناقشات مع شركائها الجزائريين بخصوص قانون مكافحة أعداء واشنطن من خلال العقوبات، وأن مناقشتها مستمرة".

ويمكن للجزائر أن تتعرض لعدة عقوبات في حالة عدم الاستجابة للطلب الأميركي، إلى خمس عقوبات على الأقل من بين 12 عقوبة يقرها القانون، منها الاستبعاد من النظام المالي الأميركي، وحظر التداول بالدولار الأميركي، وفرض حظر على الاستيراد والتصدير مع واشنطن.

حزب الحركة الشعبية المغربي يتمسك بأمينه العام تفاديا لانشقاقه

محمد بن امحمد العلوي

❑ **الرباط** – يتنافس كل من محمد العنصر، الأمين العام لحزب الحركة الشعبية المنتهية ولايته، ومصطفى اسلالو عضو المكتب السياسي، على منصب الأمين العام للحزب المشارك في الحكومة المغربية.

ورجّحت التوقعات إعادة انتخاب محمد العنصر أمينا عاما للحزب لولاية تاسعة على التوالي، بعدما استجاب لطلب قيادات الحزب بالترشح لولاية أخرى.

ورغم أن العنصر كان قد أكد في فبراير الماضي عدم رغبته في الترشح لقيادة الحركة، لافتا إلى أنه لن يطالب بتغيير القوانين من أجل الظفر بولاية جديدة على رأس الحزب الذي يرأسه منذ 30 عاما، حيث قال آنذاك إن "الحركة تتمتع بطاقات كثيرة ويُمكن للحركيين أن يجدوا بسهولة بديلا عني"، إلا أنه عدل عن قراره مؤخرا وأعلن نيته إعادة الترشح لهذا المنصب تحت إلحاح العديد من الحركيين.

وأشارت حليمة العسالي، القيادية في الحركة الشعبية، في تصريحات صحافية إلى أن قيادات الحزب وقواعده أرغموا العنصر على العدول عن قراره وتجديد ترشحه لرئاسة الحزب وفسّرت ذلك بأن "العنصر يمثل رمز الإجماع الداخلي وشخصية توافقية، خاصة أن الحزب يريد أن يحافظ على تماسكه بما يحول دون خلق تيارات منقسمة مستقبلا وتفاديا لتصدعه، بعد أن هدد البعض بترك الحزب وتقديم استقالته من الحركة في حال رفض العنصر الترشح".

ورأى مراقبون أن ترشح العنصر لولاية تاسعة يناقض ما دعا إليه العاهل المغربي الملك محمد السادس في خطاب العرش الأخير عندما حث قيادات الأحزاب المغربية على ضخ دماء جديدة في هياكلها، بغية تطوير أدائها، وأنه يتعين استقطاب نخب جديدة، وتعبئة الشباب للانخراط في العمل السياسي. ولتبرير موقفه قال محمد العنصر إن "الملك دعا في خطابه إلى استقطاب النخب وإلى الانفتاح على الشباب، لكن إذا فهمنا أن الانفتاح على الشباب مرتبط فقط بمنصب الأمين العام، فأعتقد أننا أخطأنا فهم الخطاب الملكي".

وعلق المحلل السياسي إدريس الكنبوري، على إعادة انتخاب العنصر على رأس حزب الحركة الشعبية بأنه ليس فيه ما يثير المفاجأة إطلاقا، مضيفا أنه عندما يدعو ملك البلاد إلى تشبيب الأحزاب ورد الاعتبار للشباب والمسؤولية الوطنية، ثم نرى هذه السلوكيات لا نملك إلا أن نتأسف، محملا مسؤولية الأزمات الحزبية إلى النخب.

وانتقد العنصر في كلمته خلال افتتاح أشغال مؤتمر الحزب 13، تأخر الحكومة في إنجاز عدد من المشاريع، موضحا أننا في الحركة الشعبية، ولو أننا نشارك في الحكومة، فإننا نؤمن بأنه من واجبنا إثارة انتباه حلفائنا إلى الطابع الاستعجالي لبعض القضايا، لافتا إلى أن حزبه غير راض عن إصلاحات مهمة تتقاذفها أمواج نزاعات سياسوية ويدفع المواطنون ثمنها، داعيا إلى "استراتيجية تنموية حقيقية، وليس بالاكتفاء بحلول ترقيعية لإسكات بعض الاحتجاجات".

ويركز الحزب في أدبياته على الأرياف وسكانها، حيث يعتمد عليهم كقواعد للأصوات الانتخابية فضلا عن استخدام الهوية والثقافة الأمازيغية في سياق حديثه عن الدفاع عن البعد العميق للسكان المغاربة.

وقال الأمين العام للحزب، إن حزب الحركة الشعبية منشغل بالقضايا الداخلية ويسعى إلى إيجاد حلول للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

شخصية سياسية محل إجماع

فيما لفت سعيد أمسكان، القيادي ورئيس اللجنة التحضيرية لمؤتمر حزب الحركة الشعبية، إلى أن المغرب يمر بظرفية اقتصادية صعبة بالتزامن مع فقدان المواطنين ثقتهم في الأحزاب، وأن المغرب يقاوم من أجل التخلص من سموم الريع والفساد، داعيا إلى بناء مجتمع يوفر التوازن الجهوي والتنموي في كافة مناطق المملكة.

وانعقد المؤتمر الثالث عشر للحركة الشعبية تحت شعار "حركة من أجل الوطن" بالتزامن مع الذكرى الستين لتأسيسه، وشارك في المؤتمر بحسب ما ذكره المنظمون 2500 مؤتمر ومؤتمرة وفق معايير تضمن تمثيلية كل الأقاليم المغربية.

وحضر المؤتمر رئيس الحكومة المغربية سعدالدين العثماني إضافة إلى قيادات أخرى كعزيز أخنوش وزير الزراعة والصيد البحري والتنمية القروية. وأكد محمد العنصر أن المؤتمر الوطني الثالث عشر سيشكل محطة أساسية تستلزم من الأسرة الحركية إنجاحه، داعيا إلى ضرورة تجديد هياكل الحزب وتقوية حضوره لخوض دوره الطلائعي في تأطير المواطنين والدفاع عن مصالحهم وحاجياتهم.

واستعدادا للانتخابات المقبلة ألح الأمين العام للحركة الشعبية على التسريع في وضع هياكل جديدة للحزب والاستفادة من التقنيات الحديثة لتقوية حضور الحزب على مستوى شعبي وبهدف إعادة الثقة للمواطن في ممارسة الفعل السياسي والحزبي.

ويلفت مراقبون إلى أن الأمين العام لحزب الحركة الشعبية المرجح إعادة انتخابه استفاد من شخصيته غير الصدامية وبراغماتيته للبقاء على رأس الحزب وفي الساحة السياسية المغربية ومن شأن إعادة انتخاب العنصر أن يحافظ الحزب على تماسكه وأن يسترجع قوته، حيث سيجنبه أزمة داخلية قد تتسبب في انقسامه وتحوله إلى تيارات متناحرة.

ويعتقد المراقبون أن هدف قيادات الحزب هو الاستفادة من خبرة العنصر للفوز بمقاعد مهمّة في الانتخابات التشريعية المقبلة.

جنوب السودان لا يعترف بجبهة البوليساريو

❑ **الرباط** – تلقت جبهة البوليساريو ضربة موجعة برفض جنوب السودان الاعتراف بها. وأعلن وزير خارجية جنوب السودان نيال دينق نيال أن بلاده لا تعترف بوجود جبهة البوليساريو، وفق ما ذكرته وكالة المغرب الرسمية، وذلك عقب مباحثات أجراها وزير خارجية جنوب السودان مع نظيره المغربي ناصر بوريطة بمقر الأمم المتحدة في مدينة نيويورك.

وأوضح وزير خارجية جنوب السودان، مساء الجمعة، أن رئيس بلاده سلفاكير ميارديت، بعث برسالة في هذا الشأن إلى العاهل المغربي الملك محمد السادس. وقال إن سلفاكير أخبر العاهل المغربي في الرسالة بأن "جنوب السودان لم تربطه أبدا، ولا يقيم أي علاقة مع البوليساريو".

وتابع قائلا "نحترم بشكل كامل سيادة المملكة المغربية ووحدتها الترابية". وأضاف "نحن لا ندعم أي كيان أيا كانت تسميته، والذي يدّعي وجودا منفصلا عن المغرب". ولفت إلى أن بلاده تؤيد التوصل إلى حل لقضية الصحراء المغربية تحت رعاية الأمم المتحدة.

واعتبر وزير الخارجية المغربي أن "قرار جنوب السودان اليوم، بعدم الاعتراف بالجمهورية الوهمية له رمزية خاصة"، مبرزا أن المغرب "يجني ثمار الزيارة التاريخية" التي قام بها العاهل المغربي إلى جوبا في فبراير 2017.

وتشرف الأمم المتحدة على مفاوضات بين المغرب والبوليساريو، بحثا عن حل نهائي للنزاع حول الإقليم، منذ أن تم التوقيع بين الطرفين على اتفاق لوقف إطلاق النار.

المصالحة الفلسطينية تستعيد زخمها في القاهرة

قيادي بالجبهة الشعبية: ندعم إنجاز المصالحة أولا والكفاح المسلح خيارنا

ساهمت جهود مصر في إعادة زخم المصالحة الفلسطينية، إذ جاءت زيارة وفد من حركة حماس إلى القاهرة، السبت، في خضم زيارات مماثلة للفصائل تهدف إلى إنهاء الانقسام وفرض التهدئة. لكن مواقف الفرقاء تنقسم بشأن ما إذا كانت الأولوية لإنجاز المصالحة أم للتهدئة.

أحمد البصيلي

❑ **القاهرة** – بدأ وفد من حركة حماس الفلسطينية زيارة إلى القاهرة، السبت، يقوم خلالها بتسليم المسؤولين في مصر ردّ الحركة الرسمي بشأن ملف المصالحة والتهدئة، بعد فترة من المناوشات الحادة جرت خلال الأيام الماضية بين فتح وحماس، خرج فيها كل طرف عن النص السياسي، ما ضاعف من مهمة الوساطة المصرية لتقريب المسافات بين الطرفين.

وتأتي زيارة وفد حماس، برئاسة صالح العاروري، إلى مصر عقب زيارة لوفد من حركة فتح برئاسة عزام الأحمد ثم زيارة أخرى قام بها وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الأسبوع الماضي. ومن المنتظر وصول وفد يمثل الجبهة الديمقراطية وآخر يمثل حركة الجهاد الإسلامي، بعد انتخاب زياد نخالة أمينا عاما للحركة، الجمعة، على أمل تحريك الموقف السياسي على صعيد المصالحة الفلسطينية.

> الشكوك في نوايا حركتي فتح وحماس تمثل عقبة كبيرة أمام مصر، فضلا عن توسع دائرة أصحاب المصالح المستفيدين من الانقسام الفلسطيني

وقال كايد الغول، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لـ"العرب"، إن فصيله يميل إلى إنهاء الانقسام قبل أي شيء آخر، وصولا إلى بناء وحدة فلسطينية تعددية، ويُستخلص منها برنامج وطني ديمقراطي يتم من خلاله اختيار قيادة واحدة لتدير الشأن الوطني.

ويعتبر موقف الجبهة الشعبية مغايرا لتوجهات حماس والجهاد الإسلامي، حيث تعتبران التهدئة أولوية قصوى، لكن الغول يتفق مع التحركات المصرية التي أصبحت ترى أن إتمام المصالحة هو السبيل الأمثل لتوحيد الفصائل ومواجهة تحديات مستقبل القضية الفلسطينية.

وأكد الغول، الذي كان ضمن وفد الجبهة الشعبية إلى مصر، أن إنجاز مصالحة يقود إلى إعادة بناء كل مؤسسات النظام الفلسطيني، وبالأخص منظمة التحرير، وهو ما يتطلب الإعداد سريعا لمجلس وطني جديد وعقد اجتماع قيادي عاجل لبدء تفعيل دور منظمة التحرير.

ورأى أن ذلك يمثل الطريق الوحيد الذي يمكن الفصائل من إخراج الوضع الفلسطيني من أزمته الراهنة، وعلى أساسه يمكن إنهاء الانقسام بشكل جذري، وألا تدار المسألة من خلال حسابات خاصة تعد سببا رئيسيا في تعطيل المصالحة.

وقال الغول إن فرص نجاح جهود مصر في مهمة وقف الانقسام "مرتبط باستعداد طرفي الأزمة (فتح وحماس) لتقديم تنازلات لأنه يتم التعامل مع إنهاء الانقسام بمنطق جني المكاسب". وأوضح أن فتح تعتبر أن المصالحة يجب أن تبدأ بتمكين الحكومة في غزة وإقصاء حماس وقطع الطريق عليها، إذ يعتبر الغول أن "هذا نهج خاطئ".

وتمثل الشكوك في نوايا الحركتين عقبة كبيرة أمام مصر، فضلا عن توسع دائرة أصحاب المصالح المستفيدين من الانقسام والذين يستغلون الثغرات في المبادرات المقدمة. وكشف الغول عن تفاصيل لقاء وفد الجبهة الشعبية مع مسؤولي المخابرات المصرية الأسبوع الماضي، موضحا أن القاهرة أكدت حرصها على استمرار مساعيها لإنهاء الانقسام، مع تقديم المساعدات التي لا تؤدي إلى فصل الضفة الغربية عن قطاع غزة.

وأشار إلى أن "مصر تفضل إنجاز المصالحة أولا، مع تهدئة في سياق هذه العملية"، تتم من خلالها إقامة مشاريع تنموية في غزة، وإذا لم تتحقق هذه المسألة، فإن مصر حريصة على التخفيف عن الفلسطينيين في القطاع عبر الدفع بتنفيذ مشاريع في قطاعي الكهرباء والمياه وتحسين شروط فتح معبر رفح الحدودي.

واعتادت القاهرة التعامل بحذر مع مسألة المساعدات المقدمة إلى غزة طالما وظفتها حماس لخدمة أغراضها السياسية، ولا تريد أن يكون تحسين الأوضاع الإنسانية للسكان مقدمة لاستمرار الحركة في الحكم وتنصلها من المصالحة. ويغضب هذا الأسلوب السلطة الفلسطينية، ويشعرها بأن القاهرة معنية بوجود حماس على رأس السلطة في غزة، أكثر من اهتمامها بالشرعية الفلسطينية المتمثلة في الرئيس محمود عباس.

وأكد الغول أن الجبهة الشعبية "فصيل مستقل تتقاطع سياساته هنا أو هناك، لكنه لا يحدد مواقفه ارتباطا بمواقف حركتي فتح

مواقف متغيرة في ظل الاستقطاب بين فتح وحماس

وحماس، وإنما في ضوء رؤية خاصة به". واعتادت كل من فتح وحماس توظيف الجبهة الشعبية لدعم مواقفهما تجاه ملفي المصالحة والتهدئة: فالأولى (أي فتح)، سعت إلى التلويح بإمكانية تخفيف السلطة من العقوبات المفروضة على الجبهة الشعبية في حال عادت إلى دعم مواقفها، والثانية (أي حماس) تتحدث في كل مناسبة عن وجود دعم فصائلي لها بما فيها الجبهة الشعبية. لكن استقلالية مواقف الجبهة وقفت ضد إغراءات الطرفين.

ويبدو تراجع الجبهة الشعبية عن استقلالية مواقفها واضحا، وهو ما أرجعه الغول إلى "حالة الاستقطاب الشديدة على الساحة الفلسطينية وما يمتلكه الطرفان (فتح وحماس) من قدرات وفرتها لهما سلطتهما".

وفيما تتمسك السلطة بالتنسيق الأمني مع إسرائيل، تسعى حماس نحو التصعيد تجاهها عبر مسيرات العودة للضغط عليها لعدم غلق ملف التهدئة. وفي المقابل، تتخذ الجبهة الشعبية موقفا يبدو متناغما مع رغبات قطاع واسع من الفلسطينيين، وهي مواجهة الاحتلال الإسرائيلي بقوة السلاح.

وقال الغول "نؤكد على أهمية أن يبقى الكفاح المسلح الخيار الرئيسي للرد على العدو الإسرائيلي الذي ينتهج كافة أشكال العنف والتطهير العرقي ويقر قانون القومية بهدف تكريس الاستيطان وحرمان الفلسطينيين من أي تواجد في أراضيهم، لكن الكفاح المسلح شكل من أشكال المواجهة ويجب أن يتكامل مع أشكال أخرى".

ورجح الغول عدم قيام عباس بحل السلطة وإلغاء اتفاق أوسلو، لافتا إلى أن هناك أفكارا يجري تداولها ومنها إعلان فلسطين دولة خاضعة للاحتلال ربما يؤدي إلى تبديلات في الهيكل الإداري القائم وقد يجري الحديث عن مجلس تأسيسي لهذه الدولة.

التحالف العربي: القرار الأممي بشأن اليمن منحاز

❑ **الرياض** – نددت السعودية وحلفاؤها بقرار مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان تمديد مهمة بعثة التحقيق حول ارتكاب جرائم حرب في اليمن، ووصفته بأنه "منحاز".

وقال بيان مشترك بين السعودية والحكومة اليمنية المعترف بها دوليا والإمارات والبحرين ومصر، صدر في وقت متأخر من مساء الجمعة باللغة الإنكليزية، إن الدول تشعر بـ"خيبة الأمل" من فشل مجلس حقوق الإنسان في اعتماد مشروع قرار موحّد حول اليمن.

ونشرت وكالة الأنباء السعودية ووزارة الخارجية الإماراتية البيان. ووصف البيان القرار بأنه "منحاز"، مشيرا إلى أنه "يتناقض بوضوح مع التفويض الذي حدده مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة".

وبحسب البيان فإن القرار "لم يتأسس على موافقة الدولة المعنية ذاتها، وبما لا يحترم الحق السيادي لها في إبداء موافقتها على التعاون مع القرارات الدولية التي تتناول بشكل مباشر أوضاع حقوق الإنسان على أراضيها".

وأكدت الحكومة اليمنية، في بيان مساء الجمعة، أنها "لن تتعاون مع الفريق المذكور من منطلق حقها كدولة عضو في الأمم المتحدة بعدم المساس والتدخل بشؤونها الداخلية".

واعتبرت أن القرار يمس بـ"آليات العمل في مجلس حقوق الإنسان تنطلق من احترام قرارات الدول الأعضاء" مؤكدة أنه يقوم "بتسييس واضح" لعمل مجلس حقوق الإنسان.

واعتبر بيان الحكومة اليمنية أن "التمديد لفريق الخبراء على الرغم من تجاوزاته سيؤثر سلبا على الآليات الوطنية للوصول والمحاسبة وتحقيق العدالة".

وكانت الحكومة اليمنية قد أعلنت، الخميس رفضها التمديد للبعثة مؤكدة أن خلاصات المجموعة الواردة في تقرير المفوض السامي تجاوزت "معايير المهنية والنزاهة والحياد"، متهمة إياها بـ"غض الطرف عن انتهاكات" المتمردين الحوثيين.

فيما كتب وزير الدولة للشؤون الخارجية الإماراتي أنور قرقاش على تويتر، الجمعة، بأن "قرار مجلس حقوق الإنسان حول اليمن جاء منقسما وانتفى عنه الإجماع التقليدي ويعود ذلك إلى التقرير غير المتوازن والمغالطات المنهجية". وأكد قرقاش أن "أي تقارير مستقبلية ستكون خلافية ومن طرف واحد".

وصوتت 21 دولة من أصل 47 لصالح القرار في مقابل 8 أصوات عارضته وامتناع 18 دولة. واقترحت بلجيكا وكندا وايرلندا ولوكسمبورغ وهولندا القرار بدعم من الاتحاد الأوروبي.

وكان التحالف العربي بقيادة السعودية وجه انتقادات حادة لتقرير بعثة الخبراء الأمميين، التي يتهمها بـ"الانحياز".

قطر تفشل في استثمار لقاء نيويورك لحلحلة أزمتها

❑ **الدوحة** – حاولت قطر انتهاز فرصة اللقاء الموسع الذي جمع وزراء دول مجلس التعاون الخليجي والأردن ومصر مع وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، لإثارة أزمتها مع دول المقاطعة الأربع، لكنها فشلت في ضوء الموقف القاطع الذي تبديه السعودية.

وأشارت أوساط خليجية إلى أن الدوحة أرادت أن توظف اجتماعا دوليا بعض أطرافه لا علاقة له بملف قطر من قريب أو بعيد لتحويله إلى كسر للمقاطعة المفروضة عليها، وهو أمر كان متوقعا، لذلك كان موقف وزير الخارجية السعودي عادل الجبير واضحا حين أكد أن المقاطعة خيار لا مفرّ منه.

وقال الجبير، في كلمته أمام الجمعية العامة، إنه "في ظل جهودنا الحازمة والمستمرة لمكافحة الإرهاب قامت السعودية والإمارات والبحرين ومصر بمقاطعة قطر، فلا يمكن لدولة تدعم الإرهاب وتحتضن المتطرفين وتنشر خطاب الكراهية عبر إعلامها ولم تلتزم بتعهداتها التي وقعت عليها في اتفاق الرياض عام 2013 واتفاق الرياض التكميلي عام 2014 أن تستمر في نهجها حيث تمادت قطر في ممارساتها وهو ما جعل من مقاطعتها خيارا لا مفرّ منه".

وبات هاجس الدوحة أن تؤوّل كل الأنشطة والتحركات والزيارات في المنطقة على أنها تصب في خيار وساطة لإنقاذها من مقاطعة خانقة قد تستمر طويلا، مع أن الدول الأربع المعنية سبق أن أكدت أن ملف قطر أغلق نهائيا وإلى اللحظة التي تُراجع فيها الدوحة نفسها وتنفذ الشروط المطلوبة منها بشكل واضح دون مناورة، وأن لا جدوى لوساطات ووسطاء طالما أنها لا تحمل تعهدات قطرية كاملة بالقطع مع دعم الإرهاب وإيواء كيانات وأفراد مصنفين كجهات إرهابية في دولهم.

ويقول مراقبون إن قطر دأبت على إظهار مواقف مستفزة تجاه بقية دول الخليج ومصر، ثم تتباكى على المقاطعة، وتسعى لاستدرار عطف الأميركيين، وهي تعرف أن إدارة ترامب سبق أن أكدت مرارا أن الملف خليجي صرف، وأن حله لا بد أن يتمّ عبر الحوار، وهو الأمر الذي ترفضه الدوحة، وعلى العكس تمارس الهروب إلى الأمام، وتحاول تنويع دائرة الوسطاء دون جدوى بدل البحث عن الطريق الأسهل والأقرب، وهو تنفيذ الاستجابة لمطالب جيرانها ثم التوجه إلى الرياض لإنهاء المقاطعة.

وتثير مواقف قطر وأنشطتها شكوكا كبيرة بشأن مدى التزامها بالعقوبات الأميركية تجاه إيران، في وقت حضر فيه وزير خارجية قطر الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل ثاني في نيويورك اجتماعا عربيا أميركيا لتكوين تحالف استراتيجي لمحاصرة أنشطة طهران في المنطقة.

واجتمع وزير الخارجية الأميركي مع مسؤولين بدول الخليج ومصر والأردن، الجمعة، حيث ناقشوا التحالف وشددوا على ضرورة وجود مجلس "موحد" للتعاون الخليجي. وأعلنت وزارة الخارجية الأميركية أن جميع المشاركين اتفقوا على "ضرورة مواجهة تهديدات من إيران موجهة إلى المنطقة والولايات المتحدة".

وقالت المتحدثة باسم الخارجية الأميركية هيذر ناورت في بيان "أجرى الوزير ووزراء الخارجية مناقشات بناءة بشأن تشكيل التحالف الاستراتيجي بالشرق الأوسط بقيادة مجلس موحد للتعاون الخليجي لدعم الرخاء والأمن والاستقرار في المنطقة".

وتساءل المراقبون عن المدى الذي يمكن أن يبلغه التمادي القطري في لعب الأدوار المتناقضة، فالدوحة صديقة لطهران، والإعلام القطري تحوّل إلى منصة للترويج للتصريحات الإيرانية وبيانات الميليشيات الموالية لطهران في اليمن ولبنان والعراق وسوريا، فكيف يمكنها أن تكون في نفس الوقت صديقة للولايات المتحدة وعضوا في تحالف استراتيجي هدفه الرئيسي تطويق إيران وأذرعها في المنطقة مع ما يتطلبه من وضوح سياسي وتجند إعلامي كامل.

واصطفت قطر ضد رغبة السعودية والإمارات وصوتت لفائدة تمديد مهمة فريق الخبراء الأممي الخاص بالملف اليمني، مع ما حمله تقريره الأخير من انحياز ضد التحالف العربي في اليمن، وهو الذي كانت قطر طرفا فيه قبل أن تغير اتجاهها وتصبح حليفا للمتمردين الحوثيين وداعما لأجندة إيران في اليمن.

وبالتوازي، تحاول قطر عرقلة جهود تقوم بها السعودية لعقد لقاءات بين الحكومة الأفغانية وحركة طالبان في مسعى لتأسيس مسار سلام جدي ينهي الحرب المستمرة لسنوات طويلة بعد فشل محاولات محدودة ومتعثرة رعتها الدوحة سابقا.

ويعتقد متابعون للشأن الخليجي أن السلوك القطري يتناقض تماما مع ما يحاول المسؤولون القطريون أن يظهروه من رغبة في الحوار، وأن كل المؤشرات تؤكد أن تصريحاتهم، سواء في الأمم المتحدة أو خلال زياراتهم المتعددة بحثا عن دعم لم يتحقق منه شيء، ليست أكثر من محاولات للفت الأنظار والتوسل على إيقاع مظلومية لم يعد يصدقها أحد.

وكانت الولايات المتحدة تخطط لعقد قمة في أكتوبر حول المسألة الخليجية لكن القمة تأجلت لعدة أشهر. وقال مسؤول كبير في الإدارة الأميركية إن واشنطن لا تزال تخطط لعقد القمة في موعد لاحق.

وفي حديث مع رويترز هذا الأسبوع وصف وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش مقترح التحالف بأنه "مبشر للغاية" وينم عن "الالتزام الأميركي تجاه المنطقة وحلفائها وهذا أمر مهم للغاية في نظام دولي غير مستقر".

لكنه أضاف أن النزاع الخليجي "ليست له أولوية" في إشارة إلى أنه لا توجد مساع دبلوماسية لحل الخلاف وأنه لن يؤثر على التحالف.

لا خيار إلا التوجه إلى الرياض

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم

مختار الدبابي

كرم نعمة

تصدر عن

Al-Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

The Quadrant

177 – 179 Hammersmith Road

London, W6 8BS, UK

Tel: (+44) 20 7602 3999

Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان

Advertising Department

Tel: +44 20 8742 9262

ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk

editor@alarab.co.uk

هل يعود كردستان العراق جنة للمستثمرين

الأكراد ينتخبون بآمال ضعيفة في تحسين ظروفهم المعيشية

تعصف بإقليم كردستان العراق، الذي يتمتع بحكم ذاتي منذ عام 1991 ويشهد انتخابات تشريعية، الأحد، أزمات حادة سياسية واقتصادية واجتماعية تصاعدت حدتها منذ الاستفتاء حول الاستقلال في سبتمبر الماضي. وكان الإقليم، قبل الاستفتاء، يمر بأزمة اقتصادية صعبة بسبب انخفاض أسعار النفط التي تمثل المورد الرئيسي لميزانيته. وتصاعدت الأزمة بعد انخفاض صادراته النفطية إثر سيطرة قوات الحكومة الاتحادية على غالبية المناطق المتنازع عليها بين بغداد وأربيل، خصوصا محافظة كركوك الغنية بالنفط.

❑ **السليمانية (العراق)** – خلال 15 عاما قضاها موظفا في وزارة الكهرباء، كان سامان قادر يتقاضى نحو 500 دولار شهريا، لكن حين اضطر إقليم كردستان العراق إلى اتباع سياسة اقتطاع الرواتب لتجنب الإفلاس، خسر الرجل قرابة نصف راتبه، وهو يتطلع اليوم، وإن بأمل ضعيف، إلى أن تساهم حكومة كردستان القادمة في تغيير الوضع.

تزامنا مع تقلص راتبه، خسر قادر أيضا الأعمال الصغيرة التي كانت تسمح له بزيادة مدخوله الشهري، خصوصا بعد فشل الاستفتاء على الاستقلال في سبتمبر الماضي، كما يقول الكردي البالغ من العمر 51 عاما.

ويسكن قادر في منزل صغير مع زوجته المريضة وأولادهما الأربعة. وتشكل نهاية كل شهر تحديا له، إذ "يجب دفع الفواتير، وأقساط بناتي في الجامعة، وعلاج زوجتي في إيران".

ولطالما كان إقليم كردستان العراق، الذي ينتخب برلمانه الجديد الأحد، جنة للمستثمرين في منطقة الشرق الأوسط المضطرب. لكن اجتياح تنظيم الدولة الإسلامية للبلاد في العام 2014، ووصوله إلى أبواب أربيل كبرى مدن الإقليم الذي يتمتع بحكم ذاتي وتراجع أسعار النفط، والفساد وقرار بغداد بوقف المساهمة في ميزانية المنطقة، وحرمانها من 80 في المئة من إيراداتها، كان ضربة كبيرة لاقتصاد كردستان.

ويقع الإقليم، الذي يضم محافظات أربيل والسليمانية ودهوك، في مناطق معظمها جبلية في شمال العراق ويسكنه نحو خمسة ملايين نسمة غالبيتهم العظمى من الأكراد إضافة إلى مسيحيين وتركمان وعرب، غالبيتهم من السنة، يتحدثون الكردية والعربية.

مستوى كارثي

يقول مدير مركز كردستان لعلم الاجتماع في جامعة سوران قرب أربيل عادل بكوان إنه "في بداية العام 2017، وصلت الأزمة الاقتصادية إلى مستوى كارثي". ويضيف "لقد خسر الموظفون الذين يشكلون 60 بالمئة من السكان العاملين، نصف رواتبهم، لا بل بلغت خسارة البعض 75 في المئة (...) وغادر المستثمرون بأعداد كبيرة، وتوقفت المشاريع القائمة، وارتفع عدد السكان تحت خط الفقر إلى 15 في المئة".

جرى الاستفتاء على الاستقلال رغم معارضة بغداد والمجتمع الدولي. وردا على ذلك، استعادت بغداد السيطرة على جميع المناطق المتنازع عليها، وبينها حقول كركوك النفطية، وقسمت المحافظة الكردية إلى نصفين، قاضية بذلك على كل أمل بدولة مستقلة.

كان إنتاج حقول كردستان وكركوك يبلغ 600 ألف برميل يوميا تُصدر 550 ألفا منها عبر ميناء جيهان التركي، ومع خسارة حقول كركوك، خسر الأكراد نصف إنتاج الذهب الأسود.

ومع انهيار حلم الدولة، لم يبق أمام الإقليم إلا إعادة التفاوض على جزء من الموازنة الاتحادية، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه في اقتصاد قائم على عائدات النفط، وحيث تثقل مؤسساته المحسوبيات التي تمارسها الأحزاب الكبيرة التي تتقاسم السلطة في كردستان منذ سقوط نظام صدام حسين في العام 2003.

ويقول بكوان إنه "منذ أبريل الماضي، وبعد تدخل مباشر من واشنطن، هدأت العلاقات بين بغداد وأربيل، لكن لم يتم تطبيعها"، مضيفا أن "بغداد تدفع لكردستان حاليا جزءا من نصيبه من الميزانية الاتحادية: مليار دولار شهريا".

عودة المشاريع

لكن الخبراء يرون أن الأمر سيتطلب الكثير لسد العجز في كردستان الذي يكافح لتنويع مصادر اقتصاده، لا سيما بعد ستة أشهر من الحصار الجوي الذي فرضته بغداد، وإغلاق المنافذ الحدودية مع إيران وتركيا. لكن نوزاد غفور، نائب رئيس غرفة التجارة في السليمانية، ثاني أكبر مدن كردستان العراق، يؤكد أن الوضع الاقتصادي والاستثمار في تحسن منذ بداية العام.

ويقول غفور إن العام الحالي شهد بداية "400 إلى 500 مشروع جديد في عموم الإقليم، مشاريع سياحية وسكنية وصناعية وخدمية". ويضيف أنه "في غضون الأعوام الأربعة المقبلة، سيتم توفير أكثر من 40 ألف فرصة عمل"، فيما يعلن شاب من بين خمسة تتراوح أعمارهم بين 18 و34 عاما في كردستان أن "ليس هناك أمل بالحصول على وظيفة في يوم من الأيام".

لكن ذلك لم يلغ فورة التذمر الاجتماعي. فقد خرج معلمون وأطباء وموظفون، إضافة إلى مقاتلي البيشمركة، إلى الشوارع لأسابيع، في تظاهرات سقط فيها قتلى. وفي هذه المنطقة التي تعيش 87 في المئة من عائلاتها بأقل من 850 دولارا شهريا، فإن انتخابات الأحد، وهي الأولى منذ الاستفتاء، ليست إلا عزاء سيئا للسكان.

يقول بكوان إن "الفئات الاجتماعية المهمشة من قبل النظام السياسي، والمحرومة بشكل كبير من النظام الاقتصادي، والمنبوذة من النظام التعليمي، هي في وضعية انعدام الثقة بالنخب السياسية". ويضيف أن "هذه القاعدة الاجتماعية غير المتكاملة لا ترى أي أمل في تحسين ظروفها المعيشية بالتصويت لصالح أحد الأحزاب".

ويقول عبدالله محمد المتقاعد والبالغ من العمر 69 عاما، إن السياسيين "ينفقون المال بشكل جنوني لطباعة ملصقات حملاتهم. وحين يطلب المحتاجون المساعدة منهم، يقولون إننا نعيش أزمة وليست هناك أموال". ويضيف، مشيرا بيده إلى ملصقات بألوان زاهية، "هذه الانتخابات لا تهمني".

حتى ولو أشار الخبراء إلى عزوف كبير عن المشاركة في الانتخابات، فإن روا برهان (20 عاما) سيدلي بصوته، الأحد، أملا في أن تفتح الحكومة الكردستانية المقبلة "صفحة جديدة في العلاقات مع الحكومة العراقية". ويرى هذا الشاب، وهو ابن موظفين انخفض دخلهما بشكل حاد من 1700 إلى 800 دولار شهريا، أن على أربيل "أن تتفق على الميزانية وتخلص الشعب من المعاناة المعيشية".

أكراد العراق ينتخبون برلمانا جديدا

❑ يدلي الناخبون في إقليم كردستان العراق شبه المستقل بأصواتهم لانتخاب برلمان جديد. ويشارك 29 حزبا وكيانا سياسيا و673 مرشحا يتنافسون لانتخاب الدورة الخامسة لبرلمان الإقليم المكون من 111 مقعدا، بمعدل 100 مقعد للأحزاب السياسية و11 كوتا متوزعة بنسبة خمسة مقاعد للتركمان وخمسة للمسيحيين ومقعدا واحدا للأرمن.

● ما هي مهام البرلمان

■ يتولى برلمان كردستان العراق مسؤولية إقرار القوانين في المحافظات العراقية التي تخضع لسلطة حكومة إقليم كردستان. ومن بين مقاعده وعددها 111، يخصص 11 مقعدا للأقليات: خمسة مقاعد للتركمان وخمسة للأشوريين ومقعد للأرمن.

ويشكل الحكومة التكتل الذي يحصل على الأغلبية. ومنذ بدأ الإقليم حكمه الذاتي في عام 1991، يتم ذلك عادة من خلال ائتلاف بين الحزبين اللذين يسيطران على أكبر مدينتين في الإقليم، وهما الحزب الديمقراطي الكردستاني ومركزه في أربيل وحزب الاتحاد الوطني الكردستاني ومقره في السليمانية. وشهد هذا الترتيب فترة انقطاع بسبب حرب أهلية بين الحزبين في التسعينات.

● الأحزاب الكردية الرئيسية

■ الحزب الديمقراطي الكردستاني: تأسس الحزب عام 1946 على يد القيادي القومي الكردي مصطفى البارزاني وهو أكبر حزب كردي ويسيطر على أكبر عدد من المقاعد في برلمان الإقليم (38 مقعدا) وله أيضا أكبر عدد من المقاعد ضمن الكتلة الكردية في برلمان العراق الاتحادي (25 مقعدا).

وهدف هذا الحزب المعلن هو استقلال الأكراد ولطالما كان تحت قيادة عشيرة البارزاني. وأصبح مسعود، ابن مصطفى البارزاني، الرئيس الوحيد الذي عرفه الإقليم حتى تنحيه في عام 2017 بعد محاولة فاشلة لنيل الاستقلال عن طريق استفتاء. لكنه لا يزال زعيم الحزب.

وأصبح نيجيرفان البارزاني، ابن شقيق مسعود، رئيس وزراء الإقليم الحالي في حين يتولى مسرور البارزاني ابن مسعود قيادة قوات الأمن في الإقليم. ويتمتع الحزب بعلاقات وطيدة مع تركيا.

■ حزب الاتحاد الوطني الكردستاني: أسست مجموعة من اليساريين في السليمانية حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في عام 1975 في ظل استيائهم من الحزب الديمقراطي.

وكان على رأس هذه المجموعة الراحل جلال الطالباني الذي أصبح في ما بعد أول رئيس اتحادي للعراق في حقبة ما بعد صدام حسين والذي لا تزال أسرته تسيطر على الحزب.

وتراجع الحزب إلى المركز الثالث في انتخابات عام 2013 لكن هيمنته على منطقة السليمانية كانت تعني استمرار الائتلاف مع الحزب الديمقراطي الذي حكم كردستان منذ عام 1991. ويشغل قباد ابن الطالباني حاليا منصب نائب رئيس وزراء الإقليم.

ويحتل الحزب 18 مقعدا في كل من البرلمان الكردي والبرلمان الاتحادي العراقي وهو ثاني أكبر حزب كردي. وعادة ما يرتبط هذا الحزب بعلاقات وثيقة مع إيران.

■ حزب كوران (أو حركة التغيير الكردية): لطالما كان حزب كوران حركة المعارضة الرئيسية في كردستان العراق منذ أسسه نيجيرفان مصطفى وهو قيادي سابق في الاتحاد الوطني الكردستاني في 2009.

ويحتل الحزب حاليا 24 مقعدا في برلمان الإقليم. ويعاني كوران من انقسامات داخلية منذ وفاة مصطفى في 2017 ولم يفز سوى بخمسة مقاعد فحسب في انتخابات البرلمان الاتحادي العراقي في مايو أيار 2018 مقارنة بثمانية مقاعد في 2010.

■ حزب الاتحاد الإسلامي الكردستاني: تأسس الحزب في عام 1994 وهو الحزب الإسلامي الرئيسي في كردستان. والحزب مرتبط رسميا بالإخوان المسلمين منذ 2015 ويحتل حاليا عشرة مقاعد في البرلمان الإقليمي.

■ حزب الجيل الجديد: أسسه في عام 2017 رجل الأعمال شوشر عبدالواحد للمنافسة في انتخابات البرلمان الاتحادي. وفاز الحزب بأربعة مقاعد.

الأكراد أمام استحقاقات جديدة بعد انتخاب برلمانهم

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

❑ رغم ما حصل للقيادات الكردية من انتكاسة سياسية في قصة استفتاء سبتمبر الماضي إلا أن هذه الأحزاب حافظت على تماسكها التنظيمي والسياسي. لكن هذا التاريخ المؤلم والذي يعبر مسعود البارزاني عن اعتزاز شعبه به قد أدى إلى فتور بين الحزبين الكبيرين الحزب الديمقراطي الكردستاني، والاتحاد الوطني الكردستاني، رغم محاولات الإيحاء بأنهما على رأي واحد في قضايا حقوق الشعب الكردي، ومسألة ترشيح شخصيتين لرئاسة الجمهورية تؤكد ذلك.

يعني هذا الوضع بين أكبر قوتين سياسيتين في كردستان العراق، الذي يعيش اليوم على وقع الانتخابات البرلمانية، أن التوافقات التي كانت سمة الدورات السابقة قد ضعفت. وجرى، السبت، الانتخاب الخاص واليوم تجرى عملية التصويت بالانتخاب العام. وتشير متابعة التصويت الخاص إلى تقدم الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود البارزاني.

ومن المتوقع تقدم هذا الحزب في برلمان كردستان العراق مثلما حصل في السنوات السابقة على تصدر المشهد السياسي الكردي يليه حزب الاتحاد الوطني (حزب جلال الطالباني) إضافة إلى الكتل الصغيرة الأخرى. وسيكون على البرلمان الكردي الجديد انتخاب رئيس ونواب له إضافة إلى موضوع رئاسة إقليم كردستان التي استقال منها مسعود البارزاني العام الماضي خلال الاستفتاء على الاستقلال.

من هذا المنطلق تتحرك الأجواء السياسية الكردية لجميع الأحزاب لمناقشة عملية التقاسم والشراكة في سلطة الإقليم واحتمالاتها، وسط معارضة واضحة من قبل بعض الأحزاب كالتغيير والأحزاب الإسلامية. ويبدو أن هناك سيناريو محتملا وهو أن زعامة البارزاني تسعى في تحول ملفت إلى الاهتمام ببغداد عن طريق رئاسة الجمهورية ومنح الاتحاد الوطني قيادة إقليم كردستان العراق.

تعطي الانتخابات دفعة قوية للقوى الكردية للتحاور مع بغداد ليس في مسألة منصب رئاسة الجمهورية الذي أصبح عرفا في شراكة السلطة العراقية بعد عام 2003 (رئاسة الوزراء للشيعة ورئاسة البرلمان للسنة ورئاسة الجمهورية للأكراد) وإنما في المفاصل الحيوية للمطالب الكردية في قضية المناطق المتنازع عليها وموضوع قانون النفط وتنفيذ المادة 140 الدستورية بإجراء إحصاء سكاني، كما يتوقع أن تشكل قضية كركوك نقطة مهمة في المحادثات المستقبلية.

من الزعماء الأكراد الذين وقّعوا على قرار الاستفتاء قادة الاتحاد الوطني، الذي يحتفظ بعلاقات عميقة وخاصة مع إيران ومنهم برهم صالح، الذي انشق من الاتحاد وعاد إليه بعد ترشيحه لمنصب رئيس الجمهورية، وهو يحاول الإيحاء بأنه يقف على مسافة من البارزاني من الموضوع القومي الخاص بالاستفتاء.

ولا يبدو أن إيران تميل الكفة لصالح حزب مسعود البارزاني، بل تفضل أن يصبح التعامل مع الأكراد بصورة أقوى مع قيادة حزب جلال الطالباني، وهذا ما يفسر لماذا استهدفت بعض الجهات الشيعية، المدعومة من إيران، في بغداد البارزاني. في المقابل، لا يمكن للأكراد أن ينسوا تهديد قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني لهم عشية الاستفتاء، الذي قاد مشروعه مسعود البارزاني، بأنهم إذا مضوا في مشروعهم فسيعزلهم في الجبل. ويمتلك مسعود البارزاني رمزية قومية عند الأكراد وقاد ووالده نضالهم الطويل من أجل حقوقهم القومية التي انتزعوها من الحكومات السابقة قبل عام 2003. فقد حصلوا على بيان 11 مارس 1971 للحكم الذاتي وكذلك الاستقلال النسبي عام 1991.

> كان استفتاء الانفصال عام 2017 تجربة قاسية لكنه درس مهم في مسيرة العملية السياسية التي يحرص الأكراد على أن تتم وفق التوافقات المكوناتية (شيعية كردية سنية)

وعقد الأكراد أول انتخابات تشريعية عام 1992 خلال فترة حكم صدام حسين. كما كان مسعود البارزاني إلى جانب جلال الطالباني على رأس قيادة المعارضة العراقية التي منحتها الولايات المتحدة الأميركية حكم العراق بعد الاحتلال العسكري عام 2003.

واحتفظ غالبية القادة الشيعة بعلاقات مميزة مع مسعود البارزاني، فنوري المالكي فاز بولايته الثانية عام 2010 من خلال اتفاقية أربيل التي قادها البارزاني، إلى جانب فقرات أخرى مثل تشريع قانون مجلس السياسات الأعلى الذي يدير القرارات السياسية العليا للبلد.

وتولى حيدر العبادي رئاسة الوزراء، خلفا لنوري المالكي، وفق تفاهمات كردية بقيادة مسعود البارزاني أيضا. ويتذكر الجميع مشاهد صور الزعيم الديني عمار الحكيم بزيه العسكري إلى جانب مسعود البارزاني عام 2015 على إحدى الروابي الكردية خلال الحرب على تنظيم داعش.

على إثر استفتاء الخامس والعشرين من سبتمبر 2017، بدا أن هذا التاريخ من الشراكة الاستراتيجية بين شيعة بغداد والأكراد، أصبح شيئا من الماضي. لكن، الانتخابات البرلمانية التي شهدها العراق في شهر مايو الماضي، أعادت بعضا من المياه إلى مجاريها، حيث فرضت المصالح الحزبية وتوزيع السلطة وتقاسمها إحياء تلك الشراكة بين أربيل وبغداد.

وانطلقت تصريحات ودية من قبل نوري المالكي تجاه مسعود البارزاني، إضافة إلى أن غالبية الكتل قررت في موضوع منصب رئاسة الجمهورية أنها ستوافق على من يرشحه البارزاني، رغم ما قالوه من كلام ناعم لبرهم صالح خلال اجتماعاته الأخيرة معهم.

انتخابات البرلمان الكردي فيها انعطافة مهمة على الساحة السياسية الكردية ستلقي بظلالها على شراكتهم بالسلطة السياسية ببغداد، ومحاولة الابتعاد عن الأزمات، وقد كان الاستفتاء الكردي عام 2017 تجربة قاسية لكنه درس مهم في العلاقات الكردية ومسيرة العملية السياسية التي يحرص الأكراد على أن تتم وفق التوافقات المكوناتية (شيعية كردية سنية).

فرصة سورية لن تتكرّر

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ في مثل هذه الأيّام، يفترض أن نتذكّر المحاولة الأخيرة، والوحيدة ربّما، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سوريا. عمر هذه المحاولة سبعة وخمسون عاما. ففي الثامن والعشرين من أيلول – سبتمبر من العام 1961 حصل الانفصال وانفرط عقد الوحدة المصطنعة التي قامت في العام 1958 بين مصر وسوريا.

تنفّست سوريا الصعداء سنتين ونصف سنة من أيلول – سبتمبر 1961 إلى الثامن من آذار – مارس 1963 حين حصل انقلاب عسكري وقفت خلفه مجموعة من الضباط أدخلت سوريا في نفق مظلم ليس ما يشير إلى أنّها ستخرج منه يوما.

> كانت السنة 1961 مفصلية في التاريخ الحديث لسوريا. كانت سنة الأمل والفرصة الأخيرة. كانت محاولة لإعادة بناء سوريا وإعادة الحياة إلى المدن الكبيرة التي بدأت تفقد بريقها شيئا فشيئا. بدأ القضاء على كل ما له علاقة بالمدينة الكبيرة في أيام حكم البعث في 1963

في العام 1961، أنهى ضباط سوريون الوحدة التي أسست للمأساة التي نشهدها اليوم. لم يستول هؤلاء الضباط على السلطة، بل سلموها إلى مجموعة من المدنيين الذين يتمتعون بمقدار كبير من الشجاعة والأخلاق والقيم الحضارية بسبب الخلفية الاجتماعية قبل أي شيء آخر.

أعاد هؤلاء الأمل إلى السوريين باستعادة بلدهم عن طريق حكومة شرعية ورئيس للجمهورية يتمتع بقبول حقيقي من الناس العاديين كان اسمه ناظم القدسي. كان في الواجهة في تلك المرحلة رجال مثل مأمون الكزبري ومعروف الدواليبي وآخرون يعرفون العالم ويعرفون المنطقة ويعرفون على وجه الخصوص معنى استيلاء ضباط مفجوعين جاؤوا من الريف إلى السلطة.

كان يوم الثامن والعشرين من أيلول – سبتمبر 1961 بمثابة إشعال شمعة في الظلام السوري الذي أخذ مداه بعد الوحدة مع مصر التي أعلنت في شباط – فبراير 1958. كانت تلك السنة من أسوأ السنوات التي مرّت على العالم العربي. أسست للنظام الأمني في سوريا. وشهدت الانقلاب الدموي في العراق على العائلة المالكة. وشهدت أحداثا لبنانية سمّيت "ثورة 1958" على الرئيس كميل شمعون الذي ارتكب خطأ كبيرا استفاد منه معارضوه المدعومون من جمال عبدالناصر عندما رفض القول صراحة إنّه لا يسعى إلى "التجديد"، أي إلى تمديد ولايته الرئاسية.

ما حدث ابتداء من العام 1958، وما وضع الانفصال حدّا، مؤقتا، له كان تسليما لسوريا شيئا فشيئا إلى الأجهزة الأمنية باسم شعارات فارغة من نوع الوحدة العربية والمحافظة عليها وإحكام فكّي الكماشة على إسرائيل. كانت إسرائيل لا تزال وقتذاك، بعد عشر سنوات على إعلان الدولة، على جزء من أرض فلسطين فقط. كانت الضفة الغربية لا تزال جزءا من الأردن ومعها القدس الشرقية. كان الجولان سوريا وكانت سيناء مصرية، كذلك قطاع غزّة.

أسست الوحدة المصرية – السورية للكارثة القادمة التي توجت بحرب حزيران – يونيو 1967 التي لا يزال الشرق الأوسط يعاني من آثارها. وحده لبنان عرف كيف يحمي أراضيه من إسرائيل في 1967، لكن جمال عبدالناصر الذي رعى اتفاق القاهرة في العام 1969 أدخله، غصبا عنه في دوامة صراع خاسر ما زال يدفع ثمنه إلى اليوم بعد حلول السلاح غير الشرعي لميليشيا مذهبية تابعة لإيران مكان السلاح الفلسطيني الذي أدّى المطلوب منه مرحلة معيّنة.

تكفل اتفاق القاهرة بتغيير التركيبة الاجتماعية والسكانية في لبنان ومهّد للوصاية السورية التي مهّدت بدورها للوصاية الإيرانية التي يعيش البلد في ظلها حاليا.

كان عهد الانفصال قصيرا. يمكن اعتباره الآن الفرصة الضائعة أمام سوريا. فمع انتهاء هذا العهد بالطريقة التي انتهى بها، أي بانقلاب عسكري قاده من خلف وبذكاء ودهاء ضباط علويون مثل حافظ الأسد وصلاح جديد ومحمّد عمران، قضي على كلّ أمل بأن تعود سوريا للسوريين يوما.

مع نهاية الانفصال، بدأت هجرة العائلات الكبيرة من سوريا. كان لبنان الذي تمتع باستقرار كبير في تلك الفترة، بفضل المحاولة التي قام بها الرئيس فؤاد شهاب من أجل تأسيس دولة عصرية وتحقيق حدّ أدنى من العدالة الاجتماعية والتساوي بين المناطق، المستفيد الأوّل من هجرة الأدمغة السورية ومعها الرساميل الكبيرة من البلد الجار.

ما بدأ من نشر للبؤس في سوريا أيّام الوحدة، خصوصا عبر قرارات التأميم، استمرّ بعد سقوط عهد الانفصال. ما بدأ من نشر للبؤس في الثامن آذار – مارس 1963، ما زال مستمرّا إلى اليوم. لم يعد مسموحا لسوري يتمتع بحدّ أدنى من الكفاءة تأسيس مشروع ناجح من أيّ نوع في أيّ مجال من دون حماية أهل السلطة، أي أولئك الذين ينتمون إلى الطائفة الحاكمة في عهد حافظ الأسد أو العائلة الحاكمة في عهد بشار الأسد.

كانت السنة 1961 مفصلية في التاريخ الحديث لسوريا. كانت سنة الأمل والفرصة الأخيرة. كانت محاولة لإعادة بناء سوريا وإعادة الحياة إلى المدن الكبيرة التي بدأت تفقد بريقها شيئا فشيئا. بدأ القضاء على كلّ ما له علاقة بالمدينة الكبيرة في أيام حكم البعث في 1963. من أوّل صفات البعثي أنّه ناقم على المدينة وعلى كلّ من هو ناجح في أي ميدان من الميادين. كانت هناك بعض الاستثناءات مثل صلاح البيطار الذي ما لبث أن فقد حياته بعدما استفاق على ما ارتكب باسم البعث في حق سوريا والسوريين وتنبّه إلى ذلك. لم يحصل ذلك إلّا بعد فوات الأوان للأسف الشديد.

للتذكير فقط، اغتيل صلاح البيطار ابن حيّ الميدان الدمشقي وأحد مؤسسي البعث مع ميشال عفلق في باريس بواسطة مسدس مزود بكاتم للصوت في العام 1980. مسكينة سوريا التي ما زالت تدفع في أيامنا هذه ثمن سنوات الوحدة مع مصر قبل ستين عاما. لا يمكن لوم السوريين على كلّ تلك الحماسة للوحدة في حينه. فالوحدة من الناحية النظرية كانت شعارا يستهوي ما يسمّى "الجماهير" التي كانت تتحول إلى بحر هائج ومائج عندما كان يأتي جمال عبدالناصر إلى دمشق. كانت الهستيريا السورية تمتد إلى لبنان أيضا.

في المقابل، يمكن لوم السوريين على أنّهم لم يسعوا إلى إنقاذ عهد الانفصال. إنّهم يدفعون اليوم ثمن ذلك الفشل وثمن عدم الاستفادة من تجربة الوحدة مع مصر حين أصبح يتحكّم برقاب الناس ضابط حاقد على العالم من مستوى عبدالحميد السرّاج.

مع مرور الأيّام ونهاية عهد الانفصال والانفصاليين أو هربهم وتشتتهم في كل أنحاء المعمورة، تبخر كل أمل في إنقاذ سوريا. كانت سوريا مؤهلة لأن تكون دولة قادرة على لعب دور طليعي على الصعيد الإقليمي بفضل ثروة الإنسان فيها وحيوية أقلياتها، خصوصا المسيحيين والدروز والإسماعيليين منهم... فإذا بها تتحول إلى بلد مدمّر بكل ما في تلك الكلمة من معنى.

لم يعد من مكان في سوريا لمدينة مثل دمشق أو حلب أو حمص أو حماة أو اللاذقية. لم يعد من مكان سوى البحث عن فرصة جديدة تشبه فرصة العام 1961، وهي فرصة لن تتكرّر نظرا إلى أنّها باتت أقرب إلى سراب من أيّ شيء آخر.

سوريا 1963-2018: بلد مدمّر بكل ما في الكلمة من معنى

رئيس عراقي بلا رئاسة

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

❑ منذ أن هيّأت الولايات المتحدة بإدارة جورج بوش الابن، ثم بإدارة باراك أوباما، للنظام الإيراني، مع سبق الإصرار والترصد، كلّ وسائل الراحة والاستجمام في العراق، من جنوبه إلى شماله، ومن شرقه إلى غربه، وفتحت له طريق السياحة الحرة على شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر، والخليج العربي وخليج عدن، ونحن لا نشبع مما دأبت أميركا على ترديده من تصريحات وبيانات وقرارات تدين إيران، وتدمغها بالإرهاب وبتهديد أمن المنطقة والسلام العالمي وحقوق الإنسان.

> بعد أن مرت مسرحية انتخاب محمد الحلبوسي رئيسا للبرلمان مرور الكرام، ولم يغضب على من كتبها وأخرجها ولو عشرة عراقيين، جاء دور رئاسة الجمهورية لتكون هي الأخرى مسرحية أكثر رداءة ومرارة. الفائز هو الذي سيستطيع أن يقنع السفير الإيراني وقاسم سليماني بأنه سيكون خير خلف لخير سلف، رئيسا بلا رئاسة

قد تكون الولايات المتحدة اليوم، بإدارة دونالد ترامب، نادمة على ذلك، وعازمة، قولا وعملا، على إعادة إيران إلى حجمها الأول، وداخل حدودها، وإجبارها على التخلي عن الأحلام الإمبراطورية التي لا تتحقق في مثل هذا الزمان، ولا في مثل هذا المكان، ولكنها، بالمؤكد، ليست عازمة على مكاسرتها في العراق، بشكل خاص، وذلك لمعرفتها بعدم جدوى ذلك، بعد أن أصبحت لها أظافر وأنياب وجذور وجذوع عراقية عميلة تنوب عنها في القتال. وأكبر الظن أنها تقاتلها خارج العراق لتُضعف سكينها فيه بعد ذلك.

وهذا ما يحتاج إلى زمن طويل وممل، وما على العراقيين إلا الصبر والانتظار.

ومن نكد الدنيا على أهل العراق الذي اتخذه المعمّمون في إيران منطقة استراحة وتموين وتمويل أن تصبح دولتهم، برؤسائها ووزرائها ونوابها، وحتى بقضائها، من أملاك السفارة الإيرانية وحدها دون شريك.

ومن يتابع مسرحيات الانتخابات التي تعودنا على حضورها كل أربع سنوات، ويدقق في مفاهمات وصفقات اختيار الرؤساء لا بد أن يدرك أن لإيران مصلحة عليا في أن تهان المقامات، وأن تمرّغ هيبة الرؤساء والوزراء والنواب والسفراء بالتراب، إلى الحد الذي يجعل المواطن العراقي لا يحترم رئيس جمهورية ولا رئيس وزراء ولا رئيس برلمان.

من أقدس الفرائض الإيرانية الخمس في العراق أن لا تسمح لديمقراطي مستقل وغير طائفي وغير مكفول من الأطراف الدينية الحاكمة، بدخول القصر الجمهوري ومبنى رئاسة الوزراء وقبة البرلمان.

وبعد أن مرّت مسرحية انتخاب محمد الحلبوسي رئيسا للبرلمان مرور الكرام، ولم يغضب على من كتبها وأخرجها ولو عشرة عراقيين، جاء دور رئاسة الجمهورية لتكون هي الأخرى مسرحية أكثر رداءة ومرارة. الفائز هو الذي سيستطيع أن يقنع السفير الإيراني وقاسم سليماني بأنه سيكون خير خلف لخير سلف، رئيسا بلا رئاسة. مع أن أخطر إهانة لمنصب رئيس الجمهورية أن جُعل حصة يتقاتل عليها الحزبان الكرديان وما على الشعب العراقي سوى أن يختار، "كاكه س" أم "كاكه ص".

والشيء بالشيء يذكر. قبل عامين دعي كاكه برهم (برهم صالح) لزيارة طهران، بصفته النائب الثاني لرئيس الاتحاد الديمقراطي الكردستاني، فقط، وفعل. وهناك لقي من الحفاوة والتكريم ما لم يلقه إلا الرؤساء والملوك. فكان على كاكه برهم صالح، إن كان يحلم بدخول القصر الجمهوري ضمن حصة حزبه الثابتة، أن يقدم الثمن. ثم أعلن وهو في طهران أن "الجمهورية الإسلامية الإيرانية تضطلع بدور هام للغاية في مكافحة الإرهاب". وأضاف قائلا "إننا نعتبر الجمهورية الإسلامية الإيرانية حليفا استراتيجيا بالنسبة إلينا."

وقال أيضا "قوات البيشمركة الكردية والقوات العسكرية العراقية والحشد الشعبي في هذا البلد أيضا لديهم دور هام للغاية في محاربة الإرهاب، وفي هذا السياق فإن الدعم الذي تقدمه الجمهورية الإسلامية الإيرانية، على جميع الأصعدة، يحظى بأهمية بالغة، وأن طهران كانت رائدة في مواجهة الإرهاب دوما".

طبعا، مفهوم جدا أن ما يجعل كاكا برهم وغيره من قادة الإقليم يجاملون إيران وتركيا هو أنهم جميعا مؤمنون بقوة التاريخ والجغرافيا، وبارعون في أصول السياسة.

أما في حالة كاكه فؤاد حسين فإنه قضى شطرا طويلا من حياته مديرا لمكتب رئيس الإقليم، ونتيجة هذا أمران، الأول أنه تخلق بأخلاق الخدم والتابعين، والثاني أن رئيسه في كردستان سيكون، هو أيضا رئيسه في بغداد، ولكن تحت وصاية الأحزاب الشيعية التي تعمّد كاكه مسعود البارزاني مغازلتها طائفيا باختيار مرشح كردي من نفس الطائفة لمقاتلة الحزب الشقيق الذي خانه أيام الاستفتاء على الانفصال.

هذا مع الإقرار بأن برهم صالح هو الأفضل والأكثر عراقية وثقافة وأمانة وخبرة، وقد يستطيع، بحكم دماثته وليونته ولباقته، وبرغم كل القيود المفروضة على الرئيس، أن يفعل ما لا يُطيق فعله سواه.

وفي الختام نكرر القول إن رئيس العراقيين الجديد لن يكون فيصل الأول ولا عبدالكريم قاسم ولا عبدالرحمن عارف ولا حتى صدام حسين، بل سيكون موظفا صغيرا لدى هادي العامري ونوري المالكي وقيس الخزعلي. فهل من معترض؟

تركيا تفشل في ترويض فصائل المعارضة المسلحة في إدلب

الجيش السوري الحر يرفض دخول القوات الروسية مناطق سيطرة المعارضة

تواجه تركيا صعوبة في إقناع فصائل المعارضة المسلحة في إدلب بضرورة الامتثال لما جاء في الاتفاق التركي الروسي حول منطقة منزوعة السلاح بين المعارضة والنظام السوري. وينص هذا الاتفاق على ضرورة رحيل الجماعات المتشددة، ومن بينها هيئة تحرير الشام وجبهة فتح الشام التي تربطها علاقة قديمة بتنظيم القاعدة، عن هذه المنطقة، وسيتم تسليم الأسلحة الثقيلة الموجودة في أيدي المعارضة المسلحة المتمركزة في منطقة إدلب في موعد غايته 20 أكتوبر القادم.

❑ **أنقرة** – لا توحي الأحداث في سوريا، وتحديدا في إدلب، بأن هناك خطوات جدية قادرة على الفصل بين القوات التابعة للجماعات الجهادية والمعارضة الشرعية، وهي المهمة التي أوكلت لتركيا، إثر الإعلان عن الاتفاق بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والذي يقضي بإقامة منطقة منزوعة السلاح تفصل بين مناطق النظام والمعارضة في إدلب.

وكان هذا الاتفاق سببا في تأجيل حرب ضروس ينتظر الجميع نشوبها منذ وقت، نتائجها ستحدد الطرف الذي سيؤول إليه حكم إدلب في الداخل السوري. لكن، لم ينجح الاتفاق إلى حد الآن في التقليص من التهديد المتبادل بين الرئيس السوري بشار الأسد من ناحية، وقوات المعارضة من ناحية أخرى.

ويقول جيوفري أرونسون، الكاتب في موقع أحوال تركية، إن تركيا لم تنجح في الفصل بين القوات التابعة للجماعات الجهادية والمعارضة الشرعية، على الرغم من الوعود التي قطعتها.

> تركيا طالبت خلال اجتماع مع فصائل المعارضة المسلحة في إدلب، بضرورة بدء انسحابها من المناطق المعلنة، كمناطق منزوعة السلاح، لكن، ترفض هذه الفصائل أي عمليات انسحاب أو تغيير في نشاطها بالمنطقة

وستضطر إلى العمل بجد للوفاء بما تعهدت به. ومثلما كانت تركيا ستفعل في حال تعرض الجماعات الجهادية، التي تدعمها في سوريا مثل جبهة فتح الشام وغيرها؛ من توفير خروج آمن لها من سوريا، فإنها ستضطر أيضا، وفق هذا الاتفاق، إلى دفع ثمن دعمها لهذه الجماعات المتمردة.

ومن المنتظر أن يبدأ العمل بالمنطقة منزوعة السلاح ابتداء من 15 أكتوبر القادم، وستكون المنطقة العازلة بعمق 15 كيلومترا في إدلب و20 كيلومترا في سهل الغاب بريف حماة الغربي بين القوات الحكومية والمتمردين. لكن تواجه أنقرة تمردا في صفوف الجماعات التي تدعمها، عكسه رفض هذه الفصائل التقيد بما جاء في الاتفاق بين أردوغان والرئيس بوتين.

وكشف المرصد السوري لحقوق الإنسان أن تركيا طالبت، خلال اجتماع مع فصائل المعارضة المسلحة في إدلب، بضرورة بدء انسحابها من المناطق المعلنة، كمناطق منزوعة السلاح، والتي تمتد على شكل شريط بعرض 15 إلى 20 كلم، في أربع محافظات هي إدلب وحلب وحماة واللاذقية، لكن لم يتم رصد أي خطوة تشي بتنفيذ الفصائل المعارضة لأي عمليات انسحاب أو تغيير في نشاطها بالمنطقة.

وفي تأكيد على المأزق التركي، أعلن جيش العزة التابع للجيش السوري الحر السبت رفضه دخول القوات الروسية في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة في محافظتي حماة وإدلب وسط وغرب سوريا.

وقال جيش العزة في بيان له "لن نقبل أن تكون المنطقة العازلة على حساب الأراضي المحررة فقط، بل يجب أن تكون مناصفة مع مناطق سيطرة النظام، ونرفض تفاصيل المنطقة العازلة التي وردت في الاتفاق الأخير، بعدما اشترطت إقامتها على حساب المناطق الخاضعة للمعارضة وجاءت لصالح قوات الأسد".

ورفض بيان العزة "تسيير دوريات روسية على الأراضي المتفق عليها في المنطقة العازلة، وعدم فتح الطريق الدولية لما أسماه فك الخناق عن إيران والنظام وإطلاق تجارتهم إلا في حال تم الإفراج عن المعتقلين في سجون النظام".

هل ستقدر تركيا عليهم

قوة صينية لمكافحة الإرهاب بالخارج

❑ **بكين** – تعمل الصين على تشكيل قوات خاصة لمكافحة الإرهاب، قادرة على تنفيذ مهام الاقتحام داخل البلاد وخارجها؛ لحماية مصالح بكين بعيدا عن حدودها.

ونقلت وكالة شينخوا المحلية، عن تشانغ شياو تشي، رئيس المخابرات في الشرطة المسلحة (تابعة للجيش) قوله إن "تشكيل القوات الخاصة هذه، يعد عنصرا مهما في التحديث الشامل لجيش البلاد".

وأوضح تشانغ أن "نطاق مهمة القوات الخاصة يمتد من الأرض إلى البحر ومن الوطن إلى خارجه". وأشار إلى أن "استعدادات الحرب ضد الإرهاب يجب أن تشمل حماية المصالح الاستراتيجية الوطنية في أي مكان".

وأواخر 2015، أصدرت الصين قانونا جديدا يسمح لجيشها بتنفيذ عمليات لمكافحة الإرهاب خارج البلاد رغم تأكيد الخبراء أن بكين ستواجه مشكلات عملية ودبلوماسية كبرى من أجل تفعيل مثل هذا الإجراء.

وأصدرت الصين في أواخر عام 2015 قانونا جديدا لمكافحة الإرهاب، يسمح لجيشها بالقيام بعمليات في ما وراء البحار، رغم أن خبراء قالوا إن بكين تواجه مشكلات عملية ودبلوماسية كبرى من أجل تفعيل مثل هذا الإجراء.

وتقول الصين إنها تواجه تهديدات من متشدّدين بمنطقة شينجيانغ بأقصى غرب البلاد، فضلا عن متشددين في الشرق الأوسط بعضهم من نفس المنطقة بالصين، فيما يؤكد مراقبون أن هذه القوة الجديدة هي جزء من استراتيجية الانفتاح، حيث لم يعد الاقتصاد وحده يكفي الصين لترسيخ صورتها كقوة عالمية، بل عليها أيضا أن تكون قوة سياسية وأمنية.

وتزامنا مع توجّه العالم، إلى نظام جديد، بدأ في هندسة ملامحه الكبرى الرئيس الأميركي دونالد ترامب والرئيس الروسي فلاديمير بوتين، لا تخفي الصين عزمها المضي قدما لافتكاك الزعامة من القوى العظمى التقليدية كأميركا والاتحاد الأوروبي، لا من الناحية الاقتصادية والتجارية فحسب، بل من خلال تحرّكات سياسية مطردة باتت محل اهتمام العالم، وخاصة دول منطقة الشرق الأوسط التي أصبحت مرمى سياسات بكين لما تضمّه من جاليات صينية مسلمة ضخمة.

ومن خلال تشكيل قوة لمكافحة الإرهاب في الخارج، تتبع الصين استراتيجية اتبعتها القوى التقليدية منذ سنوات طويلة، فلطالما كانت الحرب على الإرهاب المطية التي تدخلت بها الولايات المتحدة أو فرنسا وغيرهما في عدد من الدول.

خلافات حزبية تنذر بتغيير المشهد البرلماني في مصر

أحمد حافظ

❑ **القاهرة** – بدأت الخلافات الحزبية في مصر تتصاعد مع بدء دور الانعقاد الرابع لمجلس النواب، الثلاثاء، على خلفية إعلان حزب مستقبل وطن، صاحب الأغلبية، أنه سيعدّل قانون البرلمان لتحصين نوابه المنتقلين إليه ومنع إسقاط عضويتهم لمخالفتهم مواد القانون الحالي.

ويرتبط الخلاف بإصرار حزب مستقبل وطن، بعد وصول أعضائه إلى قرابة ثلثي أعضاء البرلمان، على سرعة إقرار قانون دمج الأحزاب السياسية.

وتقدم 21 نائبا بمشروع القانون خلال دورة الانعقاد الماضية للبرلمان، يرتكز على حل الأحزاب غير الممثلة في مجلس النواب، وشطب القائمة على أساس ديني، في إشارة إلى حزب النور السلفي الذي يمثله 11 عضوا.

ومن شأن القانون أن يُقصي الأحزاب المناوئة للحكومة، مع إبقاء الداعمين لتوجهاتها. ويعني ذلك أن أكثر من 95 بالمئة من الأحزاب السياسية (عددها 106 أحزاب) مهددة بالاختفاء أو الاندماج قسريا.

وتشير الخلافات إلى أن الخارطة السياسية دخلت مرحلة متقدمة من التغيير. وما يعطي المعركة زخما واضحا، أن تكتل الأغلبية البرلمانية يريد أن يرسم وحده مستقبل المشهد، دون شركاء أو حلفاء، متحصنا بنحو 360 نائبا من أصل 590 عضوا يشكلون قوام مجلس النواب. ويتحرك حزب مستقبل وطن بخطوات حذرة، ويريد أن يشكل ويغيّر ويضيف، وهو يقف على أرضية صلبة، وتحصين أغلبيته البرلمانية أولا من الطعن على عضويتهم أمام محاكم القضاء الإداري، وإمكانية الحكم بفصلهم، لتغيير الصفة الحزبية، لذلك يسعى إلى تمرير قانون مجلس النواب، لتعديل الشروط المرتبطة بإسقاط العضوية، لأن المادة السادسة تحظر على العضو تغيير الصفة المنتخب عليها، وإلا سقطت عضويته بموافقة ثلثي النواب.

وقال مصدر حكومي مسؤول عن إدارة الاتصال السياسي بإحدى الوزارات الخدمية لـ"العرب"، إن هناك تعليمات مشددة بإنهاء طلبات نواب حزب الأغلبية، والتعاطي معها بشكل سلس، مضيفا "غير مسموح بتعطيل الخدمات المرتبطة بهؤلاء الأعضاء، إلا إذا كان يستحيل تنفيذها، ولو قانونية بنسبة واحدة بالمئة، لا بد من تحريكها فورا". وتهدف بعض دوائر الحكم من وراء دعم تعديل قانون البرلمان إلى إغراء برلمانيين آخرين للانضمام إلى حزب مستقبل وطن، ويُعاد تشكيل الحياة الحزبية والسياسية بشكل كامل، ويكون هناك حزب واحد يستطيع إدارة المجلس ولجانه المختلفة، بعيدا عن التشرذم الحزبي.

وتوقع برلمانيون، أن يتم تعديل المادة 110 من الدستور، بالتزامن مع تعديل قانون البرلمان، لأنها أيضا تقف حائلا دون تغيير الصفة الحزبية للنائب، ما يوحي بإمكانية التوسع في تعديل مواد أخرى في الدستور، من بينها مد فترة حكم الرئيس لتكون 6 سنوات بدلا من أربع.

ورأى خالد داوود، عضو ائتلاف المعارضة المدنية، أن التغييرات السريعة في هوية قائد البرلمان، ترتبط بإعادة تشكيل المشهد السياسي في مصر، ليكون هناك حزب جديد يأخذ قوته من ضعف الأحزاب الأخرى وانقسامها على نفسها، مثل "الوفد" و"المصريين الأحرار"، لكن الحزب المستحدث (مستقبل وطن) لن يكون حاكما بالمعنى الحرفي، ويقتصر دوره على خدمة أهداف الحكومة، وهو التغيير الحاصل في المشهد الإعلامي بإقصاء المقربين القدامى وتقديم وجوه جديدة تؤدي الدور نفسه.

وأضاف لـ"العرب"، أن السيناريوهات المقبلة تؤكد التحرك بقوة نحو تعديل الدستور، ويكون المدخل لذلك تعديل قانون مجلس النواب، للإيحاء بأن كليهما مرتبط بالآخر، ومع الاستسلام الشعبي أمام ضغوط الحياة اليومية لن توجد معارضة جماهيرية للخطوة.

وتتعامل بعض الدوائر الأمنية المعروف أنها تسيطر على المشهد السياسي في مصر، مع الدورة البرلمانية الجديدة، باعتبارها فاصلة، وسوف تحسم طريقة انتخاب أعضاء مجلس النواب المقبل، إما بنظام القوائم أو الفردي، فضلا عن تحديد شكل الانتخابات المحلية، والأهم حسم الموقف من تعديل الدستور بما يتوافق مع متطلبات المرحلة.

وأكدت مصدر برلماني لـ"العرب" أن تعديل قانون البرلمان يحظى بدعم وتأييد علي عبدالعال رئيس المجلس، وأن "دور الانعقاد الرابع مفصلي بالنسبة للخارطة السياسية خلال المرحلة المقبلة، شريطة أن يكون الحزب الذي يرسم المشهد يحظى بقواعد شعبية بحيث تلقى التغييرات دعما من الشارع".

وأخفق ائتلاف دعم مصر في بناء قواعد جماهيرية، لأنه كان يدار بفكر الطبقة الأرستقراطية التي ينظر إليها الشارع بريبة، وتركزت تحركاته على دعم المستثمرين وأصحاب الصناعات، ما تسبب في تصدع العلاقة بين الحكومة والبرلمان من ناحية، وبين الحكومة والمواطنين من ناحية ثانية.

> الخلافات على زعامة المشهد تشير إلى أن الخارطة السياسية دخلت مرحلة متقدمة من التغيير، وما يعطي المعركة زخما واضحا، أن تكتل الأغلبية البرلمانية يريد أن يرسم وحده مستقبل المشهد، دون شركاء أو حلفاء

وفي حين بدأ حزب مستقبل وطن يتبنى مسارا مغايرا في علاقته مع الجمهور، من خلال تكثيف الخدمات والمساعدات والاحتكاك المباشر مع الشارع، لخدمة أدواره السياسية، لتكون مقبولة جماهيريا. يركز حزب الأغلبية الجديد على استقطاب وجوه شبابية مقبولة في الشارع للانضمام إلى قاعدته الحزبية في المحافظات المختلفة، وسمح لهؤلاء ببناء علاقات واسعة من نوابه داخل البرلمان، لتتناغم أهدافهما في دعم مساره البرلماني الذي يرمي ليكون حزبا حاكما خفيا بغطاء برلماني كبير.

ويرى مراقبون أن التغيير الجذري في طريقة إدارة مجلس النواب، يؤكد أن الحكومة ترغب في تشكيل حزب حاكم يستطيع أن يصبح ظهيرا سياسيا لدوائر الحكم، وليس للنظام نفسه، بشكل لا يعيد إنتاج الحزب الوطني (المنحل)، ولا تفضل أن يكون الظهير السياسي مجموعة أحزاب متباينة في التوجهات والأفكار، بما يمهّد لمجلس نواب يحكمه حزب واحد وليس ائتلافا يضم عدة أحزاب.

متى سيفرغون من صراعاتهم وينظرون في قضايا الشعب الذي ينوبونه

خرائط غوغل جاسوس أفضل من جيمس بوند

المصادر المفتوحة أداة حيوية لتتبع الصراعات ومكافحة الفساد والتحقيق في الجرائم

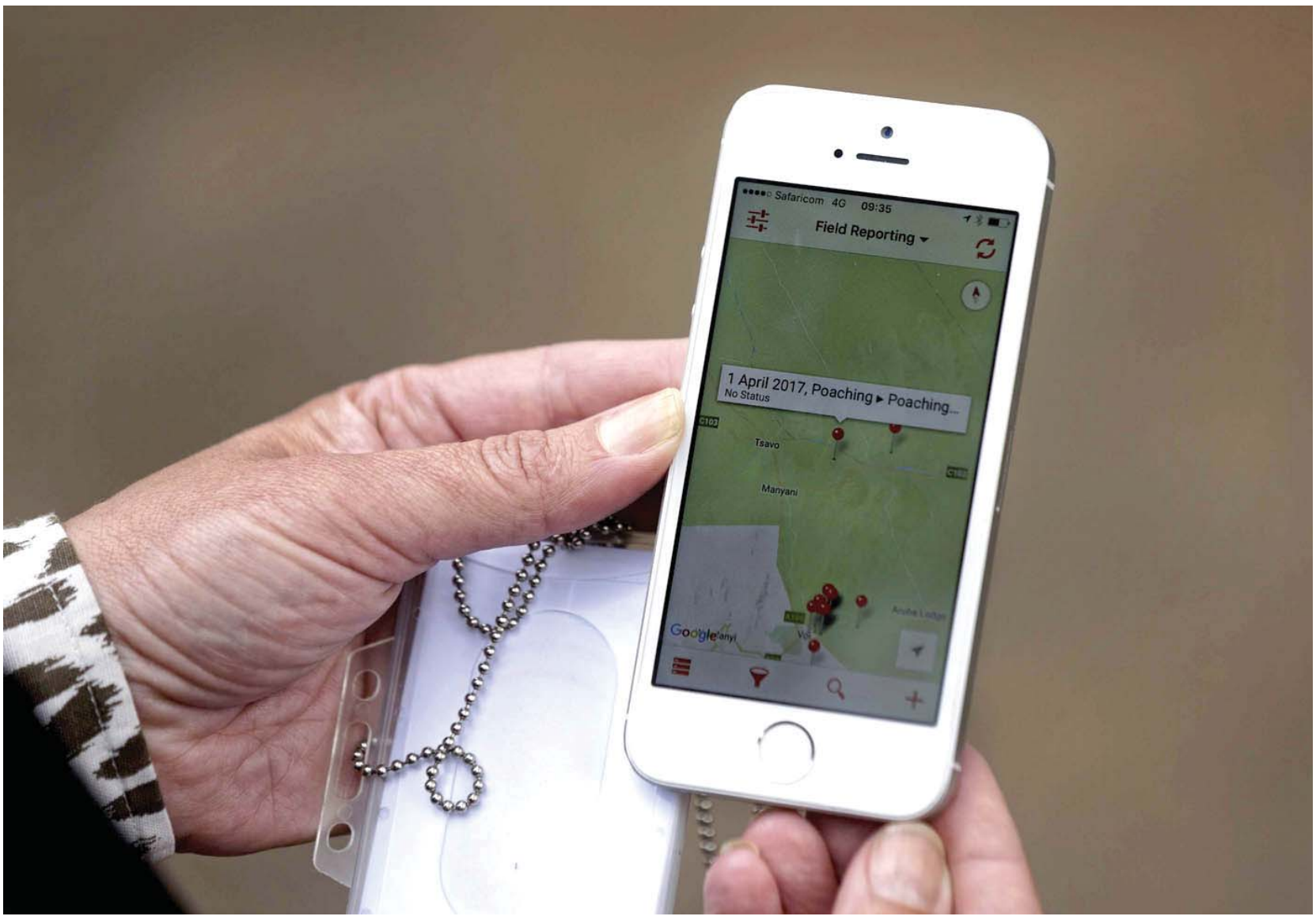

❑ **لندن** – أدلت إيميلي ثورنبيري، العضو في البرلمان البريطاني، مؤخرا ببيان أمام مجلس العموم قالت فيه إن "الاعتماد على ما يُطلق عليها معلومات مخابرات المصادر المفتوحة التي تقدمها جماعات إرهابية محظورة لا تُعد بديلا مقبولا" عندما يتعلق الأمر بتحديد استخدام الأسلحة الكيميائية في سوريا.

واستفزت تصريحات القيادية في حزب العمال نك ووترز، وهو ضابط سابق في الجيش البريطاني، ولديه اهتمام خاص بالصراع في سوريا، وكذلك وسائل الإعلام الاجتماعية والمجتمع المدني والاستخبارات والأمن، فرد عليها في تحليل نشرته مجلة فورين بوليسي بعنوان "خرائط غوغل جاسوس أفضل من جيمس بوند"، أشار فيه إلى أن معلومات مخابرات المصادر المفتوحة أداة حيوية بالنسبة للحكومات ولتدقيقاتها.

افتقار خطير للمعرفة

يعتبر ووترز أن كلمات ثورنبيري تكشف عن افتقار خطير للمعرفة ليس فقط عن الوضع في سوريا لكن أيضا عن الثورة التي أحدثها تحقيق مفتوح المصدر في الدولة القومية والمعلومات المخابراتية التجارية، والصحافة، ومراقبة الصراع.

وفي نظره هذا مقلق من الناحية العملية لأن ثورنبيري هي وزيرة الخارجية في حكومة الظل، أي أنها هي العضو المعارض المسؤول عن مراقبة الشؤون الخارجية والتي يُحتمل على نحو كبير أن تتولى نفس المنصب إذا ما شكل حزب العمال الحكومة البريطانية في المستقبل.

وتشير معلومات مخابرات المصادر المفتوحة، في أبسط صيغة لها، إلى مصادر البيانات المفتوحة، التي يمكن لأي شخص أن يراها أو يقرأها وقتما أراد ذلك. فشبكة الإنترنت، على سبيل المثال، تُعد أكبر مجموعة بيانات للمصادر المفتوحة وُجدت على الإطلاق.

ويصف ووترز الإنترنت بالمستودع، وهي ليست مفيدة لوكالات المخابرات والشركات الخاصة فحسب، بل إنها أصبحت مصدرا حيويا لجماعات المجتمع المدني في تتبع الصراع ومكافحة الفساد، والتحقيق في الجرائم. وفي الحقيقة، فإن الجمهور الديمقراطي يُحتمل أن يثق في معلومات مخابرات المصادر المفتوحة بصورة أكثر من المصادر المغلقة التقليدية.

ومعلومات مخابرات المصادر المفتوحة راسخة لتبقى لفترة طويلة وتستخدمها وكالات المخابرات ووكالات إنفاذ القانون بصورة كبيرة. وكان أول استخدام معلومات مخابرات المصادر المفتوحة على نطاق واسع خلال الحرب العالمية الثانية وبعد ذلك خلال الحرب الباردة.

وقدمت هذه المعلومات سياقا حيويا وفي بعض الأحيان أجزاء رئيسية لمعلومات غير معروفة من قبل لصناع القرار. ويقول وليام دونوفان، رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية الأميركي، والذي أصبح في ما بعد وكالة المخابرات الأميركية "حتى الصحافة المنظمة ستكشف مرارا وتكرارا مصالح بلادها لمراقب مثابر".

ثورة المصادر المفتوحة

منذ ظهور الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي والهواتف الذكية، خضعت مصادر معلومات مخابرات المصادر المفتوحة لثورة، حيث يبُث الناس برغبتهم وعلانية كمية كبيرة جدا من المعلومات عن أنفسهم على شبكة الإنترنت.

وبدأ العاملون خارج مجتمع المخابرات التقليدي الجلوس وتدوين ملاحظات. ووجدت دراسة أجريت في عام 2014، أن

> نك ووترز
>
> تحقيق المصادر المفتوحة ليس ما يطلق عليه تقنية ضعيفة: إنه أداة فعالة ومقبولة ومحققة لتقديم المعنيين للمساءلة

تحديد المكان يمكن أن يؤدي إلى اكتشافات مهمة

حوالي 80 بالمئة من وكالات إنفاذ القانون اتحاديا، وعلى مستوى الولاية، ومحليا في الولايات المتحدة تستخدم منصات التواصل الاجتماعي كأدوات لجمع معلومات مخابراتية.

وبدأت شركات بيانات المخابرات التجارية البحث العميق في مستودعات هائلة من البيانات على الإنترنت وتحويلها إلى تهديد مخابراتي للمشروعات. كما بدأ المجتمع المدني في تبني تحقيق المصادر المفتوحة، مستخدما إياه لتعقب انتشار الأسلحة النووية والكيميائية، ومراقبة الصراع، وإخطار الصحافة الاستقصائية. وأحد مواطن القوة الرئيسية لتحقيق مفتوح المصدر هو أن المصادر والمنهجية على وجه الدقة مفتوحتان.

وأي شخص عنده اتصال بشبكة الإنترنت يمكنه متابعة منطق المحللين والحصول على المعلومات من نفس المصادر، وانتقاد التقنيات المستخدمة. وهذا لا يمنع محللي المصادر المفتوحة من تنفيذ نفس التحليل الصارم المتوقع من المصادر المغلقة. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا لا يعني أن الأخطاء في الحيثيات يمكن تحديدها واستدعاؤها بسهولة أكبر من قبل آخرين.

والبعض، من أمثال ثورنبيري، ربما يشككون في المصادر المستخدمة، وبالتأكيد فإنها كميات غير معروفة ولا يمكن الوثوق بها؟ وهذا سؤال مشروع، ولهذا السبب يتم تحليل المصادر المفتوحة والتأكد منها قبل تضمينها. هل يعرض مقطع مصور ما يزعم أنه يعرضه؟ هل تم أخذه إلى الموقع المزعوم؟ وفي أي وقت تم أخذه إلى هناك؟ وهل تتم إعادة توجيه وسائل الإعلام القديمة لحدث جديد؟

عادة ما يمكن الرد على جميع هذه الأسئلة، وأسئلة أخرى، باستخدام تقنيات قام بتطويرها مجتمع المصادر المفتوحة. فعملية تحديد المواقع الجغرافية أصبحت رئيسية بالنسبة لعملية التحقق هذه. ويذكر ووترز مجموعة من التقنيات التي يمكن استخدامها في عملية التحقق من ذلك: استخدام التفاصيل في الصور أو المقاطع المصورة لتحديد الموقع الدقيق الذي تقع فيه الأحداث، وفي بعض الأحيان بدقة بالبوصة أو ما شابه. وبمجرد معرفة للموقع، يمكن استخدام الظلال لتحديد الزمن.

ويمكن الإشارة إلى تفاصيل أخرى، مثل بيانات الطقس التاريخية، والصور التي يلتقطها القمر الاصطناعي بصورة يومية ومعدل إنشاء المباني، لاختبار ما إذا جزء من وسائل الإعلام متسق مع ما يزعم. وحتى الزيادة المفاجئة في المنشورات على وسائل التواصل الاجتماعي وحدها يمكن استخدامها لتحديد ما إذا كان الحدث قد وقع، مما ينتج عنه نظام إبلاغ متخصص يمكن أن يكون أكثر سرعة من الطرق التقليدية.

وما هذه إلا بعض التقنيات التي يستخدمها مجتمع المصادر المفتوحة، الذي يبتكر باستمرار لضمان أنه يمكنه التحقق من البيانات. ويقول ووترز "يمكن رؤية ذروة هذا النوع في التحقيق المتعلق بأمير الحرب الليبي محمود الورفلي والذي قامت به بلينكات، وهي مجموعة تحقيق المصادر المفتوحة وأنا عضو في هذه المجموعة. ويُفصل المقطع المصور أدناه (الذي يحتوي على مشاهد قتل) كيف أنها قامت بالتحقق من وسائل إعلام الإعدام الجماعي، باستخدام صور القمر الصناعي، والظلال، وتحديد الموقع الجغرافي".

ويشير إلى أن تحديد المكان الذي وقع فيه الحدث بالتحديد يمكن أن يؤدي إلى اكتشافات مهمة. ويستحضر هنا كيف أن تحديد الموقع الجغرافي للمقاطع المصورة الذي يصف الغارات في سوريا والذي نشرته وزارة الدفاع الروسية حدد أنه على الرغم من الإدعاء باستهداف تنظيم الدولة الإسلامية، فإن هذه الغارات كانت تقصف في الحقيقة البنية التحتية المدنية في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة.

الملف المخادع

تتناقض هذه القدرة على التحقق علانية من المصادر تماما مع طبيعة معظم أنواع المخابرات الأخرى، والتي تحمي مصادرها وطرقها عن طريق حجاب من السرية خشية كشفها. وعلى الرغم من أن سرية العمليات المخابراتية أمر أساسي، فإن هذه السرية استخدمت في بعض الأحيان لإخفاء أخطاء ولإخفاء الافتقار إلى التقدير المناسب.

ويعد ما وصفه ووترز بـ"الملف المخادع" الذي ساعد في تبرير حرب الخليج الثانية مثالا واضحا، فالطبيعة المفتوحة لهذه الأنواع من التحقيقات وعملية التحقق الصارمة التي يستخدمها محلل المصادر المفتوحة، تجعلانها في الحقيقة ذات ثقة أكبر من التحقيقات التي تستخدم تقنيات كثيرة أخرى.

ويعود ووترز إلى تصريحات ثورنبيري، مشيرا إلى أنها لا توضح فقط الافتقار إلى المعرفة عن قوة واحترام تحقيقات المصادر المفتوحة، لكن تعرض أيضا سوء فهم مقلقا عن المعلومات الصادرة من سوريا. وعلى الرغم من أنها ليست دولة غنية، فإن سوريا لديها بنية إنترنت تحتية عاملة، وقد ازداد بالفعل عدد المواطنين السوريين الذين يستخدمون الإنترنت خلال الصراع من 21 بالمئة في عام 2010 إلى قرابة 30 بالمئة في عام 2016.

خلال الصراع، أثنى مواطنون وجماعات معارضة على هذه البنية التحتية، والذين أدركوا أن الاتصال بالإنترنت إحدى الأدوات المهمة التي يجب أن تكون لدى المواطن. وعن طريق تصوير مقاطع مصورة والتقاط صور للغارات الجوية والقصف المدفعي، استطاعوا دحض الصور المشوهة التي صورها النظام على أن الشعب بأكمله إرهابي، وهي نفس "الافتراءات التي كررتها ثورنبيري في البرلمان" منذ أسبوعين، وفق واترز.

الغالبية العظمى من معلومات المصادر المفتوحة التي تصدر من سوريا تأتي من مواطنين عاديين ومن المجتمع المدني المحلي؛ فمثلا لعب ما بات يعرف بـ"المواطنين الصحافيين" دورا في نشر مقاطع مصورة صادمة من خان شيخون والتي التقطها من يقومون بالإسعافات الأولية وأطباء وصحافيون محليون ونشطاء حول أطفال يختنقون حتى الموت بعد هجوم شنه النظام السوري بغاز السارين.

ووثق عدد كبير من العاملين في المجتمع المدني في المناطق التي يسيطر عليها المتمردون جرائم حرب ارتكبها النظام، بما في ذلك الهجمات الكيميائية والحارقة والهجمات بالقنابل العنقودية بتفاصيل مدهشة.

وكان الدفاع المدني السوري، المعروف باسم أصحاب الخوذ (القبعات) البيضاء، له دور فعال في تقديم وسائط إعلامية منتظمة ومؤكدة من هذا النوع والذين أصبحت تكرههم روسيا والنظام السوري، وخضعوا لحملة تشويه ضخمة واستهدفتهم غارات جوية بقوة.

أداة قوية ومحترمة

يأتي قسط كبير من معلومات المصادر المفتوحة، بالطبع، من المعارضة، كما يأتي بالفعل جزء من النظام وحلفائه. وهذا هو السبب وراء أن عملية التحقق التي كانت جماعات مثل بلينكات رائدة فيها مهمة جدا.

وفضلا عن التخلي دون قصد عن معلومات حيوية يمكن أن تكشف عمليات أو أسرار بصورة مباشرة، فإن هذه المصادر من المقاتلين اعتادت على اقتفاء الخسائر البشرية من سجل وفيات المقاتلين، وفهم التطور الذي تم في ما يتعلق بالسيارات المفخخة، وكشف مدى برنامج الطائرات المسيرة التابع لتنظيم الدولة الإسلامية. وأجريت كل هذه التحقيقات غالبا باستخدام مصادر من المقاتلين، لكن المعلومات كان يتم التحقق منها.

وحيث أن هذه المصادر من المقاتلين مازالت تمتلك معلومات مهمّة فقد اعترفت بها هيئات دولية وهيئات محترمة، مثل المحكمة الجنائية الدولية، ومنظمة حظر الأسلحة الكيميائية.

العام الماضي، نشرت المحكمة الجنائية الدولية أول أمر اعتقال بناء على مقاطع مصورة لإعدامات جماعية تم بثها على وسائل التواصل الاجتماعي بصورة رئيسية. واستخدمت منظمة حظر الأسلحة الكيميائية، أثناء التحقيق في الهجمات الكيميائية على سوريا، مقاطع مصورة وصور من حوادث المصادر المفتوحة، والتي تحققت منها واستخدمتها للتأكد من حقيقة شهادة الشهود.

> معلومات مخابرات المصادر المفتوحة تشير إلى مصادر البيانات المفتوحة التي يمكن لأي شخص أن يراها. وشبكة الإنترنت، تعد أكبر مجموعة بيانات للمصادر المفتوحة وجدت على الإطلاق

واستخدم فريق التحقيق المشترك، الذي يحقق في غرق الرحلة 17 التابعة للخطوط الجوية الماليزية، والتي كانت تقل على متنها 298 مسافرا قتلوا جميعا، مقاطع مصورة وصورا لاقتفاء أثر نظام صواريخ بوك الذي أطلق السلاح لدى نقله من روسيا إلى أوكرانيا.

ويشدد نك ووترز على أن تحقيق المصادر المفتوحة ليس ما يطلق عليه تقنية ضعيفة: إنه أداة فعالة ومقبولة ومحققة لتقديم المعنيين للمساءلة؛ وحيث أن ثورنبيري تختار وصم العاملين بالمجتمع المدني بأنهم "إرهابيون" وعدم أخذ شهادتهم في الاعتبار فإن الدليل المحقق غير مؤسف فقط، لكن غير إنساني وخاطئ أيضا.

ويخلص قائلا "تم تطوير ما يُطلق عليها معلومات مخابرات المصادر المفتوحة لتصبح أداة قوية ومحترمة، قادرة على الكشف عن أسرار مخفية عن مجال الرؤية. وفي حالة سوريا، فإن الغالبية العظمى لهذه المعلومات تأتي من المجتمع المدني والمواطنين العاديين. إنهم ببساطة أشخاص عاديون يسجلون القتل على نطاق واسع حولهم على أمل أن شخصا ما في مكان ما يشاهده".

سياسي في الحرب مقاتل في السلم

أكرم شهيّب

رقم صعب في الرقص مع شياطين لبنان وملائكته

صلاح تقي الدين

❏ شكّلت الأزمة الأخيرة التي عصفت بطائفة الموحدين الدروز في لبنان نتيجة مقتل الشاب علاء أبي فرج في مدينة الشويفات الساحلية على يد المرافق الأمني للنائب طلال أرسلان، فسحة إضافية للأخير ليصّب جام غضبه مجددا على من يسميه "نائب الصدفة" أكرم شهيب.

غير أن الواقع يشي بأن شهّيب قد يكون في الواقع شوكة في خاصرة أرسلان، فقد تمكّن منذ ترشحه إلى الانتخابات النيابية في دائرة عاليه للمرة الأولى في العام 1992، وخلال كل دورة انتخابية لاحقة، من الفوز بأصوات تفوق بأضعاف نسبة أصوات من يفترض أنه حامل لواء زعامة "اليزبكيين" التاريخية، ما جعله رقما صعبا في خيارات وليد جنبلاط الانتخابية.

> شهّيب واحد من بين الذين نشطوا في إتمام وإنجاز المصالحة الشهيرة التي تمت من خلال زيارة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير إلى المختارة، ودافع عنها ولا يزال من خلال الانفتاح على المكّون المسيحي «الشريك في الجبل»، حيث تولّى ولا يزال إلى غاية اليوم، ملف العلاقات مع «القوات اللبنانية» ورئيسها سمير جعجع الذي يلتقيه بانتظام

ولعلّ الشعور بالمرارة يكبر لدى أرسلان نتيجة انتماء عائلة شهيب تاريخيا إلى الجناح "اليزبكي" لدى الدروز، غير أن شهيب الذي انتمى باكرا إلى "الحزب التقدمي الاشتراكي" خاض في صفوف الحزب نضالا بدأه مقاتلا مع رفاقه من أبناء المدينة والمنطقة خلال الحرب الأهلية السيئة الذكر، ثم مسؤولا سياسيا مقربا من جنبلاط، تمكّن بعدها بسبب تواضعه و"شعبيته" من "جذب" معظم أبناء عائلته إلى الجناح "الجنبلاطي" في الطائفة.

شهيب من مواليد العام 1947 ويحمل ماجيستير في التاريخ بدأ حياته استاذا للمادة في مطلع السبعينات من القرن الماضي قبل أن تلفح الحرب الأهلية منطقة الجبل. فانخرط مثله مثل سائر أبناء المنطقة في هذه الحرب دفاعا عن "القضية".

في هذا الإطار يقول شهيب لـ"العرب" إن "انخراطنا في الحرب كان دفاعا عن قضية لبنان من وجهة نظرنا كما كان الفريق الآخر يدافع عن القضية نفسها لكن من منظاره هو".

مع الحريري الأب بشغف

غير أن شهيب انتقل من "العسكرة" إلى السياسة في العام 1984 عندما طلب منه جنبلاط الانتقال إلى دمشق لترؤس مكتب "الحزب التقدمي الاشتراكي" في العاصمة السورية، فبدأ فعليا مرحلة جديدة من نضاله حيث تعرّف إلى معظم القيادات السياسية وشارك في الاجتماعات التي كان يعقدها جنبلاط مع المسؤولين السوريين، وكانت نتيجتها أن اختاره رئيسه ليكون من ضمن الفريق الذي رافقه إلى مؤتمري جنيف ولوزان اللذين دعا إليهما الرئيس السابق أمين الجميل للبحث في إنهاء الحرب الأهلية، وهناك تعرّف شهيب إلى رفيق الحريري.

ومع عودة الفرقاء إلى لبنان اختار جنبلاط شهيب ليكون مسؤولا عن مكتب "الحزب الاشتراكي" في بيروت، فكانت بداية بناء علاقة مباشرة ووطيدة مع الرئيس نبيه بري كرئيس لحركة "أمل" التي تقاسم "الاشتراكي" معها السيطرة على بيروت "الغربية" بعد خروج جيش الجميل منها وتصفية حركة "المرابطون" وعودة جيش الوصاية السوري إلى أحيائها.

ومع اتفاق الطائف الذي أنهى الحرب الأهلية ونص في بنوده على استحداث مقاعد نيابية إضافية في مجلس النواب، اختير شهيّب ليكون نائبا معيّنا عن دائرة بيروت بعدما نقل المقعد الدرزي الإضافي الذي كان مخصصا لقضاء عاليه إلى العاصمة بيروت.

وتجدر الإشارة إلى أن المقعد الدرزي الإضافي الذي كان قد تم الاتفاق في مجلس الوزراء على تخصيصه لقضاء عاليه على اعتبار أن في هذا القضاء يشكّل الدروز نسبة 52 بالمئة من السكان مقابل 48 بالمئة للمسيحيين، في الوقت الذي يوجد فيه للدروز مقعدان مقابل ثلاثة مقاعد للمسيحيين، قد تم إسقاطه في القانون الانتخابي بعد تدخل من الأميرة خولة أرسلان، والدة طلال، مع رئيس مجلس النواب في حينها الرئيس حسين الحسيني، لنقل المقعد الذي كان حكما سيؤول إلى من يسميّه جنبلاط، ولكي لا يتحكّم الأخير بالقرار الدرزي في القضاء الذي كان تاريخيا معقلا "لليزبكيين". لكن جنبلاط الذي كان قد سمّى شهّيب لشغل هذا المقعد، أعلن في حينها أنه رغم نقل المقعد إلى بيروت إلا أن المرشح سيبقى نفسه، وهكذا كان.

لكن في العام 1992، وفي الانتخابات النيابية الأولى التي تجري بعد الطائف، ترشح شهيب عن المقعد الدرزي في قضاء عاليه وحاز على 10 آلف صوت أكثر من الأصوات التي نالها أرسلان رغم ترشحهما على الائحة نفسها، ويستمر في شغل هذا المقعد منذ ذلك الحين.

وبعدما فاز في انتخابات العام 1996 عن دائرة عاليه، عيّن للمرة الأولى وزيرا للبيئة في حكومة الرئيس رفيق الحريري بين 7 أكتوبر 1996 و4 ديسمبر 1998، وفي هذه الحقيبة الوزارية بالذات، يقول شهيب لـ"العرب" إنه "تولاها بشغف انطلاقا من حبّه للطبيعة ورؤيته لبيئة نظيفة شبيهة بمحمية أرز الشوف التي أتولى نيابة رئاستها وأمارس في ربوعها رياضة المشي أسبوعيا".

ويضيف أنه حاول "الوقوف بوجه وحوش الكسارات والمرامل قدر الإمكان، لكن المعضلة الأكبر التي كانت تؤرقني في حينها هي مسألة النفايات التي كنت متيقنا أننا سنصل إلى أزمة كيفية التخلص منها بعدما كانت التقارير التي تصلني تفيد بقرب وصول مكب الناعمة إلى طاقته الاستيعابية القصوى وعدم وجود خطة بديلة".

وتابع شهيّب اهتمامه بهذا الموضوع الشائك بسبب توليه رئاسة لجنة البيئة النيابية واستقطب خبراء بيئيين "غير سياسيين" للاطلاع على مشاريعهم للحلول، ثم بعد جميع هذه المشاريع تقدّم بخطة من جزأين؛ مؤقتة ومستدامة لحل أزمة النفايات، لكن "النفايات" السياسية حالت دون إقرارها واعتمادها.

وفي انتخابات العام 2000 التي أجريت بموجب قانون ضم قضاءي عاليه وبعبدا في دائرة انتخابية واحدة، فاز شهيب بالمقعد النيابي، غير أن ذلك العام شهد انعطافة في مسار كتلة "اللقاء الديمقراطي" التي يرأسها جنبلاط إذ بدأ بالتحول تدريجيا نحو معارضة النظام الأمني السوري اللبناني الذي كان يهيمن على البلد في ظل عهد الرئيس السابق أميل لحود، ثم أطلق موقفه الشهير من مجلس النواب مطالبا بالانسحاب التدريجي للقوات السورية باتجاه البقاع تطبيقا لاتفاق الطائف، ملاقيا بذلك موقف المطارنة الموارنة الشهير ولقاء "قرنة شهوان" المعارض.

كان شهّيب من بين الذين نشطوا إلى جانب جنبلاط في إتمام وإنجاز المصالحة الشهيرة التي تمت من خلال زيارة البطريرك الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير إلى المختارة، ودافع عنها ولا يزال من خلال الانفتاح على المكّون المسيحي "الشريك في الجبل"، حيث تولّى ولا يزال إلى غاية اليوم، ملف العلاقات مع "القوات اللبنانية" ورئيسها سمير جعجع الذي يلتقيه بانتظام.

ولم تكن تلك المرحلة لتمر بهدوء وخصوصا بعدما بدأت ملامح سعي الرئيس لحود إلى التمديد مدعوما من النظام السوري، فكان الاجتماع الشهير للمجلس النيابي الذي أقر التمديد للرئيس لحود في العام 2004 في حين كان شهيب من ضمن "لائحة الشرف" التي لم تصوت لصالح التمديد، فبدأت الظروف الأمنية تشتد على كل أعضاء اللقاء الديمقراطي وفي مقدمهم شهيب الذي كان صوته معارضا للحود مدويا.

في السجن تحت التهديد

وبعد اغتيال الحريري تصاعدت حدة المعارضة بوجه نظام الوصاية السوري وكان شهيب يعتبر أحد صقور فريق 14 آذار. يقول لـ"العرب" عن تلك المرحلة "لا أنسى تلك الفترة التي اضطررنا خلالها إلى الإقامة في فندق الفينيسيا كما لو كنا داخل سجن. فالخطر الأمني كان يلاحقنا وتم اغتيال مجموعة من رفاقنا سقطوا أمامنا الواحد تلو الآخر، ونحن ننتظر متى يحين دورنا. لكن إرادة الصمود كانت أقوى".

وبعد الانتخابات النيابية التي جرت في العام 2005، فاز شهيب إلى جانب زميله السابق والحالي فيصل الصايغ عن المقعدين الدرزيين في دائرة عاليه، في رسالة صارخة أرسلها جنبلاط إلى أرسلان الذي كان من مؤيدي لحود والنظام الأمني السوري، فجاءت أرقام شهيّب الانتخابية لتؤكد المؤكّد؛ لولا سماحة جنبلاط مع أرسلان، لتكرّرت النتيجة في كل دورة انتخابية: شهيب هو الرقم الصعب في عاليه.

لكن الفترة الرئاسية "الممدة" للحود انتهت، ولم يتمكن المجلس النيابي من الانعقاد لانتخاب خلف له، وكادت الأحوال الأمنية تتدهور في ظل المواقف المتشنجة من قبل مختلف الفرقاء السياسيين، فكانت دعوة فرنسية إلى عقد مؤتمر للحوار في ضاحية "سان كلو" الباريسية، فشارك شهيب فيها إلى جانب الوزير مروان حمادة ممثلين لرئيس اللقاء الديمقراطي في محاولة للوصول إلى تفاهم ينهي الفراغ الرئاسي ويفضي إلى انتخاب رئيس جديد.

غير أن الرياح لم تجر كما اشتهت السفن الفرنسية، فعاد الوضع إلى التأزم مع بقاء حكومة الرئيس فؤاد السنيورة المحاصرة في السراي الحكومي من أنصار فريق الثامن من آذار بقيادة "حزب الله" وكان أثناءها شهيّب يزور من حين إلى آخر السنيورة في السراي موفدا من جنبلاط "لشد أزره ودعمه في الصمود".

غزو حزب الله لبيروت

وقعت أحداث 7 و11 أيار في العام 2008 التي نجح فيها "حزب الله" في السيطرة على العاصمة بيروت، لكنه عجز عن استكمال حملته باتجاه الجبل، وبطبيعة الحال كانت منطقة عاليه محورا رئيسيا في مواجهة قوات الحزب، وبطبيعة الحال كان أكرم شهيب في القيادة مجددا.

وبعد مؤتمر "الدوحة" الذي انعقد بعدما لاحت ملامح الحرب الأهلية مجددا أمام اللبنانيين، تم انتخاب الرئيس العماد ميشال سليمان رئيسا للجمهورية وعادت الحياة النيابية لتنتعش مجددا ولعب شهيب دوره الطبيعي كرئيس للجنة البيئة في دفع القوى السياسية نحو تبني مشروع لحل أزمة النفايات "الآتية لا محالة" لكن السمسرات وتضارب مصالح حيتان المال حالت دون ذلك.

وفي الحكومة الأولى التي ألّفها الرئيس سعد الحريري، عيّن شهيب وزيرا للمهجرين، لإدارة الملف الذي كان عايشه في يومياته منذ مطلع الحرب الأهلية وبعد نهايتها، فرعى العديد من المصالحات في قرى الجبل، وساهم في إقفال بعض ملفات التعويضات العالقة، لكن عمله في الحكومة لم يكتمل بعدما مارس فريق التيار الوطني الحر بقيادة رئيسه الوزير جبران باسيل لعبة "الاستقالة" من الحكومة مع الثالث الضامن ما أدى إلى دخول البلاد في أزمة سياسية جديدة.

دخلت البلاد مجددا في الفراغ الرئاسي، لكن هذه المرة بوجود شهيّب كوزير للزراعة في الحكومة التي شكّلها الرئيس تمام سلام، فكان أحد "الرؤساء الـ24" في الحكومة وهو الوصف الذي أحب باسيل أن يطلقه عليها، حيث أنها تولّت مؤقتا صلاحيات رئيس الجمهورية "مجتمعة" إلى حين انتخاب رئيس جديد، وهو ما حصل في أكتوبر 2016 مع انتخاب الرئيس ميشال عون.

محاصرة المختارة

خاض شهيب انتخابات العام الحالي وفقا لقانون النسبية والصوت التفضيلي، وهو القانون الذي يصفه بأنه "قانون أغدر بأخيك أو قانون الخنجر المسموم".

ويقول شهّيب لـ"العرب" إن هذا القانون أقر وغايته الواضحة "تحجيم وليد جنبلاط ومحاصرة المختارة. ورغم مبادرة مدّ اليد التي أعلنها جنبلاط إلا أن باسيل رفض اليد الممدودة، وتحالف مع أرسلان وقوى أخرى في الجبل، بوجه لائحة المصالحة التي أعلنها جنبلاط مع القوات اللبنانية وتيار المستقبل وشخصيات مسيحية مستقلة".

ويضيف "الحادثة الأليمة التي وقعت في الشويفات زادت من الطين بلة، خصوصا أن القاتل هو من أقرب المقربين إلى أرسلان، وقد تم تهريبه إلى سوريا حيث ظهر مؤخرا برفقته، واستشرس أرسلان في هجومه علينا، خصوصا بعد تمسّك وليد بك بحقنا الطبيعي في التمثيل بثلاثة وزراء دروز في الحكومة العتيدة".

واللافت في نتائج الانتخابات أن شهّيب فاز بضعف عدد الأصوات التفضيلية التي حصل عليها أرسلان، وفي مسقط رأسه في مدينة الشويفات تحديدا، حيث حاول القاتل نفسه تحطيم صندوق الاقتراع لإلغاء النتائج بعدما كانت نسبة الاقتراع فيه تظهر بوضوح تفوّق شهيب عليه.

واليوم، ينتظر شهيب تشكيل الحكومة العتيدة التي رشّحه جنبلاط لتولي إحدى الحقائب الدرزية الثلاث فيها التي يطالب بها، ما يزيد من امتعاض أرسلان وقلقه.

> فريق 14 آذار يعتبر شهيب أحد صقوره. يقول لـ«العرب» إنه لا ينسى تلك الفترة التي «اضطررنا خلالها إلى الإقامة في فندق الفينيسيا كما لو كنا داخل سجن. فالخطر الأمني كان يلاحقنا وتم اغتيال مجموعة من رفاقنا سقطوا أمامنا الواحد تلو الآخر ونحن ننتظر متى يحين دورنا. لكن إرادة الصمود كانت أقوى»

● شعور بالمرارة يكبر لدى طلال أرسلان نتيجة انتماء عائلة أكرم شهيب تاريخيا إلى الجناح "اليزبكي" لدى الدروز.

● شهيب الذي خاض غمار الحرب الأهلية يقول لـ"العرب" إن "انخراطنا في الحرب كان دفاعا عن قضية لبنان من وجهة نظرنا".

● شهيب ينتظر اليوم تشكيل الحكومة العتيدة التي رشّحه جنبلاط لتولي إحدى الحقائب الدرزية الثلاث فيها التي يطالب بها.

الرسام والناقد وما بينهما الشاعر

طلال معلا

الذي رأى وجهه في وجوه الآخرين

فاروق يوسف

❑ يحدثك عن الآخرين، كما لو أنهم المرايا التي يرى من خلالها ذاته. يمكن أن يكون ذلك الأمر مفهوما لو عدنا إلى شغفه في قراءة تجارب الفنانين العرب نقديا. هو ناقد مثلما هو رسام.

غير أنه يحدثك عن المواقع الأثرية السورية فتشعر أنه يتنقل بك بين غرف بيته. إنه يصف بطريقة ساحرة. وهو ما لم نألفه في رسومه أو كتاباته الشعرية.

متاهتان وحياة واحدة

ينسى المرء في دروب المتاهة التي تشكل لغز حياة طلال معلا أن كل شيء فيه يصدر عن روح شاعر. الشعر بالنسبة له موقف من الذات، حين يرسم وهو موقف من العالم، حين يكتب.

أعانته اللغة المشدودة والمتوترة التي تمكن منها على سبر طبقات خفية من النفس البشرية. لذلك لم يشعر بالحاجة إلى أن يكون تجريديا لكي يبدو غامضا. كل ما فعله هو محاولة لتفكيك أسرار الغموض الذي يحيط بالإنسان.

> «بؤس المعرفة في نقد الفنون البصرية» هو آخر كتاب أصدره معلا. وبالرغم من اليأس الذي يوحي به العنوان، فإن محتوى الكتاب يؤكد على أن النقد ضروري حتى في ظل انتشار الفنون المعاصرة التي يسعى المشرفون عليها إلى إلغاء دور الناقد في الحياة الفنية

غلبته المرايا كما لو أنه بورخيس الرسم. لم تكن المرايا مقصودة لذاتها بل كانت الفاصلة بين ما هو واقعي وما هو حقيقي. رسوم معلا تبدو كما لو أنها تنتمي إلى تيار التعبيرية الواقعية غير أنها في حقيقة ما تنطوي عليه إنما تذهب أبعد من التعبير عن الواقع إلى الحاجة إلى صنع واقع شعري بديل ينسجم مع الحقيقة.

ينسى الشاعر الكثير من التفاصيل التي يتذكرها الرسام فيما يسد الناقد الثغرات التي تقع في الذاكرة. وهنا لا بد من النظر إلى تجربة معلا باعتبارها كلا متكاملا لا يمكن تجزئته.

غير أن المدهش فيه أنه كان ولا يزال يجد الوقت لكي يؤسس لمشاريع، لا علاقة لها بنزعاته الوجودية في الشعر والرسم ولا ترتبط بالضرورة بمشروعه النقدي بشكل مباشر. لقد تعلم من خلال كدح الباحث أن يتوسع في رؤيته فكانت الطرق الرئيسة تقوده إلى طرق ثانوية أصغر منها.

هناك في حياة معلا متاهتان. الأولى شق دروبها بنفسه والثانية هي من صنع القدر. قدره الشخصي الذي قاده إلى مناطق لم يكن يأمل الوصول إليها.

ولد طلال جودت معلا في اللاذقية عام 1952. درس اللغة العربية في جامعة تشرين بدمشق. بعدها تابع دراسة تاريخ الفن في روما. ومن يومها امتزج الرسم لديه بالكتابة. فهو كاتب يرسم وهو أيضا رسام يكتب.

بدأ ذلك الامتزاج في مرحلة مبكرة من حياته. غير أن معلا تأخر في إصدار كتابه الشعري 'عزف منفرد على الطبل' إلى عام 2000. وكما أرى فإن السبب في ذلك يعود إلى أنه سعى أن يؤخر خطوات الشاعر، بعد أن انهمك في مشاريعه التي تتعلق بالتشكيل 'المركز العربي للفنون بالشارقة' وبينالي الشارقة للفنون التشكيلية ورئاسة تحرير مجلة الرافد ما بين سنتي 1993 و1997 ومن بعدها مجلة الصورة. كما كان مشرفا على ندوات عربية وعالمية، كانت تُقام بموازاة بينالي الشارقة.

كتبه النقدية تتوزع بين التأليف والجمع الذي يسبقه إعداد وتقديم. من كتبه المؤلفة "نجاة مكي" و"عبدالرحيم سالم" و"المؤتلف والمختلف الانفتاح على المرئي في تجربة الإمارات" و"العالم الضال. انحراف الرؤيا في الفنون" و"أوهام الصورة" و"المحترف الإماراتي. الذاكرة، الانتماء" ومن الكتب التي جمعها "الفنون الفطرية في التشكيل العربي" و"النقد والإبداع" و"الفن والعنف" وهي حصيلة ندوات أعد لها وأشرف عليها الفنان السوري في الشارقة.

"بؤس المعرفة في نقد الفنون البصرية" هو آخر كتاب أصدره معلا. وبالرغم من اليأس الذي يوحي به العنوان، فإن محتوى الكتاب يؤكد على أن النقد ضروري حتى في ظل انتشار الفنون المعاصرة التي يسعى المشرفون عليها إلى إلغاء دور الناقد في الحياة الفنية.

"صمت" هو عنوان معرضه الشخصي الذي أقامه في مدينة غوتنغن الألمانية عام 2005. في ذلك المعرض روى معلا سيرته في الفن كما في الكتابة وقبلهما في الحياة. شيء من الغموض يحيط بالعنوان. فكل الصخب الذي مارسه معلا رسما وكتابة كان بالنسبة إليه نوعا من الصمت الذي يعد بحكمته من غير أن يمهد لصرخة احتجاج، كانت رسومه وكتاباته قد انطوت عليها منذ البدء.

"لوحة تكون مرآة، تجسد اختياري لتصوير الوجوه في شعرية صمتها، وشعائرية تحققها باعتبار كل هذه الوجوه وجهي. فلطالما تأملتها كيانا متوحدا بفرديتي وعوالمي السرية التي ترفض التفسير أو إضفاء المؤثرات التي تتكئ عليها الوجوه وهي تتفرس مخترقة نثرات الفضة كمادة مرآتية تخلق الانعكاس وتجتذب العقل وتلغي فعل العين في مواجهة انعكاسها ووظيفتها في توليد لحياة" يقول معلا في محاولة منه لتفسير ما يفعل.

"هذا هو وجهي وإن بدا أنه لا يشبهني" لم يقلها غير أن تلك الجملة تلاحقه مثل شبهة. ذلك لأنه باعتباره رساما لا ينتبه إلى تقديرات الناقد الذي يسكنه. بالنسبة للرسام فإن الآخر هو أناه. وهي أنا تظل عصية على السيطرة ما دامت تظهر بصور مختلفة. أما الناقد فإنه يرصد سيرة الآخرين كما هم، بما يقترحونه من خلال صورهم.

كان معلا مسكونا برؤى الإيرلندي فرانسيس بيكون القلقة من غير أن يتبع أثره على مستوى الشكل. لقد خُيل إليه أن كل مَن يجلس أمامه ليرسمه سيكون نسخة منه. النسخة التي تحرره من واقعيته.

لا يزال يرسم محكوما بلعنة وحدته. الكائن الذي يرى وجهه وقد توزع مثل شظايا بين الوجوه التي لم تعد تذكر بماضيها.

الناقد المتمرد على أناه

بالنسبة لمعلا فإن الفصل بين الرسام والناقد ممكن بطريقة ميسرة. ذلك لأنه نفسه عمد إلى أن يبقي الرسام سجين محترفه، أما الناقد فقد مضى بخصوصية أدواته ليزاول مهنته في المتعة البصرية والمعرفية من غير أن يكون الرسام رقيبا عليه.

لقد رأى معلا تجارب الآخرين من الرسامين وكتب عنها وحللها من غير أن يعود إلى الرسام الذي يسكنه. وهي صفة نادرة بالنسبة لمَن يمارس النقد والرسم معا.

وكما أرى فإن ناقدا بحجم معلا يعرف جيدا أن الآخرين يقيمون في مناطق لا يرغب الرسام الذي يسكنه في الإقامة فيها. وهنا يكمن السر الذي يقف وراء قبوله بتجارب الآخرين من منطلق الأخوة في العمل لا من منطلق التنافس على شيء قد لا يكون موجودا.

لقد تحرر معلا ناقدا من أناه التي هي مرشده في ليل الرسم وصار يرى في تجارب الآخرين الفنية نوعا من الدافع لاكتشاف ما لم يكن ذلك الرسام قد اكتشفه.

يمارس معلا النقد الفني محترفا كما لو أنه لم يرسم من قبل.

إنه يباشر النقد من منطلق معرفي لا علاقة له بذائقة الرسام وهو فعل صعب، أعتقد أن ثقة معلا بالفن تقف وراءه. فلولا الثقة بالمفهوم المطلق للفن لكان معلا قد أخضع كل ما يراه لحساسيته الجمالية التي من شأنها أن تفسد كل شيء، بسبب انغلاقها على تجربة بعينها.

كان معلا دائما هو الآخر الذي يرى.

رسم وجوه الآخرين ليرى وجهه وربما رسم وجهه لكي يرى من خلاله وجوه الآخرين. غير أنه في النقد كان حريصا على المسافة التي من شأن وجودها أن تبقي الرسام الذي يسكنه نائما.

أضعنا الفرص الكبرى

فلنفكر في إنقاذ الذات

هيثم الزبيدي
كاتب من العراق

❏ لا يمكن تضييع الفرصة. هذه من أوائل الحكم التي تتعلمها في الحياة. المتسرعون يلامون على تسرعهم كثيرا. لكن الازدراء الأكبر مخصص للمترددين أو لأولئك الذين أضاعوا فرصا في الحياة قد لا تتكرر أبدا. المتعثرون لا آمال لهم بحظ أو فرصة. هذا على المستوى الشخصي. أما على مستوى الدول والأمم فالعملية أكثر تعقيدا ونتائجها ذات آثار مصيرية.

خذ مثلا مرحلة الخمسينات والستينات. استطاع العالم العربي أن يسجل قفزات ثقافية واجتماعية كبيرة. كانت قوى الاستعمار التقليدية لاهية بلعق جراح الحرب العالمية الثانية وإعادة إعمار ما خربته الحرب. ما عادت للعالم معدة يمكن أن تهضم أفكار الهيمنة والاستعمار القديمة بعد أن ذاقت أوروبا نفسها مرارة السيطرة والاستعمار النازي والفاشي. كانت تلك الفرصة للعالم العربي تمزج بين ليبرالية غربية تركها الاستعمار ورغبة في التحرر والانطلاق، أنتجت واحدا من أفضل الأجيال الثقافية عربيا، ورسمت صورة لمجتمعات متغيرة تسعى للانفتاح والتعليم ومشاركة العالم الكبير حراكه نحو التقدم.

***

نافذة الثروة النفطية كانت فرصة ثانية. فالسبعينات أغرقت المنطقة بالبترودولار. تدفقت الأموال على معظم الدول العربية، بطرق مباشرة وغير مباشرة. الدول النفطية تمتعت بالريع المباشر، والكثير من الدول العربية استفادت من تحويلات يجريها أبناؤها العاملون في الدول النفطية. بعض الدول بدأت بمشاريع جبارة للتنمية شملت كل شيء، من البنى التحتية إلى التعليم وصولا إلى ملامح أولية لصناعات ظلت بعيدة عن منطقتنا.

في ما عدا المدن التاريخية الكبرى، معظم ما نراه اليوم من أبنية وبنى تحتية، مدهشة عند البعض أو متهالكة عند البعض الآخر، هو نتاج الإنفاق المبني على الريع النفطي في مرحلة ما بعد السبعينات.

ثورة الاتصالات والإنترنت كانت فرصة ثالثة. الحديث عن القرية الكونية كليشيه ولكنه حقيقة. كان الكتاب يفتح عالما خياليا للقارئ، وكان الراديو ثم التلفزيون أدوات توعية صوتية وبصرية مهمة ولكنها تبقى أسيرة الجغرافيا والاعتبارات الوطنية. الفضائيات والإنترنت كانتا شيئا آخر. أنت ترى ما يراه الجميع وتستطيع أن تتواصل لحظيا مع الآخرين. الموبايل سهل الأمر أكثر وجعل الكتاب والراديو التلفزيون والبريد في جيبك في كل مكان.

لوحة الفنان بشار كوشجي

ما يحبط في العالم العربي أن هذه الفرص الكبيرة لم تغتنم أو تمّ تضييعها لاحقا. من جمود الثقافة والتعليم، إلى انتهاء الفكر الحرّ والوقوع في أسر التشدد الديني، وصولا إلى تضييع منهجي للثروات في حروب وصراعات وفساد. وبدلا من استغلال الثورات العالمية في الزراعة والتكنولوجيا والتقنيات الحياتية، تضيع أجيال في جدل يشبه جدل جنس الملائكة أو جدل القيامة الدينية والطائفية.

لا يحتاج العالم العربي إلى أن يقارن نفسه مع الغرب مثلا، أو حتى مع مشروعات عالمية أخرى في الشرق الأقصى، أو أميركا اللاتينية باعتبار أنها كانت تعاني من مشاكل الاستعمار أو الهيمنة الشبيهة بما كانت عليه حال منطقتنا. لكن منطقتنا، المستغرقة في النظر إلى تاريخها الماضي، تحتاج أن تنظر إلى ما تحقق ثقافيا واجتماعيا وماليا وتنمويا قبل عقود قليلة. ليس من المطلوب تحقيق المعجزات، بل فقط البناء على ما سبق. قد يبدو البناء على ما سبق وكأنه عودة إلى الماضي، ولكنه، بكل الاعتبارات، أفضل من القبول بالأمر الواقع، أو الركون إلى عالم تتحكم فيه العمامة والبدع الدينية.

طالما تراجع مشروع الدولة الوطنية في عالمنا العربي، فلماذا لا نستثمر في مشروع الإنسان، وعلى مستوى شخصي؟

ثمة أدوات كثيرة تساعدنا اليوم. لا يمكن الاستهانة بما توفره التقنيات الحديثة. كان المثقف يعاني للحصول على كتاب يقرأه. اليوم يستطيع تنزيله خلال ثوان. كان الناقد المهتم بالفنون عاجزا عن شراء كتب اللوحات الملونة، اليوم تجد على المواقع كل ما اختطته يد البشر. الأوراق العلمية متاحة والبحوث النظرية في متناول اليد. لماذا تزخر الشبكات الاجتماعية بـ"جلسات" النميمة والتذمر بدلا من أن تكون صالونات أدبية وثقافية أو ورشا علمية لتبادل المعرفة؟

لا حاجة لانتظار الكثير من الدول. الدولة الوطنية في عصر ما بعد الربيع العربي "فيها ما مكفيها". ولكن من المخيف أن تضيع الأجيال الفرصة الذاتية، لمجرّد أن دولها عجزت عن الإمساك بالفرص الوطنية. طالما يتعثر المشروع الجمعي الواسع، فلماذا لا نعود إلى ما يشبه القرى الثقافية والفكرية والعلمية، تجمعنا الرغبة في إنقاذ الذات أولا لعل ثمة تراكما في الأفق للفرصة الأكبر والأكبر؟ لعل تلك الجماعات الصغيرة تصل يوما إلى الكتلة الحرجة التي تقود التغيير نحو الالتحاق بعالم مسرع لا ينتظر أحدا.

التوحش الثقافي

أمين الزاوي
كاتب من الجزائر

❏ هذا العالم الذي من حولنا يغرق أكثر فأكثر في طوفان التخلف، تكون المصيبة أهون حين ترتبط ظاهرة التخلف بالأمي والجاهل في المجتمع، قد نتقبل الأمر لما عاشه هذا العالم العربي والمغاربي من فوضى وحروب واستعمار ولاحقا من فساد وطني داخلي منظم من قبل أنظمة تداولت على السلطة منذ مطلع الاستقلالات الوطنية، أي منذ خمسينات القرن الماضي.

وقد نفهم الأمر ونبلع هذا التخلف بمرارة وتحسر حين نعرف بأن نسبة الأمية في العالم العربي والمغاربي مرتفعة وغير معروفة أساسا وأن عدد الأميين قد فاق الستين مليون نسمة أو أكثر، قد نتفهم أمر هذا التخلف حين ننظر إلى الخراب الشامل والمنهج الذي لحق بالعراق وسوريا وليبيا واليمن والصومال وقبل سنوات بالجزائر، حيث أغلقت الكثير من المؤسسات التربوية وتعذر على أطفال جيل كامل الذهاب إلى المدرسة لسنوات متتالية، وهو ما سيجعلنا بعد سنوات أمام جيل كامل لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

قد نتفهم كل هذا التخلف الذي يقف خلفه فساد الأنظمة التي لا تريد تداولا على السلطة، أو بلدانا عاشت حروبا أهلية كان من ورائها الإرهاب والتعصب اللذان صنعتهما المدرسة أساسا.

لكن أن يأخذ الجهل شكل العلم، وأن يأخذ الجاهل صورة العالم، وأن يكون الجاهل حاملا للقب دكتور يشتغل في مؤسسة جامعية عريقة أو في معهد عال، فهذا هو الغريب والمخيف في مجتمعاتنا العربية والمغاربية.

أن تكتب دكتورة في الأدب كتابا بعنوان "تحريم العطور" على النساء لأن هذا يثير غريزة المرأة، فهذا من علامات قيام ساعة الكتاب والكتابة والتفكير.

أن يكتب دكتور ينتمي إلى هيئة التدريس بالأزهر وهو المدعو جهاد محمود الأشقر كتابا بعنوان "نكاح المعاق ذهنيا في الفقه الإسلامي"، ثمّ يطرحه في السوق للتداول والقراءة، ونحن في العشرية الثانية من الألفية الثالثة، فهذه عين الكارثة، وقمة الانحطاط الأخلاقي والفكري، والدليل الواضح على أمراض مستعصية تعاني منها (نخبنا) بين قوسين!

أن يكتب المدعو إبراهيم عبدالعزيز النجمي كتابا بعنوان "ما يجوز وما لا يجوز في نكاح العجوز" ويعرض الكتاب على القارئ العربي والمعرّب، ويتم تداوله، فهذه علامة على عطب العقل العربي ودليل على ما يعانيه من أمراض بنيوية.

أن يكتب المسمى الشيخ أبوالإيمان كتابا بعنوان "المباح في جهاد النكاح" فهذه واحدة أخرى دالة على مرض فكري، ودليل آخر على أن "النخب" المعطوبة لا تستطيع العيش إلا إذا كان المجتمع معطلا، ومثل هذه الكتابات المخلة بالحياء هي القاعدة التي تستند عليها منظومة الفكر التكفيري في تخريب ما تبقى من بقايا المجتمع.

أن يكتب فضيلة الشيخ العلامة أبوجعفر بن حذيفة الأنصاري كتابا بعنوان "الطريقة النبوية السليمة في نكاح المرأة والبهيمة" ويقدمه للقارئ العربي والمعرّب دون حياء، في زمن تحاصر فيه كتب وأفكار محمد أركون وأدونيس ومحمد الطالبي وغيرهم، كل هذا يوحي بأننا لسنا على حافة الهاوية بل إننا في قاع الهاوية.

حين تسمع بتداول كتاب بعنوان "النعيم الجنسي لأهل الجنة" من تأليف المدعو عبدالله بن قاسم القاسمي فهذا يدل على هذه النخب التي "عهرت" الدين وجعلت من الجنة بكل رمزيتها ما يشبه "الماخور".

> أن يأخذ الجهل شكل العلم، وأن يأخذ الجاهل صورة العالم، وأن يكون الجاهل حاملا للقب دكتور يشتغل في مؤسسة جامعية عريقة أو في معهد عال، فهذا هو الغريب والمخيف في مجتمعاتنا العربية والمغاربية

نحن لسنا ضد كتب التربية الجنسية ولا ضد الكتابة عن الجنس، بل إن طرح هذا الموضوع مسألة أساسية وبقدر ما نعتقد بأن مقاربة "الجنس" ضرورة فكرية واجتماعية وإنسانية فإننا نؤمن بأن مسألة حساسة مثل هذه يجب أن يتولاها العلماء المختصون في هذا الباب، وليس الفقهاء أو المتدروشون، فالجنس مسألة إنسانية عميقة لا يمكن تداولها بهذا الشكل المبتذل.

وأنا أتابع مثل هذه الإصدارات الرديئة، أشعر بخجل أنني أنتمي إلى هذا العالم الذي يوزع مثل هذه الكتب على أبنائه لقراءتها وربما برمجتها في مقررات الجامعة على طلبة يعيشون عصر التكنولوجيا المعقدة والبحوث في الذكاء الاصطناعي.

أشعر بمرارة ثقافية كبيرة أن تكون لنا دور نشر تقبل طباعة مثل هذه الكتب ومكتبات تعرض مثل هذه الأمراض المتخفية في الكتب المجلدة تجليا فنيا والتي تصنف عادة في باب كتب الفقه والشريعة والفتاوى.

إن الخطر الكبير على مجتمع هو يصبح "المتعالم" "جاهلا" مقدسا، وجهل المتعالم أكثر خطورة على المجتمع من الجاهل، وأخطر من ذلك حين يكون هذا المتعالم يعيش في مجتمع كالمجتمع العربي أو المغاربي اكتسحته الأمية والفقر والخرافة.

تثقيف العين

سعد القرش
روائي من مصر

❏ من أجمل الفضائل الإسلامية المبكرة «غض البصر»، والتعفف عن التلصص، وكافة أشكال السلوك الدال على ارتقاء الإنسان، بتطور وعيه الحضاري والتزامه الأخلاقي. وقد اكتسبت مجتمعات أخرى هذه القيم، وتخلصت من رذيلة «البحلقة» في الرجال والنساء على السواء، في حين ارتددنا إلى جاهلية وُوجهت بالتأكيد على غض البصر، ولم نكتف حاليا بتجاهل الأمر الإلهي واللياقة الآدمية، وإنما تعدّت الكارثة حدود مدّ البصر، إلى أذى الألسنة والأيدي بتحرش يتناسب طرديا مع منسوب النفاق الديني الاجتماعي، وانضمام لاعبين جدد إلى فيالق «الدعاة»، والاستثمار في برامج تلفزيونية ليست إلا أكل عيش يختلط فيه الفقه بابتذال كوميدي ينزع الوقار والمهابة عن الشيوخ.

الحواس عموما، وأولها العين المستعدة للانقضاض، تحتاج إلى تثقيف وإعادة تربية على حب الجمال واستئناسه، وعدم الانزعاج منه أو الخشية عليه، واعتباره هبة لو ضنت علينا بها الحياة لكانت خشنة لا تطاق. وفي صيف قائظ مثل هذا الصيف، نشر سيد قطب قبل ثمانين عاما مقالا يصف الشواطئ الفقيرة من بهاء الجسد الأنثوي بأنها ميتة، ولو ألح الرجل على أهمية تثقيف العين، وتربية الأنفس على الاستعلاء عما يملكه الآخرون، لفعل خيرا بإعفائنا من تناسل سلالات القتلة كارهي الجمال أعداء الحياة، وهم أبناؤه الشرعيون.

من ينشأ وعيه ويرتقي على المحبة، والإيمان بفضيلة التنوع والاختلاف، ستجنب العنف والدعوة إلى الكراهية. ولم يغفل التاريخ جملا اعتراضية أبطالها مثقفون ينقصهم الشرف الإنساني والأدبي، مثل جون شتاينبك بمرافقته طيارا أميركيا، في غارة على فيتنام، وإشادته بقصف المدنيين، قائلا إن أصابع الطيار القاتل كانت «تضغط على مفاتيح إسقاط القنابل مثل أصابع عازف البيانو الماهر». وليس الشاعر الأميركي إزرا باوند أقل وحشية بانحيازه إلى موسيليني، بعد أشهر على إعدام الشهيد عمر المختار. استثناءات لحلفاء الشيطان تؤكد قاعدة رهان الفنان على قيم الخير والجمال، تلك التي لم يكن في وسع سيد قطب الإخلاص لها.

فمن الإسكندرية كتب سيد قطب مقالا نشرته صحيفة الأهرام في 10 يوليو 1938 بعنوان «خواطر المصيف: الشواطئ الميتة!»، يعجب فيه من قدوم يوليو ولا تزال شواطئ الإسكندرية ميتة، وربط بين حيوية الشواطئ وانطلاق الأجساد، مؤكدا أن الجسد العاري يخلو مما يثير الخيال «أما حديث «الأجسام العارية» فقد كان لي فيه رأي لا بأس من إبدائه. إن الذين يتصورون العري على الشاطئ في صورته البشعة الحيوانية المخيفة جد واهمين... ليست في الجسم العاري على «البلاج» فتنة لمن يشاهده ويراه فى متناول عينه كل لحظة. وفتن الأجسام هناك هي المنتشرة في «البرنس» أو «الفستان» أما في «المايوه» فهي لا تجذب ولا تثير، وإن أثارت شيئا فهو الإعجاب الفني البعيد بقدر ما يستطاع ـ عن النظرة المخوفة المرهوبة!

لقد كنت أحسبني وحدي في هذه الخلة، ولكني صادفت الكثيرين، ممن لم يوهبوا طبيعة فنية، ولا موهبة شعرية، فلاحظت أن «الأجسام» تمر بهم عارية فلا تثير كثيرا من انتباههم، بينما تتسع الحدقات، وتتلفت الأعناق، إذا خطرت فتاة مستترة، تخفي الكثير وتظهر القليل، وحدثتهم في ذلك فصدقوا رأيي.

فالذين يدعون إلى إطالة «لباس» البحر وإلى ستر الأجسام بالبرانس، إنما يدعون في الواقع إلى إثارة الفتنة النائمة، وإيقاظ الشهوات الهادئة، وهم يحسبون أنهم مصلحون!

أطلقوا الشواطئ عارية لاعبة، أيها المصلحون الغيورون على الأخلاق، فذلك خير ضمان لتهدئة الشهوات الجامحة، وخير ضمان للأخلاق.

غادر سيد قطب هذا الشاطئ، فامتلأت سطوره بدماء تتجدد طزاجتها كلما فتن به أحد التابعين بغير إحسان.

الأدب عبر أشكال جديدة

الرواية التفاعلية تغير أنماط الكتابة والتلقي والنقد

حنان عقيل
كاتبة من مصر

❏ مثلما تغيّرت الوسائط التي كنّا نُعدها منذ عقود من مُقدسات التلقّي؛ فلم يعد الكتاب بصورته الورقية هو الوسيط الأوحد والأفضل للمعرفة أو القراءة بل أضحت الوسائط الإلكترونية هي الأكثر انتشارا خصوصا بين الفئات العمرية الأصغر سنا. تغيّرت أيضا أنماط الكتابة ولم تعد الكتابة الورقية هي اللاعب الرئيسي على الساحة الأدبية؛ فثمة أنماط فرضتها الوسائط الحديثة على الأدب مُستفيدة مما تتيحه من مميزات وتقنيات لم تكن موجودة من قبل، ومن ثم ظهر الأدب الرقمي التفاعلي فارضا نفسه على الساحة الأدبية وواضعا شروطا جديدة لكتابته وتلقيه وحتى في التعاطي النقدي معه.

في الفترة الأخيرة، برزت العديد من الكتابات تحت مسمى "الأدب الرقمي" اتخذت من الإنترنت وسيطا للنشر كبديل عن الكتاب في شكله الورقي المعتاد، مستفيدة مما تتيحه شبكة الإنترنت من مميزات. بعض من هذه الكتابات استفاد من التفاعلية التي يُتيحها التواصل مع الجمهور أثناء كتابة العمل فصلا بفصل، بل إن بعض الكتّاب اعتمد على آراء القراء واقتراحاتهم لإكمال أحداث العمل الروائي الذي شهدوا ميلاده وتتبعوا سير أحداثه وتطورها.

ثمة قارئ جديد هنا فرضه هذا النوع من الكتابة الرقمية التفاعلية، قارئ لم يعد يقنع بكونه متلقيا سلبيا يستقبل ما يُقدّمه إليه الكاتب ويقبل به بل هو في ظل هذا النمط من التفاعل يكون مشاركا في صنع الأحداث وتوجيه مسار الشخصيات والتحكم في تحولاتها، وعلى الكاتب أن يستفيد من ملاحظات القراء في صنع عمله الروائي. ليس فقط نمطا الكتابة والتلقي هما اللذان اختلفا ولكن النقد أيضا بات مُطالبا بأن يكتسب أدوات جديدة تُمكنه من فهم ما يدور على هذا الصعيد وما يخرج من هذه الآلة بعيدا عن الأدوات التقليدية للنقد التي لم تعد صالحة وحدها لتقديم قراءة واعية ومستوعبة لهذا التطور الرقمي.

الإرث الورقي

الناقد والأكاديمي وصفي عباس في كتابه المنشور رقميا بعنوان "الأدب بين الآلة والإحساس.. قراءة في الأدب العربي الرقمي" يقول "يعيش الأدب الرقمي العربي أزمة وجود حادة تؤرقه وأسئلة قلق تزعجه، لأن النص العربي غير متوقع له، على الأقل حاليا في ظل تردي الواقع العربي، إزاحة النص الورقي رغم تقلصه بشكل متسارع. فالإبداع الرقمي مازال حذرا حتى لا يصطدم باشتراطات التلقي.

ولم ينضج بدرجة تجذب كبار المبدعين والنقاد، لأسباب واضحة ومقبولة نسبيا، حيث عدم تراكم النصوص الرقمية والأمية الإلكترونية وصعوبة التخلص من الالتصاق الحميمي بالإرث الورقي وعدم وضوح الرؤية النقدية للأدب الرقمي". ويشير عباس في كتابه إلى أن أزمة الأدب الرقمي

> في الفترة الأخيرة، برزت العديد من الكتابات تحت مسمى «الأدب الرقمي» اتخذت من الإنترنت وسيطا للنشر كبديل عن الكتاب في شكله الورقي المعتاد، مستفيدة مما تتيحه شبكة الإنترنت من مميزات

مع التكنولوجيا الحديثة دخلت الكتابة الأدبية في طور جديد ومغامرات جديدة

في الوقت الراهن لا يتحملها المبدعون وحدهم أو النقاد وحدهم؛ فكثير من النقاد العرب ما زالوا ينتظرون ما ستسفر عنه التجربة من كتابات راسخة، لكنه يلفت إلى أن ثمة تمردا إبداعيا وتجديدا نقديا على الساحة الأدبية خصوصا مع التغير في تركيبة عناصر الكتابة الإبداعية لتتحول من (المبدع، النص، المتلقي) إلى (المبدع، النص، الآلة، المتلقي) وهو ما يفرض على المبدع والمتلقي مهارات خاصة وجديدة لمجاراة هذا النمط الأدبي الجديد.

فوضى المصطلحات

الروائي الأردني محمد سناجلة، رئيس اتحاد كتاب الإنترنت العرب ورائد الأدب الرقمي العربي، يوضح أن ثمة معضلة تواجه الفكر الرقمي العربي بل والعالمي وهو عدم وجود تعريف محدد له وهذا نابع من كون هذا الأدب ما زال جديدا في العالم كله وليس في عالمنا العربي فقط، فلا فرق بين الأدب الرقمي والتفاعلي لأن صفة التفاعل هي جزء أساس في الأدب الرقمي، والخلط جاء بسبب فوضى المصطلحات لهذا المولود الجديد، حيث قام العديد من الكتاب والنقاد العرب بالخلط في الترجمة والتعبير عن نفس المفهوم.

ينوه سناجلة بأن ثمة تغيُرات يفرضها هذا النمط الجديد من الكتابة؛ فالتغير الأساسي هو تغير لغوي، بل التحدي الأساسي هو تحدّ لغوي؛ ذلك أن الكاتب في الزمن الورقي كانت الكلمات هي أداته الرئيسية، فاللغة عنده مكونة من كلمات فقط يحدّدها معجم لغوي هو محدود بالضرورة، في الأدب الرقمي الأمر مختلف فالكلمة ليس سوى جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات يجب أنْ نكتب بالصورة والصوت والمشهد السينمائي والحركة. فلم يعد كافيا أنْ يمسك الرّوائي بقلمه ليخط الكلمات على الورق، وعلى الكاتب الرقمي أنْ يكون شموليا بكل معنى الكلمة، لكن عليه أنْ يكون مبرمجا أولا، وعلى إلمام واسع بالكمبيوتر ولغة البرمجة، عليه أنْ يتقن لغة الـ (HTML) على أقل تقدير، كما عليه أنْ يعرف فنّ الإخراج السينمائي، وفنّ كتابة السيناريو والمسرح وفن الـ(Animation).

ويرى سناجلة أن ثمة تحولا في الاستقبال النقدي للأدب الرقمي؛ فبينما كان الرفض شاملا في بداية الألفية، اختلفت الصورة في السنوات الأخيرة بل تغيرت بالكامل، حيث نجد أن الأدب الرقمي يدرس الآن في عدد كبير من الجامعات العربية، وهناك عدد مميز من رسائل الماجستير والدكتوراه عن الأدب الرقمي، وحدث تحوّل كبير في استقبال النقاد لهذا الأدب الجديد، بل يمكن القول إن الأدب الرقمي صار موضة جديدة للنقاد والمفكرين العرب وأيضا الكثير من الأدعياء الذين يحاولون ركوب الموجة.

عناصر الكتابة

يؤمن الكاتب المغربي عبدالواحد استيتو، صاحب الرواية الفيسبوكية التفاعلية "على بعد مليمتر واحد"، بأن الكتابة التفاعلية تقتضي الاهتمام ببعض العناصر في الكتابة لضمان استمرار متابعة القراء وتفاعلهم مع النص، ويأتي على رأسها الاهتمام بالحبكة والتشويق مع الاعتماد على أسلوب بسيط بعيدا عن الإطناب اللغوي الذي يراه مرهقا للقارئ، لكنه في الوقت ذاته يشدد على أن الاهتمام بهذه العناصر ينبغي ألا يتحول إلى إمعان في السطحية أو الاستهانة بفكر القارئ وعقله. فهذا النمط من الكتابة التفاعلية بدأ يحقق نوعا من التراكم يضمن له مكانة هامة في المستقبل كما أن هناك نوعا من الاهتمام النقدي به لكنه يظل محدودا إلى الآن.

الغربال النقدي

الشاعر والروائي اللبناني سامي معروف يرى أن الكاتب الأردنيّ محمد سناجلة هو الأبرز على صعيد الرواية الرقمية، والتفاعلية منها مضيفا "مع أني ضد الروايَة التفاعليَة بالكامل، لأنها تنفي شخصيَّة الكاتب ورأيه وفكره ورؤياه. إنها روايَة مُركَّبة من أمزجَة وثقافات ومواهبَ شتّى! ولكنّها بلا شكّ لونٌ أدبيّ حاضرٌ وجُمهورُه في طور التكوُّن. رواية 'شات' مثلا و'وداعا للوَرَق' وغيرهما. والتّجاربُ الرقمية في بريطانيا واليابان أكثر تقدّما، بحيث هناك جوائز لأفضل رِوايةٍ منشورةٍ على جهاز الموبايل. وهناك أكثرُ من ألف مُتابع شارك في كتابة رواية واحدة! وهذا دليل واضح للذين ينعون الأدب.. فالأدب سيبقى باحثا له عن الأشكال الجديدة مع تطوُّرات الحياة وتجدُّدها الدّائم".

> يعيش الأدب الرقمي العربي أزمة وجود حادة تؤرقه وأسئلة قلق تزعجه، لأن النص العربي غير متوقع له، على الأقل حاليا في ظل تردي الواقع العربي، إزاحة النص الورقي رغم تقلصه بشكل متسارع

ويوضح معروف قائلا "أنا حامل معاناة مرّة لا تنتهي. إنها الهم الثقافي. وهكذا لسان حال معظم الكتّاب. أولا تقلص الثقافة الورقية لحساب الرقمية، وطريق الثقافة الرقمية سيكونَ طويلا شاقّا. فحيث لا نقد ولا حسيب ولا رقيب والجميع ينشر بكثافة مُخيفة.. سيبقى الوضع هكذا إلى حين تدخُّل الغربال النقدي والقوانين التي تحترم المستوى. والغربال آت حتما. ولن يسلم الأدبُ الورقي من الغربَلة، لأن دُورَ النّشر حاليّا تراعي السوقِ لا المُستوى الإبداعيَّ لغايات تجاريَّة. والشعوَذات التّسويقيَّة هي المُمسِك بعُنق الثّقافة حاليّا. وثانيا أجاهد أن تُصيبَ نشّابةُ كتابتي الأهدافَ الثّلاثةَ معا: القضيَّة الإنسانيَّة والتّجديد الأدَبيّ وتطوير أشكال رقميَّة جذّابَة. وفي نهايةِ المطاف إنَّ أدب المُستقبل هو أدَب رقميّ أكثر منه ورقيا".

عبد الواحد استيتو: الابتعاد عن الإطناب البلاغي

محمد سناجلة: معضلة هذا الأدب في جدته

وصفي عباس: المحتوى الرقمي في أزمة

سامي معروق: طريق شاقة تنتظر الأدب الرقمي

القصيرة جداً جداً!

محمد حياوي
كاتب من العراق

❏ يختلف النقاد والباحثون على تحديد بداية حقيقية واضحة لفن القصة القصيرة جدًا الآسر والمختلف والصعب في آن واحد، ولعل البعض يختار نصوص ارنست همنغواي القصيرة جدًا التي نشرها في مرحلة مبكرة وتحديدًا في العام 1925 هي البداية الحقيقية لهذا التجنيس الإبداعي المختلف، لكن لا تتوفر دراسات نقدية حقيقة تؤكد هذه النظرية.

وبغض النظر عمن أرسى قواعد هذا الفن الجميل وأظهره للوجود، فأن القصة القصيرة جدًا ظهرت في العراق تحديدًا بشكل مبكّر، حسب القاص والباحث العراقي عباس عجاج، الذي نشر دراسة موسّعة عن بدايات هذا الفن ورواده، أغناها لاحقًا الكاتب هيثم بهنام بردا برؤيته الخاصة.

وحسب عجاج فأن بواكير القصة القصيرة جدًا في العراق تعود إلى العام 1930 عندما نشر القاص الرائد نوئيل رسّام مجموعة من النصوص القصيرة جدًا، قبل أن ينتشر هذا الفن بشكل أوسع في العراق والعالم العربي. لكن على الرغم من ذلك ظل هذا النوع من الكتابة خجولا ومتواريًا خلف الانتشار الساحق للرواية في العقدين الأخيرين.

ولعل أبرز أسباب تواري هذا الفن وشحته إن جاز التعبير، هي صعوبته الجمّة وتطلبه قدرة كبيرة على تطويع الفكرة وتكثيفها بواسطة عدد محدود جدًا من الكلمات، قد لا تتجاوز المائة كلمة، وفي هذا الصدد يقول الناقد العراقي البارز الأستاذ عبد علي حسن في معرض تصديه لهذا النوع من الكتابة ما نصّه "لا يدرك صعوبة وأهمية فن القصة القصيرة جدًا إلا من خبر السرد وأفانينه المستدعية المهارة والخبرة والمعرفة لتقديم قص قصير جدًا يرقى في مستوى تحققه الى مستوى أي نوع سردي متقدم آخر، وبذا فقد تضاءلت الهوة بين المبدعين وبين أي شكل أدبي مهما ضاقت أو اتسعت مساحته وفق مقتضيات بنائه الداخلي".

وبالنظر لحقيقته - فن القصة القصيرة جدًا - الخادعة، يظن الكثيرون أنّه طريقة سهلة للكتابة ويخلطون بينه وبين الخواطر أو الارهاصات العابرة، من دون الاستناد إلى الأسس النقدية الصعبة التي يتطلبها.

وحسب القاص والباحث العراقي لؤي حمزة عبّاس فأنّ صعوبة هذا النوع من الكتابة تتمثل في محدوديَّة المسّاحة النصيَّة مقابل اتّساع الحدث الواقعيّ وتشابك ظلاله، فما ضاق من مساحة النّصوص القصيرة وجَد متّسعه في جهة الخيال، وهي تفتح امام النّصوص، مهما اقتربت من مرجعياتها، سبلا جديدة للإبداع بشحنتها الاستعارية التي تقترب من حدود الشعر.

وعلى العكس مما هو في بقية فنون الكتابة كالرواية والقصة، فأن القصة القصيرة جدًا تتطلب فكرة مركزة وقوّية واستثنائية مكتوبة بلغة متينة لكن واضحة وغير مغرقة بالتفصيلات، إذ تقول فيرجينا وولف، التي عُرفت بنصوصها القصصية القصيرة في مرحلة من المراحل " كلما كانت الفكرة أكثر استثنائية، كلما كانت اللغة أكثر وضوحًا".

إذ يعد التجريب واللغة التفصيلية المعقدة أحد أسباب فشل القصة القصيرة جدًا أو قصة الومضة Flash Fiction كما أطلق عليها جون أوبدايك، وهو مصطلح غاية في الدقة والتركيز، لأن الومضة القصصية تتجسد هنا بالدرجة الأساس في الفكرة الاستثنائية الصادمة التي يقدّمها الكاتب في نص المحكوم بعدد الكلمات والمساحة الضيقة.

ولعل فن القصة القصيرة جدًا هو فن المستقبل، في ضوء ما نشاهده من تطور مهول للتقنيات التي جعلت من وقت المتلقي للفنون والآداب ضيقًا جدًا ومحدودًا وخاضعًا للمنافسة الشرسة من بقية وسائل الترفيه والتعليم والتثقيف والتسلية، لأنّه صالح للقراءة في مدّة زمنية لا تتجاوز البضع دقائق، هي في الغالب تلك المساحة الزمنية التي يخصصها القارئ المعاصر في قطار أو حافلة منطلقة إلى وجهته.

تدجين العقل البشري واختراع الشَّر

21 درسا للقرن الحادي والعشرين جديد المؤرخ يوفال نوح هيراري

لطفية الدليمي
كاتبة من العراق

❏ ليس بمقدور أيّ كائن بشري أن يتغافل، أو حتى يصطنع الغفلة، عن القلق بشأن طائفة كبرى من الموضوعات التي باتت همّا إنسانيا يتشاركه الجميع في العالم، وتأتي موضوعات الإرهاب، وفرط الاحترار المناخي، والصعود الدراماتيكي المتوقع لتطبيقات الذكاء الاصطناعي وخوارزميات الذكاء العميق، وتراجع التعاون العالمي في مقدمة تلك الموضوعات؛ لكن ثمة الكثير من الموضوعات الأخرى التي قد يغفل عناها الكثيرون لأنها لا تمثّل حتى الآن، ربما، مخاطر جدية بات يستشعرها الإنسان في حياته اليومية.

نشر في أميركا خلال الأسابيع الأخيرة كتاب جديد للمؤرخ يوفال نوح هراري حمل عنوان "21 درسا للقرن الحادي والعشرين"، ومن المتوقع أن يحقق هذا الكتاب مبيعات تصل إلى عدة ملايين من النسخ على شاكلة ما حققه كتابان سابقان له "البشر العاقلون: موجز تأريخ البشرية"، و"الإنسان الفائق: موجز تأريخ الغد". في الأول رحلة استكشافية لإعادة قراءة التأريخ البشري وامتحان المواضعات الراسخة بشأنه، وفي الثاني دراسة مستقبلية للآفاق والمخاطر المحدقة بالكائن البشري. أما الكتاب الذي نحن بصدده "21 درسا للقرن الحادي والعشرين" فهو دراسة بحثية معمّقة للوضع البشري المعاصر وامتحان العناصر الفاعلة فيه من وجهة نظر تنطوي على قدر غير قليل من الجدّة، وبما يجعل هذا الكتاب، كسائر كتب هراري، مساءلة فلسفية للأفكار أكثر من كونه محض دراسة تقنية كتلك التي نشهدها في الأدبيات الخاصة بالمستقبليات والتنبؤات وديناميات الصيرورة البشرية في جوانبها كافة.

يُعرَف عن هراري (المولود عام 1976) وهو من المؤرخين الجدد في اسرائيل ولعه الطاغي بالموضوعات المتعلقة بإعادة مساءلة الوضع البشري وبخاصة في الجوانب المعنية بالإرادة الحرة، والوعي، والذكاء – المعرفي والإصطناعي معا –، وهو يفرد تأكيدا خاصا في كل كتاباته على "الثورة المعرفية" والكيفية الثورية التي نقلت حال الإنسان العاقل إلى ماهو عليه في يومنا هذا، ولا ينسى هراري بالطبع دراسة كل الثورات الأخرى (الثورة الزراعية، الثورة العلمية...) وتأثيراتها الحاسمة في تشكيل معالم الحضارة البشرية. يُعرَف عن هراري كذلك أنه نشأ في عائلة يهودية علمانية ذات جذور لبنانية وأوروبية شرقية، وهو يتبع في حياته نمطا بوذيا خاصا ويمارس التأمل اليومي لمدة ساعتين: واحدة صباحا والأخرى مساء، ويرى أنّ بوسع التأمل أن يكون أداة بحث أصيلة تفتح مغاليق مجهولة أمام العقل البشري. يعرَفُ عن هراري كذلك معارضته الراسخة للسياسات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين (والقضية الفلسطينية بعامة) ويرى أن السلطات الإسرائيلية تمارس نوعا من السيطرة والاستبداد تجاه الشعب الفلسطيني نابعا من الشعور الطاغي بالتفرّد المعرفي والفائقية التقنية، وهو لا يفتأ يذكّر بأنّ هذه الغطرسة الإسرائيلية شبيهة بذلك النوع من الاستبداد والعبودية الرقمية التي سيخضع بها البشر لسطوة الآلات المفكّرة بعد بلوغ الذكاء الاصطناعي تخوما غير مسبوقة في العقود القادمة.

المعضلات العظمى

يتناول هراري في كتابه مجموعة كبرى من المعضلات، و يرى أنّ التعامل الأفضل مع هذه المعضلات لا يكون بنكرانها بل بالاختيار الحكيم لما يستحقّ التفكّر فيه منها أولا، ثمّ في تحديد كمّ القلق الواجب ازاءها ثانيا. يتساءل هراري في مقدمة كتابه "ماهي التحديات الأعظم والتغيّرات المهمة التي تواجهنا اليوم؟ وما الذي ينبغي أن نهتمّ بشأنه من تلك التحدّيات؟ وما الذي ينبغي أن نعلّمه لأطفالنا؟".

هيكل الكتاب

يتوزّع الكتاب، إلى جانب مقدمته الثرية، على خمسة أقسام، متبوعة بعناوين فرعية ذات دلالة درامية، هي: "الحدي التقني"، ويتناول: التحرر من الوهم ، العمل، الحرية ، المساواة. "التحدي السياسي" ويتناول: الجماعة البشرية، الحضارة، القومية، الدين، الهجرة. "اليأس والأمل"، ويتناول: الإرهاب، الحرب، التواضع ، الإله، العلمانية. "الحقيقة"، ويتناول: النكران، العدالة، ما بعد الحقيقة، الخيال العلمي. ويختم هراري كتابه بعنوان غريب هو "المرونة والقدرة على التكيف في أشكال جديدة" وفيه: التعليم، المعنى، التأمّل.

يختلف هراري عن غيره من دارسي المستقبليات وتأريخ الأفكار والباحثين في الوضع البشري بعامة، حيث أنه لا يكتفي بتعريف المواضعات السائدة ومن ثمّ كتابة الوصفات الأنيقة والمختصرة اللازمة للتعامل معها، بل نراه دوما في كلّ كتبه يمتلك ولعا طاغيا في مساءلة الأفكار المعروضة وتعريفها، ومن ثمّ تناول شتى وجهات النظر بشأنها في سياق منظور ثري بالاستبصارات الفلسفية المدعمة بالوقائع التأريخية.

التجارب الفكرية

تعدّ التجارب الفكرية خصيصة فارقة تميّز أطروحات هراري ومقارباته الخاصة في دراسة التأريخ، وقد نجح نجاحا فائقا في نقل التجارب الفكرية من حقل الفيزياء النظرية إلى ميدان دراسة التأريخ. يطرح هراري على سبيل المثال في كتابه هذا تجربة فكرية ذكية لفهم الكيفية التي صنع بها البشر حضارة عالمية وبلغوا بهذا شأوا بعيدا، ويكتب في هذا الشأن "تخيّلْ محاولة تنظيم ألعاب أولمبية عام 1016. يبدو الأمر مستحيلا بشكل واضح؛ فالآسيويون والأفارقة والأوربيون لا يعرفون بوجود الأميركيين، وإمبراطورية 'سونغ' الصينية لا ترى أي إمكانية لوجود كينونة سياسية في العالم يمكن أن تعادلها بأي شكل من الأشكال؛ بل حتى ليس ثمة أحد من المشاركين يمتلك علما يرفعه أو نشيدا وطنيا يردّده في احتفاليات الفوز...".

> يتناول هراري في كتابه مجموعة كبرى من المعضلات، و يرى أنّ التعامل الأفضل مع هذه المعضلات لا يكون بنكرانها بل بالاختيار الحكيم لما يستحقّ التفكّر فيه منها أولا، ثمّ في تحديد كمّ القلق الواجب ازاءها ثانيا

لماذا يبدو العالم في حالة انكفاء؟

يتساءل هراري: بعد كلّ هذه الفتوحات العالمية في ميادين العلم والتقنية، لماذا يبدو الأمر وكأنّ العالم في حالة تراجع وانكفاء؟ يجيب هراري على هذا التساؤل الجوهري بأنّ السبب يكمن في أننا لم نعُد نطيق أبدا أدنى مظاهر البؤس والشقاء بالمقارنة مع ما كان سائدا قبل عقود خلت، ومع أنّ حجم العنف السائد في العالم أصابه تراجع عظيم (على غير ما يتوقع كثيرون) فإننا لا نفتأ نوجّه أبصارنا نحو هؤلاء الذين يموتون كلّ سنة بسبب الحروب لأنّ غضبنا أزاء مشاهد اللا عدالة والظلم قد نما نموا غير مسبوق، وتلك مزية أخلاقياتية عظمى يتغافلها الكثيرون نتيجة سوء فهم مزمن وإدراك قاصر يعجز عن رؤية الصورة العالمية في إطارها الشمولي.

مؤرخ من طراز جديد ينظر إلى الحضارات بوصفها حضارة متصلة بعيداً عن اختلاف الأعراق

العالمي والشخصي

يختصّ هراري في كتابه هذا بميزة فريدة تكمن في قدرته على جعل الموضوعات العالمية تتضافر مع المنابع الشخصية في إطار هيكل واضح لصورة العالم، ونراه يكتب بهذا الشأن في مقدمته للكتاب:

"مع أنّ هذا الكتاب يتخذ منظورا عالميّ الأبعاد لكني لا أطرح المستوى الشخصي جانبا، بل على النقيض أنا أسعى للتأكيد على الروابط المتينة بين ثورات عصرنا والحيوات الفردية للكائنات البشرية. الإرهاب، على سبيل المثال، هو معضلة سياسية عالمية بمثل ما هو آلية سايكولوجية ذاتية، ويعمل الإرهاب من خلال الضغط على زرّ الخوف الماكث عميقا في عقولنا ومن ثمّ اختطاف الخيال البشري الخلاق للملايين من الأشخاص والاستحواذ عليه وتوجيهه نحو وجهات شريرة، والحال مشابه مع الديمقراطية الليبرالية التي تجري ممارستها لا في أروقة البرلمانات ومحطات الاقتراع فحسب، بل أيضا على نطاق العصبونات والوصلات العصبية. إنه لمن الكلام المقطوع بصحته (الكليشيهات) القول أنّ القناعات الشخصية هي التي تحدّد شكل الهياكل السياسية، ولكن في عصر بات فيه العلماء والمؤسسات والحكومات يتلمّسون وسائل القدرة على تدجين العقل البشري فإنّ الحقيقة البدهية السابقة تكون أكثر مجلبة للشر ممّا سبق في عصور مضت، وعلى أساس هذه الحقيقة فإنّ هذا الكتاب يوفّر للقارئ مرتسمات بشأن سلوك الأفراد وسلوك المجتمعات ككيانات كلية".

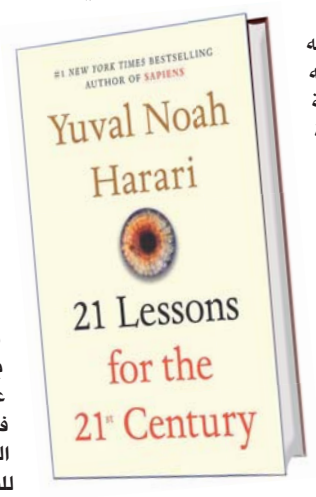

رف الكتب

الغرب في مواجهة الصين

❏ لأول وهلة، يخيل لقارئ "الغرب أمام نهضة الصين" للمصرفي وأستاذ علم الاقتصاد كلود مايير أن بين يديه دليلا في المسائل الاقتصادية، فإذا ما مضى قدما اكتشف رسالة في الفلسفة المقارنة بين الشرق والغرب، يرسم الكاتب من خلالها أسس القوة الاقتصادية الصينية دون أن يغفل عن هناتها، ويحلل الزواج الغريب المحتفى به في بيكين بين لينين وكونفوشيوس. ذلك أن الصين ليست قوة اقتصادية وجيوسياسية عظمى فقط بل هي أيضا قوة ثقافية وأيديولوجية تمثل تحديا جادا للغرب وديمقراطيته، يضع الطرفين في موضع تنافس شرس قد يؤدي إلى صدام ثقافات. ومن ثمّ فغاية الكتاب هي تحليل مطامح الصين الكونية لا محالة، ولكنها مشفوعة بدعوة إلى حوار غربي صيني يمكن أن يفرز القيم المشتركة التي يتأسس عليها تعاون طموح لجعل الحياة أكثر أمانا في هذه العالم المضطرب، المسكون بالحيف والتفاوت والعنف.

هيمنة وادي السيليكون

❏ كتاب الصحافي الفرنسي فيليب فيون دوري، المتخصص في الأنماط الاقتصادية الجديدة والتكنولوجيات الحديثة، "الرق الإرادي الجديد" عبارة عن بحث في المشروع السياسي لوادي السيليكون، منطقة استثمارية تقنية أميركية؛ تعتبر العاصمة التقنية في العالم لاستضافتها المقرات الرئيسية لآلاف الشركات العملاقة العاملة في مجال التكنولوجيا المتقدمة، ومنها تنطلق مشاريع وأفكار عملاقة وخطط وأبحاث مستقبلية تقنية، تهدف إلى تغيير العالم، بالاستيلاء على أغلب ملامح حياتنا اليومية، من خلال التنبؤ اللوغاريتمي، جعل الإنسان شفافا غير مادي، إذ ناب الاستباق والتكهن والتعديل عن الابتكار والتطور، فلم يعد المقصود ثورة رقيمة بل مشروعٌ سياسي، إذ إن التكنولوجيا باتت حمالة لأيديولوجيا ومشروع حضاري، تهدف إلى خلق مجتمع رقابة يفقد فيه الفرد والجماعة السيطرة على مصائرهم، فينقاد إلى رق إرادي جديد.

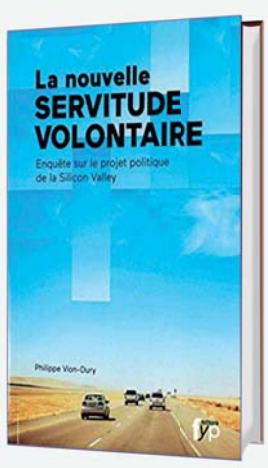

السبيل إلى مقاومة أيديولوجيا داعش

❏ الدولة الإسلامية صارت في عداد الماضي، والخلافة لم تكن سوى حدث عارض، فالهزيمة العسكرية التي منيت بها حطمت وحدتها التنظيمية، ولكن ذلك لا يعني زوال داعش والتهديد الجهادي، فلئن كانت الهزيمة تعني إقناع الخصم وقبوله بها، فإنه من الصعب في واقع الحال إقناع خصم لا تنى أيديولوجيته تتمكن من النفوس رغم تكبده خسائر فادحة وفقدانه الأراضي التي كان يحتلها، لأن الموت نصر كما قال الناطق الرسمي السابق باسم داعش، وأنصاره لا يعترفون بالهزيمة. ومن ثمّ فنهاية الدولة الإسلامية لا تعني نهاية الظاهرة الجهادية، والخطر الإرهابي سيظل قائما رغم زوال الخلافة، وسوف يجد منبعه في بروباغندا التطرف ومساره. ذلك ما يستخلصه إدوار فوييار خبير الاستراتيجيا الدولية بمعهد العلاقات الدولية والاستراتيجية في كتابه "بعد داعش، الحرب الأيديولوجية تستمر"، ويوصي بضرورة الكف عن التأويلات النفسانية للإرهاب، ومحاولة فهم الخطاب الجهادي عقلانيا للإجابة عن الأسئلة التالية: كيف يشرّع الجهاديون عنفهم؟ ما هي حججهم على الخطاب الغربي؟ كيف يمكن أن يتطور التهديد في المستقبل القريب، وما هي السبل السياسية والتيولوجية لمواجهته؟

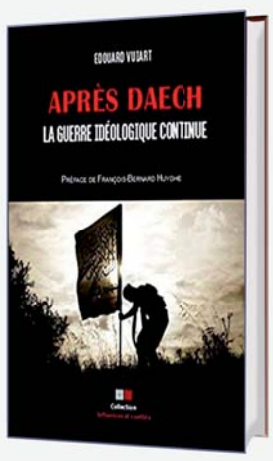

محدودية النص المسرحي وحرية الخيال الروائي

كتاب يدرس رحلة الروايات من الكتب إلى خشبات المسارح

محمد الحمامصي
كاتب من مصر

مشهد من مسرحية «نهاية عرض» لفرقة مسرح «الخشبة الذهبية» في الجزائر

❏ لطالما تحولت أعمال روائية إلى عروض مسرحية. وقد استضافت خشبات مسارح العالم العربي نصوصا روائية شهيرة أعدّت للمسرح جريا على ما قام به قبلهم مخرجو المسرح في العالم. بل إن بعض الروايات التي لم يتنبه إليها القارئ في زمن صدورها تحولت لدى معالجتها مسرحيا على أيدي مخرجين مسرحيين عباقرة إلى أعمال فنية باهرة. وقد حدث ذلك بينما المكتبات في العالم لديها رف طويل من النصوص المسرحية القديمة والحديثة، الجاهزة بحكم بنيتها الفنية ليتلقفها المخرج ويقدمها لجمهور مسرحه، فلماذا يلجأ المسرحيون، إذن، إلى فن الرواية ويخوضون تجاربهم مع نصوصها إعدادا وإخراجا وتقديما في عملية شاقة تنقل الرواية من شكل ووظيفة إلى شكل آخر له وظيفة أخرى هو المسرح.

يرى الناقد المسرحي عصام أبوالقاسم في مقدمته لوقائع ملتقى الشارقة الرابع عشر للمسرح العربي والتي ضمها كتاب "المسرح والرواية" الصادر عن دائرة الثقافة بالشارقة من إعداده، أن العرض المسرحيّ تطوّر كثيرا في العقود الأخيرة في موضوعاته وأساليبه سواء عبر انخراطه وتداخله مع موضوعات واستعارات الحياة العصرية، أو من خلال استثماره للتكنولوجيا أو شبكة التواصل التي تتيحها وسائل الإعلام والإنترنت لإثراء الأبعاد الجمالية والدلالية أو بهدف كسب عدد أزيد من الجماهير.

وتساءل هل انعكس ذلك على صلته القديمة المتجددة بالرواية؟ وهو السؤال الذي بحثته أوراق ومداخلات الملتقى الرابع عشر للمسرح العربي سعيا إلى الإجابة عليه. ويشير إلى أنه لوقت ليس بالقصير كان بعضهم ينظر إلى توجه صناع العروض المسرحية نحو الرواية كنتيجة لفقر المكتبة العربية أو كمؤشر على ندرة المطبوع والمنشور من النصوص المسرحية.

ويضيف أبوالقاسم "في الوقت الراهن بعضهم يميل إلى اعتبار "مسرحة "أو "اقتباس "أو "إعداد "الرواية بحيث يمكن تقديمها فوق الخشبة، حيلة من بعض المحافظين للحفاظ على أدبية المسرح من هجمة تيارات وموجات عديدة ظهرت أخيرا داعية إلى "مسرح للمخرجين" و"مسرح ما بعد الدراما "و"مسرح الصورة "و"مسرح الأداء"، إلخ. لكن بالنسبة إلى البعض الآخر فإن هذا التوجه المسرحي نحو الرواية يعبر عن رغبة في التخلص من تقاليد المسرح الكلاسيكية وعن سعي لاستكشاف موضوعات ولغات وأشكال مغايرة تقطع مع الماضي وتؤسس منظورها الحديث المعبر عن نبض الحاضر".

محدودية النص المسرحي

وتشير الناقدة د.أسماء يحيى الطاهر أن المؤلفين المسرحيين يحاولون التغلب على مشكلة محدودية النص المسرحي مقابل حرية الخيال في الرواية، وذلك عن طريق ما تطلق عليه كارمن بوبيس "الأمكنة المحكية" فيلجأون إلى اختيار الأمكنة من الرواية التي يمكن -أو يرغبون في- تجسيدها على خشبة المسرح ليتشكل منها المنظر المسرحي، ثم يقومون باستدعاء الأماكن الأخرى التي من شأنها أن تؤثر على الشخصية أو الحدث عن طريق حوار الشخصيات. ومن جانب آخر يحاول المؤلفون أيضا حل مشكلة الانتقال المكاني السريع في المسرحية، الذي يتحقق بسهولة في الرواية، عن طريق تقنيات مسرحية مثل تقنية المنظر المتعدد الأماكن، حيث توجد جميع الأمكنة التي يرغب المؤلف المسرحي في التنقل بينها على خشبة المسرح في مواقع مختلفة، ينتقل بينها إما عن طريق حركة الشخصية أو الإضاءة، دون التخوف من فكرة تغيير المنظر المسرحي والتي قد تعوق هذا الاختيار.

وترى أسماء التي حللت في دراستها العرض المسرحي "المعبد" المأخوذ عن رواية يحيى الطاهر عبدالله الشهيرة "الطوق والأسورة"، أن الزمن يعدّ من أصعب العقبات التي تواجه الكاتب المسرحي في تحويله الرواية إلى نص مسرحي، وقد وجدت أن الكتاب المسرحيين قد يلجأون إلى أكثر من تقنية للتغلب على هذه المشكلة الزمنية: "سرد قصة من الماضي" حيث يكون حوار الشخصيات في الحاضر ولكنهم يستدعون الماضي الذي أفرز هذا الحاضر، أو إعادة ترتيب أحداث الرواية المفتت ترتيبا زمنيا تصاعديا من الماضي البعيد وصولا إلى الحاضر، أو استخدام حيل وتقنيات مسرحية تمكنهم من التذبذب بين الماضي والحاضر دون المساس بآنية النص المسرحي، مثل الحلم الذي يسمح باستدعاء الزمن الماضي أو القفز إلى الزمن المستقبل مع الارتكاز على الحاضر، أو كأن تلعب شخصيات مسرحية دور الوسيط بين الماضي والحاضر وعلى رأسها الراوي الذي لا يتقيد بزمن محدد ويحقق آنية العرض عبر وجوده الحاضر في زمن الجمهور، وهي كلها حلول إبداعية تتطلب جهدا من المؤلف.

غلبة الرواية

ويلفت الناقد التونسي حافظ الجديدي في دراسته إلى أن النصوص المسرحية المكيّفة عن نصوص سردية تشكل في المسرح العربي، منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، نسبة كبيرة من تجارب هذا المسرح تكاد تفوق نسبة النصوص المؤلفة تأليفا خالصا. بل إن أول نص مسرحي يؤرخ به لبداية المسرح العربي وهو نص "أبوالحسن المغفل، أو هارون الرشيد" -أواخر عام -1849 لمارون النقاش، مكيّف عن حكاية "النائم واليقظان" التي ترويها شهرزاد في الليلة الثالثة والخمسين بعد المئة من "ألف ليلة وليلة".

ويقول إن الباحثين يقولون عن هذا النص كالعادة إنه مستوحى أو مستلهم أو مقتبس عن حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة، ولا يقولون إنه مكيّف عنها. وقد كيّف هذه الحكاية نفسها سعدالله ونوس في نصه المسرحي "الملك هو الملك"، ومثل النقاش كيّف أبوخليل القباني الحكاية التي ترويها شهرزاد في الليلة الثانية والخمسين عن الجارية قوت القلوب في قصر هارون الرشيد، إلى نص مسرحي بعنوان "هارون الرشيد مع الأمير غانم بن أيوب وقوت القلوب" وكذلك الحكاية التي ترويها في الليلة الخامسة والأربعين إلى نص بعنوان "أنس الجليس مع هارون الرشيد".

ويؤكد الجديدي أن عشرات الكتاب المسرحيين العرب حذوا حذو هذين الكاتبين، فكيّفوا أو اقتبسوا مسرحيات كثيرة عن نصوص حكائية أو روائية أو ملحمية أو سير شعبية من التراث العربي أو الغربي أو الشرقي، منها تمثيلا لا حصر، تكييف مجموعة روايات نجيب محفوظ في مصر "زقاق المدق"، "بين القصرين"، و"اللص والكلاب" التي كيّفتها أمينة الصاوي وأخرج الأولى كمال ياسين 1958، والثانية صلاح منصور أواخر الخمسينيات، والثالثة حمدي غيث 1961، و"بداية ونهاية" تكييف أنور فتح الله وإخراج عبدالرحيم الزرقاني 1960، وغيرها من روايات محفوظ. كذلك مسرحية "النخلة والجيران" تكييف وإخراج قاسم محمد عن رواية بالعنوان نفسه للروائي العراقي غائب طعمة فرمان، و"القربان" تكييف ياسين عن رواية بالعنوان نفسه لغائب طعمة فرمان أيضا، وإخراج فاروق فياض 1975، ومسرحية "الشهداء يعودون هذا الأسبوع" لمحمد بن قطاف عن رواية الطاهر وطار وإخراج زياني شريف عياد 1986، والمتشائل تكييف عبدالعزيز البزاوي وعبدالهادي توهراش عن رواية "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" لإميل حبيبي، و"وجدتك في هذا الأرخبيل" تكييف محمد الكغاط عن رواية تحمل نفس العنوان لمحمد السرغيني 1994، و"حدّث" تكييف وإخراج محمد إدريس عن رواية "حدّث أبوهريرة قال" لمحمود المسعدي 1999.

ماذا نفعل بالراوي؟

وتؤكد الكاتبة اللبنانية نجوى بركات أن إحدى أهم الإشكاليات التي تواجه مسرحة الرواية هي كيفية معالجة السرد، وخاصة كيفية التعاطي مع وجود الراوي، فالمسرح يعالج تقليديا ما يحدث في اللحظة الراهنة، مستعينا بأداء الممثلين الذين لا يحتاجون إلى وسطاء بينهم وبين المشاهدين، في حين تحكي الرواية بشكل عام عن أحداث جرت في الماضي، -هذا حتى وإن كان زمن السرد اصطلاحا هو الزمن الحاضر- وينقلها إلينا راو ما -في المسرح نحن نرى- في الرواية نحن نخبر ونروي. والراوي، أكان راويا عليما يستخدم ضمير الغائب ويسيطر على خيوط اللعبة ومصائر الشخصيات أو راويا حاضرا يستخدم ضمير الأنا فيصحبنا في رحلة استكشاف للذات الحميمة ودواخلها، فإن التحدي المطروح على المسرحي يبقى هو نفسه بالنسبة إلى عملية الاقتباس. ففي الحالة الأولى كما الثانية يتوجه الراوي إلى القارئ، في حين تبقى العلاقة بين الممثل والمشاهد غير مباشرة، وقد يؤدي ذلك تلقائيا إلى رغبة استبدال القارئ بالمشاهد، لكنه خيار ذو عواقب من بينها تحويل الممثل إلى حكواتي. من هنا تظهر ضرورة إيجاد مكان للراوي، أيا كانت وجهة نظره، وتحديد الجهة التي سيتوجه إليها بخطابه.

ويقدم الناقد المغربي محمد أمنصور قراءة في مسرحية "كل شيء عن أبي" اقتباس وإخراج بوسلهام الضعيف عن رواية محمد برادة "بعيدا من الضوضاء قريبا من السكات" مؤكدا أن تجربة بوسلهام الضعيف تقدم الاقتباس كنموذج متميز لحوار خلاق بين الأدب الروائي والفن المسرحي بين مبدعين من جيلين مختلفين: جيل الرواد "محمد برادة" والجيل الثالث، وهو حوار يقوم على تحويل العناصر الموضوعاتية والرؤيوية والجمالية للرواية، من طابعها الأدبي ومسرحتها، أي تحريرها من أدبيتها وإعادة إدراجها ضمن الأفق المسرحية؛ "مسرحتها". حوار/ اقتباس يجمع بين تجريبية الشكل وجذرية الموقف النقدي من الأوضاع في نطاق صوغ فني مركب هاجسه إعادة الكتابة بما هي أفق للعب والنقد والتخييل والسؤال والمتعة.

وضمت الأوراق قراءات وشهادات لتجارب من مصر والإمارات والعراق والجزائر ولبنان والمغرب وتونس لفاطمة المزروعي وعواد علي ووليد علاء الدين، وناصر عبدالمنعم، وأنور حامد ومشهور مصطفى ويوسف فاضل.

رف الكتب

ذكريات مو يان قصصيا

❏ اشتهر الكاتب الصيني مو يان، المتوج بجائزة نوبل للآداب سنة 2012 برواياته أمثال "مطر في ليلة ربيعية"، "خطة فول الصويا"، مخدع من البلّور"، "النجار"، "ثلاث عشرة خطوة"، "ضفادع"، مثلما اشتهر بقصصه القصيرة أمثال "النهر والغلطة"، "الذرة الحمراء الرفيعة"، "أغنيات الثوم" و"كلب أبيض وأرجوحة". في مجموعته هذه، التي صدرت ترجمتها الفرنسية مؤخرا عن دار سوي، يحملنا الكاتب إلى مناخاته المعتادة، في كانتون شمال شرق غاومي، وعالم لا يعدم عواطف نبيلة وأحاسيس دافئة برغم العنف والفظاظة والقسوة التي تسوده، ويعود بنا إلى مرحلة طفولته وصباه ليروي حكايات تمتزج فيها الاستعارة بالأسطورة، والجد بالهزل، والتراجيدي بالكوميدي، في أسلوب شائق ولغة مقتصدة تقول ما ينبغي قوله، يدفع القارئ إلى تمثل الواقع الصيني الراهن، الذي يخالط فيه التقدم العلمي المذهل حكما سياسيا مستبدا ومشاكل مجتمعية لا تختلف في شيء عن مشاكل البلدان النامية.

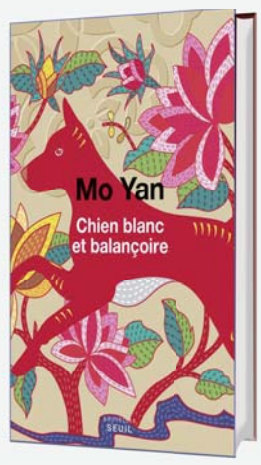

أمام المصير المحتوم

❏ "مسلخ الزجاج" عنوان الرواية الجديدة للكاتب الجنوب إفريقي جون ماكسويل كويتزي المتوج بنوبل عام 2003، ويسرد فيها سيرة كاتبة تواجه شيخوختها بشجاعة، وتلاحظ في هدوء غريب تدني ملكاتها الذهنية، وترى أبناءها وبناتها من حولها يحثونها على ترك أستراليا حيث تقيم، (وحيث يقيم الكاتب أيضا) للالتحاق بهم، غير أنها ترفض الاستجابة لطلبهم وتفضل مواجهة مصيرها في كنف الحرية والاستقلالية والوحدة، وتتساءل حتى النهاية، وبلا توقف، عن معنى وجودها نفسه، والطبيعة العميقة لإنسانيتنا. من خلال سبع لوحات روائية، يرسم كويتزي بورتريه سيدة، ودرسا أدبيا مكثفا وموجزا، في لغة راقية ممتعة، يلامس بواسطتها تساؤلاتنا المعقدة والكونية: "ماذا يتبقى منا إذا رحلنا؟ وماذا ننقل إلى الباقين؟" ولكنها دون مستوى رواياته السابقة، أمثال "في انتظار البرابرة"، "الخصم"، "الحديد"...

الأدباء والرسائل الجامعية المعطلة

❏ في سلسلة "مكتبة الأفكار" التي تصدر عن غاليمار، نشر الباحث شارل كوستي كتابا عنوانه "نقائض" يجمع بين الجدة والطرافة، يستعرض فيه التجربة التي عاشها كل من مالارمي وشارل بيغي وجان بولهان وسيلين ورولان بارت في إعداد رسائل دكتورا، في بلد يعتبر الأطروحة جنس كل الدراسات الأكاديمية. ويذكر بأن عدة كتاب فرنسيين كبار شرعوا منذ أواسط القرن التاسع عشر في إعداد أطروحات تخرج عن مألوف الدراسات الأكاديمية، مثل مالارمي الذي بدأ رسالة في اللسانيات لكي يستعيد توازنه بعد أزمة وجودية، وبيغي الذي كتب رسالة كانت عبارة عن شتيمة مسهبة للسوربون، وبولهان الذي تاه في مسوداته طيلة خمسة وثلاثين عاما دون أن يبلغ مرامه، وسيلين الذي عرض على اللجنة العلمية سيرته الذاتية تحت قناع سيرة طبيب مجري، وبارت الذي كان يؤكد أن الرسالة ينبغي أن تكون جسدا إيروسيا. والكتاب في مجمله سرد تاريخي يلتقي فيه الأدباء والجامعيون ويتنافسون، فالكتاب الذين يعرض كوستي تجاربهم، حين يبثون في تلافيف أطروحاتهم نصائحهم بخصوص الكتابة، إنما يضعون المعايير والأشكال الأكاديمية موضع مساءلة.

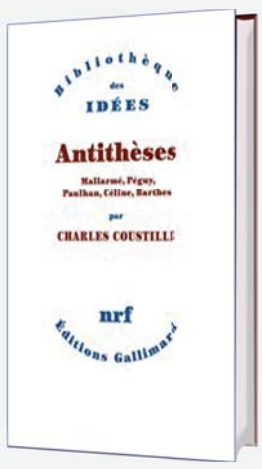

الطفولة الشقية في الشارع والعزلة في القطار

لحظات قاسية من زمن المدينة

باريس تحتفي بالمصور الأميركي دايف هيث الذي جعل من العزلة موضوعة بصريّة

عمار المأمون
كاتب من سوريا

❏ فقد الفنان الأميركي دايف هيث والديه في سن الرابعة، وتنقل بين عدد من دور الأيتام قبل أن يصل إلى سن الرشد، وعام 1952 حين صار في عمر الـ21 التحق بالجيش وفر إلى كوريا، ليعمل هناك مصوراً، لكن علاقة هيث مع الكاميرا بدأت باكراً، فالشاب الذي علم نفسه التصوير قبل كوريا والالتحاق بالجامعة، وجد في المدينة المعاصرة عمراناً سياسياً واقتصادياً يخلق العزلة، ويحول الفضاء العام إلى مساحة لبناء الحدود، وفصل البشر بعضهم عن بعض، فصوره التي تقتصر على الأبيض والأسود، تولد في المدينة، ذات التأثير المباشر على الأفراد ونظرتهم إلى ذواتهم.

رحل هيث عن عالمنا عام 2016، وتكريماً لذكراه وأثره الفنيّ تقيم صالة LE BAL الفنيّة في العاصمة الفرنسيّة باريس، معرضاً مميزاً لإبراز أهمية أعماله في رصد الثقافة الأميركيّة، إذ وضع القائمون على المعرض ثلاثة أفلام تصور الحياة اليوميّة في المدن الأميركية في الستينات، بمواجهة واحد من أشهر كتب الصور التي أنتجها هيث، وهي "حوار مع العزلة" الذي صدر للمرة الأولى عام 1965، ليكون المعرض الذي يحمل ذات الاسم، أقرب إلى محاولة لفهم طبيعة التواجد في فضاء المدينة، وأشكال الأداء الرسميّة أمام أعين الغرباء، والتي نراها في محطات القطار ومواقف الباصات، أو يتبناها أولئك الذين يمارسون أعمالهم "خارجاً" كساعة البريد والباعة المتجولين.

تحاول الأفلام الثلاثة أن تصور المدينة خارج إطار السينما التقليدية، والتقاط المعاناة اليوميّة للغرباء، الذين يلتقون يومياً على أرصفتها، ففي شريط البائع الوثائقيّ نشاهد قصة أربعة رجال يعملون في بيع المنتجات مباشرة للمستهلكين، يحمل الواحد منهم حقيبته ويطرق الأبواب طالباً من الغرباء أن يشتروا منه أشهر كتاب على الإطلاق، الكتاب المقدس، فالشريط يرصد كيف توظف سياسات الاستهلاك كل ما هو متوافر للربح، والذي نرى أشد أشكاله قسوة في فيلم "بورتريه جيسون" الذي نشاهد فيه اعترافات بائع هوى مثليّ داكن البشرة، ضمن لقطات طويلة، تلتقط صمته أحياناً، وسخريته في أحيان أخرى، وانتقاده للعنصرية والتوتر الذي يسود البلاد، أما في فيلم العين المتوحشة، فنشاهد قصة امرأة في لوس أنجلس تحاول إيجاد معنى لحياتها التي تضيع من يديها، وهي تتأمل مدينة الفرص اللامتناهية والأحلام بالشهرة والمال.

تأتي صور هيث في المقابل بوصفها استمرارا للجهود التي تحويها الأفلام السابقة، إذ تحاول التقاط الأفراد بوصفهم يؤدون مجبرين أدوارهم اليوميّة على خشبة المدينة، التي ستنفيهم خارجها وتهدد حياتهم إن لم يلتزموا بها، وكأن التواجد في الفضاء العام جزء من استمرارهم كأفراد، فصوره محاولة لتلمس معالم الخوف والوحدة التي تفرضها هذه الأدوار العلنيّة، في ظل تسارع إيقاع الحياة، الذي يعجز عن إدراكه الأطفال، أولئك الذين يفضلون زمن اللعب اللااقتصاديّ، لتأتي صورهم باكين، أشبه برد فعل حقيقي يخفيه الكبار عادة، إذ يوقف الأطفال الزمن والتدفق في الشوارع، للبكاء وتحرير صراخهم من قيود الأدب واللياقة العامة.

> ما يكسب صور هيث شعريّة عاليّة هو أنه يلتقط أغلبها خلسة، دون أن يدري الفرد أن عدسة الكاميرا موجهة إليه، فتأتي الانفعالات وتفاصيل الأوجه عفوية، لا افتعال فيها أو أداء أمام الكاميرا، وكأنها تتلصص على أشد لحظات العزلة خفاءً

ما يثير الاهتمام أن العلاقات في المساحة العامة قائمة على الصدفة التي قد لا تتكرر، وخصوصاً في فضاءات المدينة الضيقة، كوسائل النقل العموميّة، التي تقضي على المسافات الجسدية بين الأفراد، كما في صورة لسيدة مجهولة، تجلس في القطار، ولا ندري وجهتها، هي أشبه بمن يجلس وحيداً في جزيرة، مع ذلك هي ملاصقة لراكب آخر لكن كل واحد منهم معزول في عالمه الخاص، بعيداً عن الآخر الذي يتحسس كتفه، وكأن فضاء المدينة مساحة إجبارية لا بد للفرد أن يمر بها كي يصل إلى مكانه الآمن، أشبه بمجموعة من الفخاخ البشريّة والماديّة لا بد من تجاوزها للوصول إلى "المنزل".

يحوي المعرض أكثر من 150 صورة التقطها هيث في مختلف مراحل حياته، كتلك التي تتبعت فيها عدسته الجنود في كوريا خارج أوقات المعركة، موثقة خوفهم وحنينهم للوطن، ولحظات الوحدة التي يمرون بها، هائمين في خيالاتهم عن منازلهم، التي أصبحت مجرد ذكريات وأوهام في بعض الأحيان، يعيدون بناءها في ساعات من التأمل، بل وأحياناً نرى بعضهم نائماً في خندقه، متحرراً من قسوة المكان نحو رفاهية الحلم، يسلم جسده لمساحة أمان ضيقة تاركاً لخيالاته أن تقوده نحو المجهول.

ما يكسب صور هيث شعريّة عاليّة هو أنه يلتقط أغلبها خلسة، دون أن يدري الفرد أن عدسة الكاميرا موجهة إليه، فتأتي الانفعالات وتفاصيل الأوجه عفوية، لا افتعال فيها أو أداء أمام الكاميرا، وكأنها تتلصص على أشد لحظات العزلة خفاءً، تلك التي يراها الآخرون ولا يدركونها، لتأتي عدسته لتفضح الحميميّة الخفية أحياناً، لحظات اللمس التي تبدو عفويّة، لكنها تخفي وراءها توقاً نحو الأمان والدفء.

> إذ وضع القائمون على المعرض ثلاثة أفلام تصور الحياة اليوميّة في المدن الأميركية في الستينات، بمواجهة واحد من أشهر كتب الصور التي أنتجها هيث

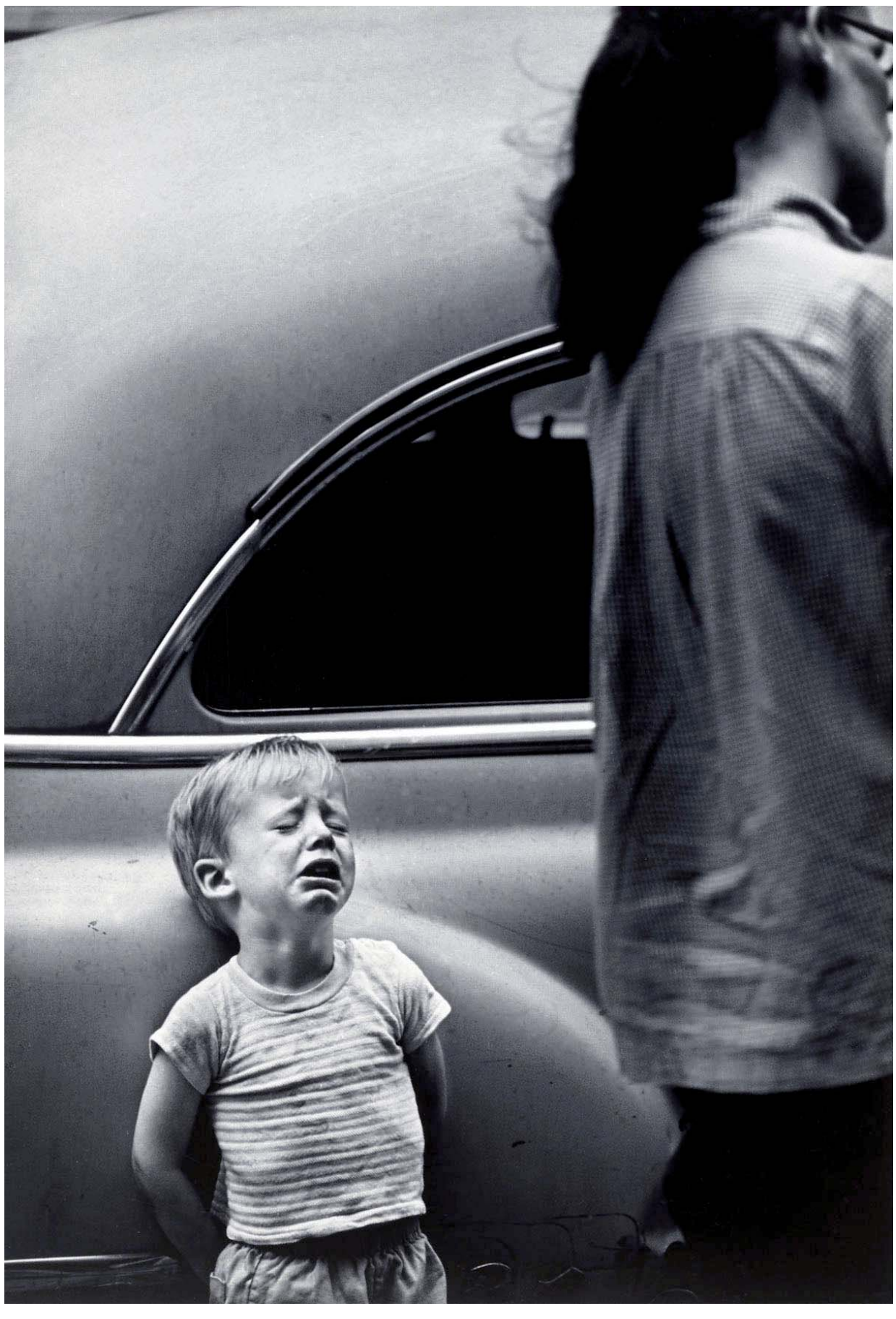

لاوقت للانتباه

نجح الإخراج في اعتماد تقنيات حديثة لحضور الممثلين على الخشبة

«علي الزيبق» يشن غارة على الفساد والعنف في مصر

الكاتب يسري الجندي والمخرج محمود فراج يغامران في مواجهة مسرحية للحاضر

شريف الشافعي
كاتب من مصر

❏ تشنّ مسرحية "علي الزيبق" للكاتب يسري الجندي غارة فنية على الفساد والعنف وتغوّل السلطة في مصر، وقد عُرضت حديثًا في القاهرة بمعالجة مبتكرة تحمل بصمات الشباب وروح المغامرة.

يصل المكر الفني إلى بغيته من انتقاد الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة من خلال الإسقاط والترميز والأقنعة، حيث تنُوب الأساطير والعوالم الخيالية والأزمنة المنقضية والافتراضية عن الواقع الذي يهرب الإبداع من الإشارة إليه وتعريته بشكل مباشر، ربما بسبب التوجّس أو الخوف أو المحاصرة أو الحرج.

تبدو قصص الحيوانات في "كليلة ودمنة" وسير الأبطال الشعبيين في الموروث الشفوي المصري والعربي إدانة لقوى الشر والفساد والعنف لدى المتسلطين من البشر، بالقدر ذاته الذي تنصف فيه أهل المروءة والشجاعة والنبل من عامة الشعب، الذين لا يلتفت إليهم التاريخ الرسمي على امتداد صفحاته.

في هذا الإطار، تأتي مسرحية "علي الزيبق" للكاتب يسري الجندي (76 عامًا)، التي كتبها منذ أكثر من أربعين عامًا، وجرى عرضها مساء 24 سبتمبر الحالي على مسرح الحكمة في ساقية الصاوي بالقاهرة وفق رؤية مسرحية جديدة من إعداد وإخراج محمود فراج، وأداء ورشة شباب الأندلس "فرقة الدوبلير".

يستنهض العرض على مدار خمس وسبعين دقيقة طائر العنقاء الذي لا يفنى بعد احتراقه وتحوّله إلى رماد، وهو هنا "علي الزيبق" البطل الملحمي المعروف، الذي يشهر أسلحته وحيله وألاعيبه في وجه السُّلطة الجائرة بمصر، ويشنّ غارة تكتيكية ومسرحية على كافة مظاهر الفساد والعنف في البلاد في عهد السلطنة المملوكية.

مبارزات الواقع والفن

يخوض عرض "علي الزيبق" في ثوبه الجديد مبارزة فنية، كتلك التي خاضها الشاب علي الزيبق وأمه فاطمة الفيومية وفريق الانتصار للحق والعدل والخير خلال أحداث العرض، في مواجهة دائرة الفساد مكتملة الأركان (السلطان، العسكر، العسس)، والتي يمثلها المقدم سنقر الكلبي، المسؤول عن حفظ الأمن، والمقدمة دليلة العراقية.

هذه المعركة الفنية، يواجه العرض فيها الماضي، الذي يحفل بمعالجات ورؤى درامية كثيرة ناجحة لحكاية علي الزيبق، مسرحيًا وإذاعيًا وتليفزيونيًا، فضلًا عن روايتها على مدار سنوات طويلة من خلال شاعر الربابة والحكّائين الشعبيين الذين كانوا يدورون على المقاهي، الأمر الذي أدّى إلى حفر الملحمة في الوجدان الشعبي المصري، وكأن أبطالها حقيقيون، وأحداثها واقعية.

تلخص سيرة علي الزيبق ما يمكن وصفه بتجربة اللص الشريف أو المحتال النظيف، الذي يأخذ على عاتقه الانتقام لأبيه المقدم حسن راس الغول، صاحب الأفكار المثالية عن العدل والمساواة ومراعاة الشعب وفرض النظام بالحق، والذي غدر به سنقر الكلبي وأعوانه من قوى الشر لينفردوا بالسلطة، وليقيموا دولتهم على الاستبداد والطغيان وإهدار الكرامة الإنسانية.

يتقمّص الشاطر علي كل الأدوار والشخصيات، ويرتدي كل الأقنعة التنكرية، ويحمل سيفه تارة وحيله وألاعيبه الذكية تارة أخرى، ولصوصيّته المشروعة أيضًا في أحيان أخرى (لأن الجزاء من جنس العمل)، ويمضي مُشهرًا أسلحته في وجه معسكر الشرّ بقيادة سنقر الكلبي، الذي يجسّد المقولة الشهيرة "حاميها حراميها"، وكلما أوشك الزيبق على السقوط والانكشاف، ظهرت أمه فاطمة "رمز الوطن" لتنقذه وتحرره، فينهض من رماد كطائر العنقاء، وينخرط في مناورة أخرى حاملًا آمال المستضعفين جميعًا الذين وكّلوه للدفاع عنهم.

مثلما أن الزيبق ورفاقه ينجحون في زعزعة استقرار قوى الظلم السائدة، فإن معالجة "علي الزيبق" الحديثة تحمل على عاتقها بوعي وحساسية محاولة خلخلة الملحمة التقليدية وعروضها الدرامية السابقة من خلال تفاصيل الأحداث المروية، وإسقاطاتها وإحالاتها الراهنة، وأيضًا من خلال العناصر والتقنيات ووسائل الإبهار المسرحية.

أرواح وأجساد

يتوسّل عرض "علي الزيبق" بوضوح لعبة الرموز والإسقاطات لفتح الأحداث على فضاء الواقع الراهن، فمنذ البداية هناك حشد من المتقنّعين الذين يخفون وجوههم الأصلية ويعيشون في زمن الـ"هناك"، ثم يكشفون وجوههم لتمضي الوقائع كلها كأنها في زمن الـ"هنا".

يستنهض العرض طائر العنقاء في لعبة ترميز لا تخفى على المشاهد

هناك أيضًا الراوية، الذي يحيل إلى الحكّاء الشعبي في الموروث الثقافي الشفوي، وهذا الراوية في سرده لسيرة الزيبق وما جرى وسيجري له يخاطب جمهور المتفرجين بوصفهم يشاهدون أنفسهم ويتفاعلون مع حياتهم الملموسة، ويبلغ هذا التطابق بين المحكيّ التاريخي والحاضر المعيش ذروته في ختام المسرحية، حين يسقط الزيبق في أيدي الأعداء قبل أن تخلّصه أمه فاطمة، إذ يصيح المنادي في المتفرجين مستنفرًا همتهم ويقظتهم وتمرّدهم على الأوضاع السائدة "قوموا بقى.. فوقوا يا بشر".

جاءت سينوغرافيا نجلاء عبدالقادر من ديكور وملابس لتهيئ العيون لمتابعة لقطات من عهد السلطنة المملوكية، على المستوى الجسدي، فالمكان مزدان بالأرابيسك والزخارف العربية، والسلالم والأسقف خشبية مزركشة ومرقوشة، والملابس وأغطية الرؤوس والسيوف والمعدّات وغيرها منتمية إلى زمن الملحمة التاريخية. أما لغة العرض، بمعنى روحه وليس فقط عباراته المصوغة بالعامية المصرية، فهي لغة العصر الحالي.

هذه الروح العصرية أراد لها صنّاع العرض أن تقوده إلى مداراته الحقيقية في هذا الزمان، ومن خلال أحد الاستعراضات الغنائية الراقصة التي يحفل بها العرض، تتحرر هذه الروح من جسد الحكاية القديمة الضيق، وتدبّ الأقدام على الأرض معلنة السخط والاعتراض، ويطلق الممثلون جميعًا أنشودة الحرية من تأليف أحمد فؤاد نجم وألحان الشيخ إمام "يا شركسي يا أبوبندقية/ لا دين لا ذمة لا إنسانية/ كرباج في إيدك والناس عبيدك".

تقنيات مسرحية جديدة

يثري العرض الآليات الدرامية المعتادة بتقنيات ووسائل مسرحية متطوّرة، كما في توزيعات محمد ميزو الموسيقية، التي تمزج بين الوتريات والطبول في أجواء الحكي التي تستدعي طقوس شاعر الربابة، والآلات الحديثة والكهربائية في الاستعراضات الغنائية والرقصات المعاصرة ومشاهد المعارك والمواجهات والمناورات الشيّقة وبين الزيبق والكلابي.

تحتفي الإضاءة بالمصابيح الحمراء لتشخيص حالات الإثارة والتوثّب المتعاقبة وخلق بيئة ملائمة للمغامرات والمبارزات التي تحتبس فيها الأنفاس، ومع تصاعد المآسي كما في لحظة الغدر بحسن راس الغول، يسود الإظلام المشهد وحده، مع هالات ضوئية على وجوه الممثلين تبرز شحناتهم الانفعالية. وقد أحسن نادر إسماعيل (سنقر) ورواندا ربيع (الأم فاطمة) وأحمد صالح (علي الزيبق) استثمار مثل هذه اللقطات القريبة للإفصاح عن ملكاتهم الأدائية والتعبيرية.

> يصل المكر الفني إلى بغيته من انتقاد الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة من خلال الإسقاط والترميز والأقنعة، حيث تنُوب الأساطير والعوالم الخيالية والأزمنة المنقضية والافتراضية عن الواقع الذي يهرب الإبداع من الإشارة إليه وتعريته بشكل مباشر

عرض "علي الزيبق"، الذي يردّد في كثير من مواضعه "السيف أصبح خشب، والزمان اتقلب، والغدر بقى شريعة"، باختصار عرض الإرادة الحرة والانتصار للإنسان ولقيمة الحياة رغم كل التحديات والظروف المعاكسة، فسياسات العنف والاستبداد والفساد مصيرها إلى زوال طالما بقيت يدٌ تقاوم، وظل عقل يبتكر أفكارًا خارج الصندوق.

تحتفي الإضاءة بالمصابيح الحمراء لتشخيص حالات الإثارة والتوثّب

ميونخ تعدكم بالفرح على مدى 16 يوما وبالتاريخ على الدوام

مهرجان أكتوبر فيست يرحب بالمزيد من الزائرين

تدعو مدينة ميونخ الألمانية محبي المهرجانات العالمية إلى حدثها السنوي في دورته التي شارفت على القرنين "أكتوبر فيست" للحضور والاستمتاع بفعالياته وأنشطته المتنوعة، بالإضافة إلى التعرف على معالم المدينة التاريخية والمعمارية وسط أجواء طبيعية خلابة وخدمات فندقية راقية.

جان بيار حبيب

❑ **ميونخ (ألمانيا)** – حملني إلى ميونخ، أو كما تعرف بالألمانية باسم "ميونشن"، سبتمبر ليرميني من جديد في أحضان هذه المدينة التي كللت أفقها بجبال الألب المهيبة، وسمحت لنهر إيزار بالتسلل إلى وسطها وهو في رحلته نحو الجارة الجميلة النمسا.

تطل ميونخ من بين خضرة الجبال وعذوبة المياه بكامل عظمتها وأناقتها لتعرض أمام زوارها تحفها المعمارية ومبانيها التاريخية التي نُقشت بالحجر لتحولها إلى إحدى أجمل المدن الأوروبية على الإطلاق.

وميونخ هي مدينة الفرح والمهرجانات العالمية التي ينتظرها الجميع بشغف ولهفة، فعندما يلوح الصيف بالرحيل عن تلك البقعة الخضراء من الجنوب الألماني، يتسارع أهل المدينة للتحضير لمهرجان "أكتوبر فيست" الذي يستقطب أكثر من 6 ملايين زائر سنويا.

العرس الوطني

تتحول أنظار العالم إلى ميونخ كل عام بين 22 سبتمبر وإلى غاية 7 أكتوبر، حيث تحتفل المدينة بعرسها الوطني – أكتوبر فيست الذي يستحضر عرس الملك البافاري لودفيغ الأول على الأميرة تيريزا الذي أقيم في 12 أكتوبر عام 1810 وسط حشود محلية غفيرة. ولذلك يعرف الموقع الذي يقام فيه المهرجان بـ"مرج تيريزا" إكراما لأميرتهم الحلوة وتخليدا لذكراها.

> زائر ميونخ يحتار من أين يبدأ مشواره السياحي في رحاب هذه المدينة التي تنثر عبق ماضيها في الأزقة والأحياء

ويذكر أن العرس الملكي انتهى باستعراض للخيل، ولذلك كررت المدينة الاستعراض نفسه في العام التالي، وفي ما بعد شهدت ميونخ فترات من الحروب سكت فيها صوت الفرح الذي أطل من جديد بعد سنوات طويلة من الانتظار عبر مهرجان أكتوبر فيست الذي يرحب بجميع زائريه هذا العام في دورته الـ185.

ويفتتح عمدة ميونخ بضربة على برميل خشبي خلال الثانية عشرة ظهرا هذا المهرجان للمباشرة ببيع المشروبات والبدء بالغناء والرقص والموسيقى.

ويهب أكتوبر فيست رواده فرصة التعرف على جزء مهم من العادات والتقاليد البافارية المتوارثة عبر الأجيال من خلال الأزياء، والموسيقى والأطباق المحلية التي تقدم في الخيام المشيدة لتلك المناسبة السعيدة. وتنتظر جميلات بافاريا هذا الحدث السنوي لارتداء الفستان التقليدي المعروف بالـ"درندل"، بينما يتسارع الشباب لارتداء الـ"ليديرهوزن" الذي يشمل سروالا قصيرا من جلد الماعز أو الغزال وجوارب طويلة، وسط أجواء حماسية بامتياز، يمضي الجميع 16 يوما في أجواء مشحونة بلوحات من الفولكلور البافاري المتجذر في حياتهم اليومية منذ زمن بعيد.

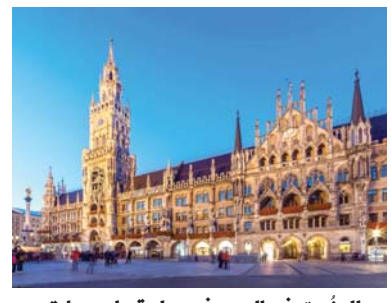

جمال نُحت في الحجر في ساحة مارين بلاتس

جميلات بافاريا خلال مهرجان أكتوبر فيست

اكتشفوا المدينة

يحتار الزائر من أين يبدأ مشواره السياحي في رحاب هذه المدينة التي تنثر عبق ماضيها في الأزقة والأحياء، فأينما جال النظر هناك ما يناديه ويدعوه إلى اكتشاف ما تخبئه زواياها العتيقة من مآثر عمرانية تفنن ببنائها من مر على أرضها، بدءا من ساحة كارلز بلاتز التاريخية وساحتها المزينة بنافورة دائرية للمياه.

ويمكن لزائريها دخول المدينة عبر بوابة مزدانة بالطراز القوطي الحديث والتمتع بمقاهي الأرصفة والمطاعم والمتاجر المترامية على جانبي شارع المشاة ناي هاوزير شتراسيه الذي يلتقي في وسطه بشارع كاوفنغر شتراسيه، وتشكل نهاية الشارع أحد المداخل إلى ساحة مارين بلاتس التي تخطف القلوب بمبانيها التي برع بنحت كل حجر فيها أبرز النحاتين الألمان. يعلو وسطها عمود طويل يربض في أعلاه تمثال ذهبي للسيدة العذراء شيد عام 1638 للاحتفال بانتهاء الاحتلال السويدي للمدينة.

وعبر طريق متفرعة من هذه الساحة يصل الزائرون إلى أحد أقدم مصانع البيرة في ألمانيا، إنه هوفبراوهاوس الذي يعود الفضل في تأسيسه إلى دوق بافاريا وليام الخامس الذي أنشأ ذلك المصنع عام 1589 لإنتاج البيرة لأسرة فيتلسباخ الملكية. وبمرور الزمن تحوّل المصنع إلى أحد أهم مطاعم المدينة التقليدية، ولا تزال تحتفظ أسرة فيتلسباخ بطاولتها الخاصة فيه.

ولكي يتعرف الزائر على تاريخ بافاريا الملكي عليه بالانضمام إلى قافلة السياح والمقصود هنا قصر نيمفنبورغ، حيث يختال الماضي بكامل عظمته ويقف بهيبة ووقار أمام أعين السياح ليقدم لهم قصرا لا يزال يعيش فيه فرانز دوق بافاريا، آخر المنحدرين من سلالة فيتلسباخ الملكية التي حكمت مملكة بافاريا على مدى 700 عام أي إلى غاية انضمام بافاريا رسميا إلى جمهورية ألمانيا الاتحادية عام 1918.

وتبرز في القصر مظاهر الثراء والترف وخاصة على الجدران والنوافذ والأبواب والأسقف المشغولة بنقوشات ملفتة للنظر، ولسنوات خلت، كان هذا المكان المقر الصيفي لملوك بافاريا.

ولا تتوقف مآثر فيتلسباخ المعمارية هنا، بل تمتد إلى قصر ميونخ ريزيدانس الذي يسرد الكثير من التفاصيل الدقيقة عن

هكذا تتراقص المياه في ساحة كارلز بلاتس

حياة تلك الأسرة العريقة التي عشقت مظاهر الثراء والتي سيكتشف الزائر بعضها في باحاته العشرة، وغرفه التي يصل عددها إلى 130 غرفة، وبذلك يكون أكبر قصور أوروبا ويتسم بواجهة مثيرة للإعجاب، فهذا البناء شديد التميز يضم مسرحا ضخما، ومتحفا، وخزينة أموال، وصالة للعملات النقدية التي جُمعت خلال فترة حكم الملك لودفيغ الأول.

ومن قصور ميونخ العريقة ينتقل السائح إلى كاتدرائية السيدة العذراء فراونكيرشه التي يمكن رؤية قبتيها المميزتين من بعيد.

وترقد الكاتدرائية بين ساحتي مارين بلاتس واوديون بلاتس وتشتهر ببرجيها ذوي الشكل البصلي اللذين يقفان بكل شموخ ليداعبا سماء ميونخ الصافية.

وتبقى "الحديقة الإنكليزية" الوجهة المفضلة لمحبي الارتماء في أحضان الطبيعة وخاصة في الأيام المشمسة.

وتحمل الحديقة اسمها الحالي لأنها مصممة على غرار الحدائق الإنكليزية، ففي عام 1789 سمح الأمير كارل تيودور لعامة الناس بالتنزه في أرجائها التي تمتد على مساحة 375 هكتارا من المروج الخضراء، وعندما يهبط الليل ويطل القمر في جوف السماء مشرقا وبهيا، يتسارع محبو الفن والموسيقى إلى دار الأوبرا في ولاية بافاريا لحضور أي من العروض الفنية التي تقدم على مدار السنة.

ويرجع تاريخ تقديم عروض الأوبرا في ميونخ إلى عام 1653 لأن ابنة حاكم بافاريا آنذاك الأميرة هنريات اديلايد اوف سافوي كانت من عشاق الموسيقى وكانت تدعم الشركات الفنية العاملة في ذلك المجال. وتصدح في دار الأوبرا في ميونخ اليوم الأعمال الموسيقية لعباقرة الموسيقى العالميين أمثال موتسارت وفاغنر وهاندل ومونتيفيردي لتقف شاهدة على أن ميونخ طبعت اسمها عاليا كمدينة للفن والثقافة والعطلات الجميلة.

اخترنا لكم

يبرز من بين وفرة الفنادق الفاخرة في العاصمة البافارية اسم بايريشرهوف الذي يعد واحدا من أهم فنادق البلاد ومن أكثرها استقطابا للشخصيات العالمية، ولذلك يستقبل كل عام مؤتمر ميونخ للأمن الذي يشارك فيه حوالي 500 مشارك رفيع المستوى من جميع أنحاء العالم بينهم العشرات من رؤساء الحكومات ووزراء الخارجية والدفاع والمئات من خبراء الشؤون العسكرية والأمنية.

ولضمان مكانة الفندق المرموقة تسعى مالكة الفندق فولكهارت بشكل دائم إلى تحديثه وإضفاء اللمسات العصرية على هذا الصرح العريق المشيد عام 1841، ففي ربيع 2016 استعانت بمهندس الديكور الداخلي البلجيكي أكسل فرفورت وطلبت منه إضافة 29 غرفة جديدة، منها 23 غرفة ديلوكس، و5 أجنحة صغيرة، وجناح آخر يحتل الطابق الثامن بأكمله من الفندق بمساحة 350 مترا مربعا، يحمل اسم بانتهاوس غاردن سويت.

وكم يبدو أنيقا هذا الجناح بحديقته الغناء المترامية حوله وبأرجائها المغروسة بشتى أصناف الزهور والنبات والأشجار، هنا ستكون في متناول الضيف غرفة رحبة للاستقبال، وأخرى لتناول الطعام تزينهما مدفأة، وغرفتا نوم مع حمامات، ومطبخ مجهز بأحدث التجهيزات والمعدات الكهربائية، ومنتجع صحي يشمل على غرفة للساونا والبخار، وغرفة للتدليك، وصالة للاستراحة، ونادٍ للتمارين الرياضية، وحوض للمياه الدافئة بجوار المنتجع الصحي تصل درجة حرارة مياهه إلى نحو 42 درجة مئوية وفقا لطلب الضيف.

أنفقت ما يقارب 12 مليون يورو خلال حملة التحديث الأخيرة التي أسدل الستار عليها في نهاية يناير من العام الحالي. وتتراوح تعرفة الإقامة في بايريشرهوف من 495 يورو إلى غاية 20 ألف يورو، وبالإمكان أن تشمل خدمة السائق والساق (باتلر).

وسيلاحظ النزلاء روعة وجمال الأجنحة الحديثة من خلال تلاعب فرفورت بالظل والضوء، فجميع الغرف المنيرة الواقعة في القسم الجنوبي منه تتسم بديكور ملون ومشرق، بينما طغت الألوان القاتمة والداكنة والديكور الهادئ على الغرف الرابضة في القسم الشمالي لكي تتماشى مع النور الخجول الذي لا يصلها كثيرا.

وبذلك توج بايريشرهوف غرفه التاريخية التي يصل عددها إلى 337 غرفة، وأجنحته المترفة التي تصل إلى 74 جناحا، بمجموعة من أحدث وأروع الغرف والأجنحة في ميونخ ليهب نزلاءه فرصة معايشة فصل بارز من فصول الفخامة والرفاهية.

أنشطة متنوعة تغمر الحضور بالفرح

ميونخ في سطور

- تشتهر ميونخ عالميا بأنها مدينة ثقافية عالمية الطابع، وتمتلك المئات من المتاحف والمعارض الفنية، والقصور الأثرية والكنائس، والكثير من الكنوز الثقافية والفنية التي تجعل من مدنها مميزة على مستوى العالم.
- تلقب بعاصمة ألمانيا الخفية ولكنها بالفعل عاصمة ولاية بافاريا وتستقطب الكثير من السياح العرب.
- يتميز أهلها بلطفهم وبانتمائهم القومي إلى ولاية بافاريا أولا ثم إلى ألمانيا، فبافاريا كانت في الماضي مملكة مستقلة.

رحلة أميركية تدفع السياح للسير على الأقدام مسافة 4280 كلم

❑ **لوس أنجلس** – يمكن للسياح الانطلاق في رحلة تجول في الولايات المتحدة لمسافة 4280 كلم، مع اصطحاب 20 كغم من الأمتعة والتجول سيرا على الأقدام لمدة 6 أشهر في رحلة العمر.

قد يبدو الأمر غريبا بعض الشيء ولكن هناك 3500 شخص يقومون بهذه الرحلة كل عام على مسار التجول باسيفيك كريست تريل، والمعروف اختصارا باسم بي. سي. تي، على الشاطئ الغربي للولايات المتحدة، والذي يمتد من الحدود المكسيكية إلى الحدود الكندية، ويمر هذا المسار عبر البرية، وللانطلاق في مثل هذه الرحلة لا يحتاج المرء إلى إجازة من العمل أو الدراسة فحسب، بل لا بد أن يكون لديه استعداد لتحمل المشقة في المقام الأول.

ويشاهد السياح خلال الرحلة أويجين، البالغ من العمر 52 عاما، يجلس في مسكن العطلات في ريت وود بالقرب من لوس أنجلس ويضع اللاصقات الطبية على قدميه؛ حيث أنه بدأ مغامرة التجول على مسار بي. سي. تي منذ أربعة أسابيع انطلاقا من المنطقة الحدودية كامبو الواقعة جنوب الولايات المتحدة، ومن أجل القيام بهذه المغامرة أخذ الطبيب الألماني إجازة من عمله، فبعد قضاء 25 عاما في العمل وجد نفسه يحتاج إلى ستة أشهر دون مظاهر الحياة الحديثة والابتعاد عن الهواتف والاتصالات، لكي تنعم روحه بالهدوء والاستقرار.

وقد سمع أويجين عن هذه الرحلة منذ سنوات عديدة، وقرر أن يقوم بها في وقت من الأوقات، قائلا "تبدو هذه الفكرة مجنونة وجميلة في الوقت نفسه، وقد استحوذت عليّ تماما"، وخلال رحلة التجول يتم السير لمسافة 35 كلم على مسار بي. سي. تي كل يوم، ويتخلل ذلك بعض أيام الراحة.

ولا يشاهد السياح في الكثير من الأحيان أي مساكن أو شوارع أو متاجر أو حتى أماكن الاستحمام، وهذا يعني أنه يتعين عليهم حمل الطعام والماء لعدة أيام، وأن يتم توزيعهما جيدا على الأيام، ويندر وجود الماء في جنوب كاليفورنيا، وفي حالة عدم وجود مياه كافية، فسيكون هناك خطر على الحياة، علاوة على عدم توافر استقبال لشبكة الاتصالات الهاتفية الجوالة على مسافات طويلة من مسار التجول، وتنتشر حرائق الغابات وهجمات الدببة من آن إلى آخر عند السير باتجاه الشمال.

ويبدأ الموسم السياحي في شهر أبريل؛ نظرا إلى أن درجة الحرارة لا تكون مرتفعة في جنوب كاليفورنيا، وخاصة في صحراء موهافي، ثم في مرتفعات هاي سييرا، التي يصل ارتفاعها إلى 4000 متر، ولا تسود هذه المنطقة أجواء شتوية في تلك الفترة، وإذا لم يتمكن السياح من قطع المسافة اليومية بانتظام، فإنه سيتعذر عليهم الوصول إلى وجهتهم في الوقت المناسب؛ نظرا إلى أنه من المفترض أن يتم الوصول إلى الحدود الكندية مع نهاية سبتمبر، قبل أن يتساقط الكثير من الثلوج على نهاية مسار التجول.

استقر أويجين يومين للراحة في ريت وود، وحصل على طرود الطعام الخاصة به من مكتب البريد، وقد خطر بباله أن يستسلم وينهي هذه المغامرة الشاقة مثل معظم السياح، الذين يبدأون جولتهم على مسار بي. سي. تي؛ حيث يقوم السياح في المساء بنصب خيامهم، ويعدون بأنفسهم حساء العشاء وينامون في

التحدي مستمر

أكياس النوم، وعادة ما تكون الأجواء باردة والنوم غير مريح، كما يتكثف الماء في الخيام، وتظهر الآلام في الجسم، ومع بزوغ فجر اليوم التالي يتعين عليهم مواصلة المسير بانتظام.

وأخذ أويجين بعد عشرة أيام أخرى من التجول، فترة راحة في مدينة تيهاتشاي الصحراوية، والتقى باثنين من الطلاب من جامعة مونستر، ماريكه ويان، في أحد المخابز بالمدينة وتناولوا القهوة والقرفة، ويتعين على السياح أثناء التجول على مسار بي. سي. تي تناول الطعام بالقدر الذي يسمح لهم بمعادلة ما يستهلكونه من السعرات الحرارية.

وأشارت ماريكه إلى أنها عرفت مسار التجول بي. سي. تي من خلال الفيلم "بري" بطولة ريس ويذرسبون ولورا ديرن، مضيفة "بعد مشاهدة الفيلم تولدت لدي رغبة في التجول على المسار". وقد أعدت لهذه الرحلة أثناء جولة في النرويج برفقة صديقها يان، وقد تغلبت حاليا على المشاكل الأولية، التي تظهر مع بداية التجول، مثل البثور في القدمين.

وبدأ كل من أويجين وماريكه ويان في الجزء التالي من الرحلة على مسار التجول في منطقة هاي سييرا بفضل تأخر فصل الشتاء؛ وبعد بضعة أسابيع قرر يان إنهاء التجول؛ نظرا لأن الزوجين لم يحرزا تقدما أثناء التجول للوصول إلى الحدود الكندية في الوقت المناسب، واستمر أويجين في التجول.

محرك بحث بدأ صغيرا يستحوذ على مستخدمي الإنترنت

غوغل يعزز خدماته ويستبق طلبات المستخدمين

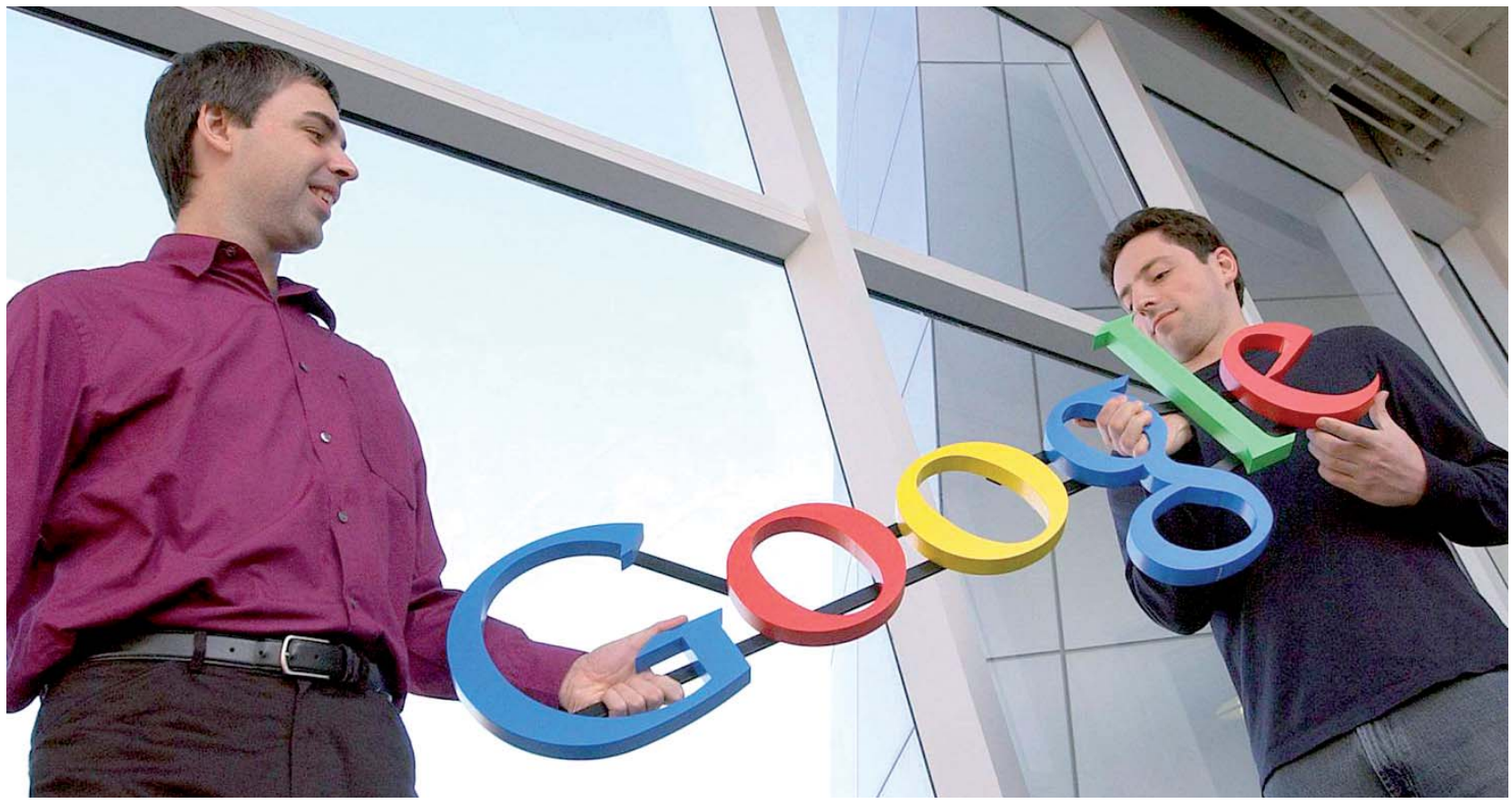

أنت تسأل ونحن نجيب

بدأت فكرة محرك البحث غوغل بسيطة حين عمل عليها طالبان أميركيان، وبإمكانيات مادية قليلة قدمها أحد الذين آمنوا بفكرة أن الإنترنت ستستحوذ يوما من الأيام على اهتمام البشرية، وفي العشرين من عمر غوغل ثبتت التوقعات باتساع رقعة الإنترنت حتى أصبحت تستحوذ على عقولنا، كما أصبح محرك غوغل الشاب أشهر محرك بحث في العالم.

❏ **كاليفورنيا (الولايات المتحدة)** – قام محرك غوغل بتصميم شعار خاص مبتكر بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأسيسه الخميس الماضي، وعرض فيديو يوثق عيد ميلاده، وتحت شعار "غوغل يستطيع الإجابة على كل أسئلتك" عرض محرك البحث في الفيديو أسئلة المستخدمين التي بحثوا عنها في غوغل من جميع البلدان حول العالم بمرور السنوات المختلفة، كما عرض التغيرات الشكلية التي مرت بها الصفحة الرئيسية لمحرك البحث بمرور سنواته العشرين، وحرص المحرك في نهاية الفيديو على شكر مستخدميه بأكثر من 40 لغة، ولكن من الملاحظ أن ليس من بينهم اللغة العربية.

وأكد المحرك الأميركي، أنه بات قادرا على استباق طلبات المستخدمين بفضل الذكاء الاصطناعي والبيانات الشخصية، في وقت تزداد المخاوف من انتهاك الخصوصية، بل هناك من يتهم محرك بحث غوغل بأنه يعلمنا الكسل.

يقول بن غومز أحد المسؤولين في المجموعة الأميركية العملاقة، أن "البحث على الإنترنت ليس في وضع مثالي ونحن ندرك ذلك تماما (...) لكننا مصممون على تحسين أدائنا يوميا"، متعهدا بتقديم مضامين أكثر ملاءمة للمتطلبات الشخصية على طريقة وسائل التواصل الاجتماعي.

وأدلى بن غومز بهذه التصريحات خلال مؤتمر صحافي بمناسبة الذكرى السنوية العشرين لانطلاق المجموعة التي أسسها طالبان في جامعة ستانفورد، ما أحدث ثورة حينها في مجال البحث على الإنترنت.

بداية في مرآب منزل

ففي سبتمبر من عام 1998، وعندما أسس لاري بيغ وسيرغي برين الشركة الأم لغوغل، شركة "ألفابيت" في مرآب منزل في ولاية نورث كارولينا الأميركية، لم كانا يملكان فقط 4 أجهزة كمبيوتر ومبلغا من المال لم يتجاوز 100 ألف دولار دفعها أحد المستثمرين الذي آمن بفكرتهما بأنّ إنشاء محرك للبحث على الإنترنت سيغير حياة البشر إلى الأبد.

وبدأ نشاط المحرك متواضعا يعتمد على ما يمكن تسميته بالبحث والفهرسة، ولكن تجاوزها في ما بعد ليقدم خدمات ومنتجات عديدة، أبرزها الخرائط وبريد جيميل ومتصفح إنترنت كروم ونظام تشغيل أندرويد للهواتف الذكية والأجهزة اللوحية.

ولم يتوقع الكثير أن يحقق غوغل أرباحا طائلة ناهزت 9.4 مليار دولار بعد عشرين عاماً فقط من تأسيسه المتواضع، ووصلت احتياطات المحرك الشهير إلى حوالي 100 مليار دولار أميركي في الوقت الحالي.

وأصبح غوغل اليوم، المحرك الأشهر في البحث في العالم، وباتت خدماته جزءا لا يتجزأ من حياة البشر اليومية، مما أدى إلى تغيير هيكلية البنية الذهنية للإنسان نحو الاعتماد على الذكاء الاصطناعي، وبالتالي امتدت الأدمغة البشرية نحو الفضاء الرقمي.

وبفضل خوارزمياته السحرية والملغزة، يبسط غوغل هيمنته على عالم الشبكة العنكبوتية، بل وينفتح أكثر وأكثر للاستثمار في عالم الصناعات التكنولوجية من برمجيات وأجهزة إلكترونية.

كما لم يعد مساعد غوغل، الذي لا يتطلب تشغيله سوى استخدام كلمتين فقط (هاي غوغل)، يقدم معلومات سريعة فحسب، بل أصبح بإمكانه حجز المواعيد عوضا عنا وإجراء حجوزات للمطاعم.

وأصبحت خدمة غوغل للبريد الإلكتروني "جيميل" تقدم اقتراحات حول ما نرغب في كتابته، كما باتت أخبار غوغل تعرض آخر المستجدات التي لها علاقة شخصية بنا، فقد

جميع هذه العناصر في تبديد حاجتنا إلى التفكير واتخاذ القرارات بأنفسنا.

ويستخدم نحو 90 بالمئة من مستخدمي الإنترنت محرك البحث غوغل، أي بمعنى أن غوغل يحتكر المجال السيبراني تقريبا، دون إعطاء مجال لأي محرك بحث آخر للدخول في منافسته.

خصائص جديدة

أصبح غوغل واحدا من أكبر الشركات المتعددة الجنسيات في العالم وغالبا ما تواجه انتقادات وتتكبد حتى غرامات على خلفية اتهامها بالهيمنة.

وأكدت المسؤولة عن المنتجات في غوغل كارين كوربي أنّ من بين الأفكار الرئيسية التي تعمل المجموعة على تطويرها "الوقوع على أمور لم تبدأوا حتى بالبحث عنها".

وسيعزز غوغل تاليا "شريط الأحداث" لديه سيسميه "ديسكافر" ويعرض عددا أكبر من المضامين التي من شأنها إثارة اهتمام المستخدمين من مقالات وتسجيلات مصورة... ليشبه بدرجة كبيرة ما تقدمه شبكات أخرى مثل فيسبوك.

ومن بين الخصائص الجديدة التي ستتوافر اعتبارا من الأسابيع المقبلة، وعد غوغل بتوسيع نتائج البحث لتشمل ما قد يثير اهتمام المستخدم حتى من دون أن يسأل عنه، فعلى سبيل المثال عندما يبحث أحدهم عن نوع كلب قد يكون مهتما بمعرفة طريقة الاهتمام بهذا الكلب أو سبل الحصول على مثل هذا الحيوان.

كما أن البحث عن بلد ما قد يعني أن المستخدم يفكر ربما في زيارته وبالتالي يمكن لغوغل أن يعرض عليه معلومات عن أسعار الفنادق أو تذاكر السفر... علما أن الشبكة لها محركات بحث خاصة للحجوزات.

حماية البيانات الشخصية

كل هذه الخصائص من شأنها دفع المستخدم إلى تمضية وقت أطول على غوغل بدل الاستعانة بمواقع أخرى.

وتستند هذه الاقتراحات إلى معرفة غوغل بعادات مستخدمي الانترنت عموما، وأيضا إلى معلوماته الدقيقة عن المستخدم بما يشمل موقعه الجغرافي ولغته ونوع الجهاز الذي يستخدمه إضافة إلى معلومات كثيرة أخرى يختلف حجمها تبعا لكمية البيانات الشخصية التي يتيح المستخدم للتطبيقات الاطلاع عليها.

نقاشات كثيرة تدور في هذا الصدد منذ أشهر عدة، حول حماية الحياة الخاصة والبيانات الشخصية مثلا وانتهاك المجموعات التكنولوجية للخصوصية، لا سيما مع انكشاف فضيحة "كامبريدج أناليتيكا" المرتبطة بـ"فيسبوك". وتزامنت تصريحات بن غوميز مع جدل جديد أثاره أستاذ يحاضر في جامعة جونز هوبكنز أكد أن عملاق التكنولوجيا أدخل تعديلا على متصفحه كروم له "تداعيات كبيرة على الحياة الخاصة ومستوى الثقة".

ومنذ التحديث الأخير، يربط كروم تلقائيا مستخدم المتصفح بحسابه في غوغل، دون أن يأخذ برأيه، كما كان الحال سابقا، وفق ما أوضح الأكاديمي ماثيو غرين على مدونته.

وبيّنت دراسة صادرة عن باحثين في جامعة "برينستون" الأميركية، أن غوغل يرصد تحركات ما يزيد عن ملياري شخص حول العالم، ممن يستعملون أجهزة وهواتف تعمل بنظام التشغيل الشهير "أندرويد".

وبحسب وثيقة شروط الاستخدام، "عندما تربطون بحسابكم، نخزّن المعلومات المجمّعة... ونعتبرها من البيانات الشخصية".

ولفت الأكاديمي غرين الذي جرى تداول بيانه المنشور على نطاق واسع على الإنترنت "من شأن تعديلات من هذا القبيل أن تقوّض ثقة المستخدمين".

الكسل الذهني

من بين الخصائص الأخرى التي كشف عنها غوغل، الإتاحة للمستخدمين بنشر قصص، وهو نسق رائج بقوة على الإنترنت حاليا يجمع بين النصوص والصور وتسجيلات الفيديو الزائلة. وهذه الخاصيات الجديدة مستوحاة بدرجة كبيرة من شبكات أخرى مثل "فيسبوك" وإنستغرام وسناب شات.

وستتيح الخصائص الجديدة أيضا مواصلة عمليات البحث على مدى أيام عدة مع إمكان وضع المواقع التي سبق للمستخدم تصفحها، جانبا بسهولة أكبر، كما الحال لدى التحضير لسفر على سبيل المثال.

وأشار غوغل إلى أنها ستعزز عمليات البحث بواسطة الصور ما سيتيح التعرف إلى طبيعة غرض ما استنادا إلى الصورة الملتقطة له.

وبعد عقدين من الزمن على انطلاقة غوغل، وهو المحرك الأشهر في البحث في العالم، باتت خدمات غوغل جزءا لا يتجزأ من حياة البشر اليومية، مما أدى إلى تغيير هيكلية البنية الذهنية للإنسان نحو الاعتماد على الذكاء الاصطناعي، وبالتالي امتدت الأدمغة البشرية نحو الفضاء الرقمي.

ويقول الخبير في الفلسفة البروفسور بنيامين كرتس إن الاتكال المتنامي على خدمات غوغل القائمة على الذكاء الاصطناعي، جعلنا نتخلى عن قدر أكبر من مساحتنا الذهنية الشخصية لصالح غوغل.

ويشير إلى أن غوغل يعمد إلى سد نقائصنا المعرفية، وبالتالي الذهنية. وفي هذه الحالة، ستتلاشى خصوصيتنا الذهنية وقدرتنا على التفكير بحرية.

وعلى الرغم من تلك الانتقادات إلا أن نمو غوغل وتأثيره الكامل على حياة مئات الملايين من البشر حول العالم أصبح حقيقة من شأنها التزايد يوما بعد يوم، وهو ما يزيد من تعاظم دور الشركة بين أكبر المؤسسات العالمية.

أخبار التكنولوجيا

لينوفو تقدم نموذجا أوليا لهاتف قابل للطي

❏ قدمت شركة "لينوفو" نوذجا أوليا لهاتف محمول، حيث يمكن طيه ما يقارب 360 درجة، ويعد هذا ثورة في عالم الهواتف الذكية.

ولا يؤثر مقدار الطي الذي يتعرض له الهاتف الذكي على خصائصه التقنية، ويظهر الفيديو أن الهاتف يعمل بشكل جيد ويشحن ويفتح التطبيقات دون أي مشاكل. ووعد مطورو الشركة بأن يعملوا على تطوير الهاتف بدرجة أكبر ودعمه بمرونة إضافية، قبل البدء في إطلاق الإنتاج التسلسلي له.

فيسبوك تطلق خوذة جديدة للواقع الافتراضي

❏ كشفت شركة فيسبوك عن خوذة لاسلكية جديدة للواقع الافتراضي تتيح تجربة انغماسية فريدة في ألعاب الفيديو.

وقال رئيس فيسبوك مارك زوكربيرغ خلال تقديمه المنتج الجديد إن الخوذة المسماة "أوكولوس كويست" تتيح "عيش التجربة المنتظرة للواقع الافتراضي اللاسلكي".

ويجمع الطراز الجديد بين سهولة الحمل لخوذات "غو" وقوة الأداء في أجهزة "ريفت"، وهما الطرازان الآخران لخوذات الواقع الافتراضي لدى فيسبوك.

روسيا بصدد تصميم حاسوب كمي خارق

❏ وافق المجلس العلمي لمؤسسة البحوث العلمية الواعدة في روسيا على مشروع تصميم أول جهاز كمبيوتر كمي في روسيا.

وأعلن الخبير سيرجي غاربوك، أن النموذج الأول من جهاز الكمبيوتر الكمي قد يظهر في روسيا في خريف عام 2021.

ويعد الكمبيوتر الكمي حاسوبا يستخدم في عمله ظواهر الكم الميكانيكية. وله مواصفات تفوق مواصفات أجهزة الكمبيوتر الكلاسيكية من حيث احتساب أنظمة معقدة وحل الشيفرات مهما كان مدى تعقيدها كبيرا.

تطبيق يحول الكلام المنطوق إلى نص مكتوب

❏ يقوم تطبيق "سبيتس نوت" على هواتف أندرويد بتحويل الكلام المنطوق إلى نص مكتوب. ومن ضمن المزايا العملية، التي يتضمنها هذا التطبيق، وجود أيقونات لعلامات الترقيم، ولا يضطر المستخدم لإملائها بشكل إضافي.

ويبدأ التطبيق في التعرف على الكلام من خلال الضغط على أيقونة الميكروفون، كما يمكن لأصحاب هواتف آيفون بدء عملية الإدخال الصوتي بمجرد الضغط على أيقونة الميكروفون.

حمية «داش» تحد من زيادة الوزن أثناء الحمل

نظام غذائي يحث على تناول الخضروات أكثر من الدهون

كثيرا ما يحذر الأطباء من اتباع الأنظمة الغذائية الصارمة أثناء الحمل خوفا من حرمان الحامل والجنين من الفيتامينات اللازمة، لكن يرى أخصائيو التغذية أنه لا ضير من التحكم في حجم السعرات الحرارية واختيار الأطعمة الصحية التي توفر المعادن المطلوبة دون التسبب في زيادة في الوزن يصعب التخلص منها في ما بعد.

❑ **نيويورك** – أفادت دراسة أميركية حديثة بأن اتباع السيدات الحوامل حمية غذائية تعرف باسم "داش" يمكن أن يحد من زيادة أوزانهن، ويقي أطفالهن من خطر الإصابة بالسمنة خلال مرحلة الطفولة.

الدراسة أجراها باحثون بكلية الطب جامعة نورث وسترن الأميركية، ونشروا نتائجها في دورية "أميركان جورنال أوف بريفاتيف ميديسن" العلمية.

وأوضح الباحثون أن زيادة الوزن أثناء الحمل يمكن أن تسبب مشاكل صحية خطيرة للأم والطفل، منها السكري وارتفاع ضغط الدم والعيوب الخلقية. وأضافوا أن الأطفال الذين يولدون لأمهات يعانين من زيادة الوزن خلال الحمل معرضون بنسبة 50 بالمئة لزيادة الوزن، وترتفع النسبة إلى 70 بالمئة إذا كان كلا الوالدين يعاني من السمنة.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، اختبر الباحثون فاعلية النظام الغذائي المعروف باسم حمية "داش" في الحد من الوزن الزائد خلال الحمل.

وتتركز حمية "داش" على تناول الفواكه والخضروات والحبوب الكاملة والبروتين خالي الدهون والأطعمة منخفضة الدسم، فيما تحث على تجنب الأطعمة عالية السعرات، والغنية بالدهون، والحلوى واللحوم الحمراء وخفض الملح في الطعام.

وراقب الباحثون 281 من السيدات الحوامل وكان من بينهن من يعانين بالفعل من زيادة الوزن قبل الحمل وتراوحت أعمار المشاركات بين 18 و45 عاما. وقسم الفريق المشاركات إلى مجموعتين، اتبعت الأولى حمية "داش"، فيما تناولت المجموعة الثانية الغذاء المعتاد. ووجد الباحثون أن اتباع "داش" أثناء الحمل، خفض وزن الحوامل بمقدار خمسة أرطال، مقارنة بالمجموعة الثانية.

ونشرت مجلة الجمعية الطبية الأميركية دراسة أظهرت أن زيادة الوزن المفرط كانت أكثر شيوعا لدى النساء اللواتي حملن بأول طفل، كما أن معظم الوزن الزائد يبدأ في الظهور خلال الأسبوع الـ13 من الحمل. وتقول الأبحاث إنه بالنسبة إلى بعض النساء، فإن وزن الجسم لن يتغير كثيرا خلال الأشهر الثلاثة الأولى من الحمل وخاصة بالنسبة إلى النساء اللواتي يعانين من الغثيان في الصباح والظهر والليل.

حمية داش تسهل استعادة الوزن الأصلي قبل الحمل

وعن القيمة الغذائية لهذه الحمية، قال الباحثون إن "داش" التي يتبعها عادة الأشخاص للحد من ضغط الدم المرتفع، مناسبة بشكل مثالي للحمل، حيث توفر للمرأة الحامل عناصر غذائية مهمة مثل الكالسيوم والبوتاسيوم والبروتينات وتحد من تناول الملح والسكر والدهون المشبعة التي تضر بالحوامل. وللحد من زيادة الوزن أيضا، نصح الباحثون السيدات الحوامل بالمشي 30 دقيقة على الأقل يوميا، والنوم من 7 إلى 9 ساعات ليلا، لأن قلة النوم تعيق عملية التمثيل الغذائي وتسهم في زيادة الوزن. ولأن الحامل معرضة أيضا لارتفاع ضغط الدم، كانت دراسات سابقة كشفت أن حمية "داش" تخفض خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، بالإضافة إلى تأثيرها القوي الذي يماثل الأدوية في علاج مرض النقرس.

فقد أفادت دراسة أميركية سابقة بأن اتباع مرضى ضغط الدم أو المعرضين لخطر الإصابة بالمرض لحمية "داش" يخفض ضغط الدم المرتفع، الذي يزيد فرص الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

الدراسة أجراها باحثون بكلية الطب في جامعة جونز هوبكينز الأميركية، ونشروا نتائجها في دورية "أميركان كوليج أوف كارديولوجي" العلمية.

وللوصول إلى نتائج الدراسة، تابع الباحثون ما يزيد على 400 من البالغين الذين يعانون ارتفاع ضغط الدم، بينهم مرضى معرضون لخطر الإصابة بالمرض، وتراوحت أعمار المشاركين بين 23 و76 عاما.

وكان ضغط الدم الانقباضي لدى المشاركين يتراوح بين 120 و159 ملم زئبقيا وبلغ الضغط الانبساطي لديهم بين 80 و95 ملم زئبقيا، فيما بلغ معدل الضغط الطبيعي 80/120 ملم زئبقيا. ووجد الباحثون أن تلك الحمية التي تركز أيضا على تقليل ملح الطعام، تقلل من ضغط الدم الانقباضي وهو الرقم الأعلى لضغط الدم.

قال الدكتور ستيفن جوراشيك، قائد فريق البحث بالطب جامعة جونز هوبكينز، إن "نتائج الدراسة تشير إلى أن التدخلات الغذائية يمكن أن تكون أكثر فعالية من الأدوية الخافضة للضغط لدى الأشخاص المعرضين لخطر المرض".

> الأطفال الذين يولدون لأمهات يعانين من زيادة الوزن خلال الحمل معرضون بنسبة 50 بالمئة لزيادة الوزن

ويوصي خبراء التغذية، من أجل تجنب اكتساب وزن مفرط، بتناول مجموعة متنوعة من الأطعمة المختلفة كل يوم؛ للحصول على التوازن الصحيح من العناصر الغذائية التي تحتاجها الأم وطفلها، ويجب على المرأة تعقب وزنها قبل وأثناء الحمل لمعرفة أنماط زيادة الوزن وما إذا كانت تسير وفقا للمعايير الطبيعية، بالإضافة إلى ضرورة ممارسة بعض التمرينات التي لا تقل عن 150 دقيقة في كل أسبوع، مثل المشي والسباحة والتمارين الخاصة بالحمل.

ووفق المعهد الطبي الأميركي المستقل، تتعلق نسبة زيادة وزن الحامل والحد الأقصى المسموح به بحجم المرأة وطولها.

أدلة جديدة على أهمية الرياضة في تحسين المزاج

❑ **واشنطن** – توصل باحثون أميركيون إلى أن ممارسة الرياضة تحد من ظهور أعراض الأمراض النفسية وتحسن الحالة المزاجية. وقال الباحثون إن هذه النتيجة ربما تنطبق حتى على القيام بالأعباء المنزلية.

وبحث فريق الدراسة بيانات أكثر من 1.2 مليون بالغ في الولايات المتحدة. وأجاب المشاركون على سؤال حول وتيرة ممارستهم للرياضة خلال الشهر الماضي بعيدا عن أي نشاط جسدي في نطاق العمل. كما أجابوا على سؤال يتعلق بكم مرة شعروا فيها أن صحتهم النفسية "ليست على ما يرام" بسبب التوتر والاكتئاب والمشاكل العاطفية.

وأشارت نتائج الدراسة المنشورة في دورية "لانسيت سايكيارتي" إلى أن أيام الشعور بالحالة المزاجية السيئة شهريا بلغت 3.4 يوم في المتوسط وكانت أقل لدى من يمارسون بعض النشاط الجسدي خارج نطاق العمل بمقدار 1.5 يوم.

وبدا أن للرياضة تأثيرا أكبر على من لديهم تاريخ مع مرض الاكتئاب. فضمن هذه الفئة تراجع شعور من يمارسون الرياضة بحالة نفسية سيئة بمقدار 3.8 يوم شهريا في المتوسط مقارنة بمن لم يفعلوا قط. وقال آدم تشيكرود، وهو باحث في الطب النفسي بجامعة ييل بولاية كونيتيكت الأميركية، "من يمارسون الرياضة يتحلون بصحة نفسية أفضل ممن لا يفعلون، خاصة من يتمرنون بين ثلاث وخمس مرات أسبوعيا لمدة 45 دقيقة".

وأضاف في رسالة بالبريد الإلكتروني "تؤكد هذه الدراسة المنافع الصحية المتعددة لممارسة الرياضة بغض النظر عن السن أو العرق أو النوع أو الدخل أو الحالة الجسمانية. أي قدر بسيط يفيد بمعدل 30 دقيقة كحد أدنى، وكل تمرين بما في ذلك المشي يرتبط بتخفيف مشكلات الصحة النفسية". وأثبتت الدراسة أن كل أشكال الرياضة تؤثر على حديث المرء عن شعوره بحالة نفسية سيئة.

وكانت الصلة أقوى في حالات من بينها الرياضات الجماعية وركوب الدراجات، إذ ارتبطت بتقليل أيام الشعور بحالة نفسية سيئة بنسبة 22 بالمئة مقارنة بعدم ممارسة الرياضة، لتليها تمرينات اللياقة البدنية التي ارتبطت بتراجع الحالة المزاجية السيئة بنسبة 21 بالمئة. وتوصلت الدراسة إلى أن التمرينات الذهنية كاليوغا والتاي تشي تؤدي إلى الحد من أيام الشعور بالمزاج السيء بنسبة 23 بالمئة مقارنة بعدم ممارسة الرياضة.

كلما زاد النشاط زادت نسبة السعادة

وحتى الأعباء المنزلية، أثبتت النتائج أنها تؤدي إلى تقليص أيام الشعور بحالة نفسية سيئة بنسبة 9.7 بالمئة على الأقل مقارنة بمن لا يمارسون الرياضة على الإطلاق.

وأوضحت دراسة حديثة لباحثين في جامعة ميشيغان بالولايات المتحدة أن الأشخاص الذين يمارسون نشاطا بدنيا مرة واحدة في الأسبوع، أكثر سعادة من أولئك الذين لم يمارسوا أي نشاط بدني. كما وجد الباحثون أن النشاط البدني يزيد من الصحة النفسية الإيجابية للناس، ويقلل في الوقت نفسه من المشاعر السلبية مثل الاكتئاب والقلق.

وكشف التحليل الإحصائي لـ15 دراسة قائمة على الملاحظة، أنه مقارنة بالأشخاص غير النشطين، كانت نسبة زيادة السعادة تتناسب مع نسبة النشاط الرياضي حيث تراوحت بين 20 و52 بالمئة. فكلما ازداد النشاط البدني ازدادت بالمقابل نسبة السعادة، وذلك بسبب إطلاق الجسم لهرمون الأندروفين، الذي يطلق عليه الأطباء اسم "هرمون السعادة"، والذي يفرزه الجسم أثناء ممارسة التمارين الرياضية.

> من يمارسون الرياضة يتحلون بصحة نفسية أفضل ممن لا يفعلون خاصة من يتمرنون بين ثلاث وخمس مرات أسبوعيا

تمارين القوة والمقاومة تكافح بدانة الأطفال

❑ **لندن** – كشفت دراسة بريطانية حديثة أن تشجيع الأطفال والمراهقين على القيام بتمارين القوة والمقاومة، يمكن أن يلعب دورا رئيسيا في التخلص من البدانة.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة إدنبرة البريطانية، ونشروا نتائجها في دورية "سبورت ميديسن" العلمية.

وتمارين القوة والمقاومة هي استعمال مقاومة أو ثقل من أجل تحفيز تقلص العضلات، ما يزيد من قوتها وحجمها. وتساهم تلك التمارين بشكل ملحوظ في تحسن الصحة العامة للشخص، مثل زيادة قوة العظام والعضلات والأربطة وتحسن عمل المفاصل.

وهناك رياضات ترتكز على تمارين القوة، هي كمال الأجسام ورفع الأثقال ورياضة القوة ودفع الثقل ورمي القرص ورمي الرمح.

ولرصد تأثير تمارين القوة والمقاومة في التخلص من البدانة، راجع الفريق نتائج 18 دراسة أجريت في 8 بلدان، بينها الولايات المتحدة وأستراليا واليابان، على أطفال ومراهقين تتراوح أعمارهم بين 9 و18 عاما.

ووجد الباحثون أن مشاركة الأطفال والمراهقين في تمارين القوة والمقاومة قللت من الدهون في الجسم، وساعدت على مكافحة البدانة.

وقالت الدكتورة هيلين كولينز، قائدة فريق البحث، إن "نتائج الدراسة تظهر التأثير الإيجابي الذي يمكن أن تحدثه تمارين القوة والمقاومة في الحفاظ على وزن صحي وخفض دهون الجسم لدى الشباب والأطفال".

وأضافت أن "الدراسة تسلط الضوء على الحاجة إلى إجراء أبحاث معمقة حول الدور الذي يمكن أن تلعبه تمارين القوة في المساعدة على عيش حياة صحية".

وكانت دراسة سابقة ذكرت أن إصابة الأطفال بالسمنة في عمر مبكر تعرضهم لخطر انخفاض معدلات الذاكرة والذكاء وتؤثر على أدائهم في الاختبارات الإدراكية.

ووفقا للمراكز الأميركية للسيطرة على الأمراض والوقاية منها، فإن إصابة الأطفال بالسمنة المفرطة، تعد مصدر قلق كبير على الصحة العامة في الولايات المتحدة؛ حيث تعرضهم لزيادة خطر إصابتهم بالأمراض المزمنة مثل داء السكري وأمراض القلب والأوعية الدموية.

وأفادت دراسة أميركية سابقة بأن السمنة في مرحلة الطفولة والمراهقة يمكن أيضا أن تحدث أضرارا لا يمكن إصلاحها في العظام، وتفاقم الكسور.

الدراسة أجراها باحثون بمستشفى ماساتشوستس العام وكلية الطب بجامعة هارفارد الأميركية ونشروا نتائجها في دورية "الجمعية الأميركية لتقدّم العلوم". ولرصد تأثير زيادة الوزن على الهيكل العظمي للأطفال والمراهقين، تابع الباحثون حالة 23 مراهقا متوسط أعمارهم 17 عاما، ويعانون من السمنة المفرطة.

ووجد فريق البحث أن المراهقين الذين يعانون من السمنة المفرطة، تنخفض لديهم مستويات هرمون النمو الذي يلعب دورا رئيسيا في صحة وبناء العظام بشكل جيد، كما وجد أن الأضرار التي تحدث لعظام المراهقين بسبب الدهون والسمنة تزيد خطر تعرضهم لكسور العظام بعد البلوغ، حتى إذا فقدوا أوزانهم الكبيرة في ما بعد.

وطالب فريق البحث بضرورة السيطرة على سمنة الأطفال في وقت مبكر، حتى لا تؤثر على كثافة عظامهم عند الكبر، واعتبر أن أفضل طريقة لمنع فقدان العظام هي اتباع نظام غذائي صحي يحتوي على كميات كافية من الكالسيوم وفيتامين "د"، بالتزامن مع ممارسة التمارين الرياضية بانتظام.

إنجازات من ورق لأبطال وهميين يجسدون الشباب الفاقد للأمل

الحكومة تتحمل مسؤولية تسويق نموذج عبدالعاطي للوصول إلى شهرة زائفة

أسباب كثيرة تقف وراء ظاهرة تزييف الشباب للاختراعات والإنجازات العلمية والرياضية، من الرغبة في جذب الأضواء والشهرة والمجد الزائف، إلى إرضاء الاحتياجات النفسية وتجاوز حالة اليأس والعجز، لكن المسؤولية الكبرى تقع على وسائل الإعلام التي تنساق للحدث دون التحقق من مصداقية الادّعاءات، إضافة إلى مسؤولية الحكومة التي جعلت من نموذج عبدالعاطي قدوة للشباب الفاقد للموهبة.

محمود زكي
صحافي مصري

❑ **القاهرة** – باتت ظاهرة تزييف الشهادات العلمية وسرقة الأبحاث والإنجازات الوهمية منتشرة بشكل واسع بين الشباب، يغذيها هوس البحث عن الشهرة في المنصات الافتراضية التي روجت لفكرة المثالية، وجعلت الجميع يلهث وراء مكانة متميزة لتسليط الأضواء عليه.

وانطلى التزييف حتى على وسائل الإعلام والصحف والمجلات ومواقع الإنترنت، فتسابقت على استضافة أصحاب الاختراعات والإنجازات للاحتفاء بهم باعتبارهم نماذج مشرفة وقدوة للشباب، ما جعل الظاهرة خطيرة تهدد مصداقية البحث العلمي، وتشوه صورة الشباب الجاد وتفقد الثقة به.

وانهالت بعض وسائل الإعلام في مصر مدحا على طالب الثانوية العامة محمد عبادي، وتسابق الكثير من الإعلاميين للحصول على السبق الصحافي واستضافته للحديث عن إنجازاته العلمية المرتبطة بمجال النانو تكنولوجي، بعد ادّعاء الفوز بالمركز الأول في مسابقة علمية روسية شهيرة تدعى "أرشميدس ، لاختراعه وسيلة لإنتاج الطاقة من النبات.

ورغم أنه ليس صعبا التحقق من مصداقية الشاب عبادي وحقيقة الإنجاز الذي روج له الأب وقاده نحو الإعلام ناسبا إليه فضل وصوله إلى هذا الذكاء والموهبة التي لا أساس لها. إلا أن المثير في الأمر هو أن مسؤولين في الحكومة المصرية وقعوا ضحية لهذا التزييف، وانساقوا وراء الحملة العلمية ولم يتفحصوا أوراق الشاب وتاريخه الخالي من أي تفوق دراسي.

وفي الواقع لم يكن عبادي ومعه والده أول المدّعين بالتفوق وتحقيق إنجازات عالمية فريدة، إذ أن المسألة تكررت في مجالات مختلفة وهي مستمرة، فكل واقعة مزيفة تحقق لصاحبها شهرة مؤقتة، ثم ينكشف أمرها، ويتوارى صاحبها من دون أن يحصل على جزائه القانوني، لأن الناس تنساه، وتنشغل بغيره وتنجذب إليه.

> نموذج عبدالعاطي شكل حافزا للتقليد وتحقيق الانتشار بعد أن أضحى التزوير والادعاء الكاذب أمرين لا يدعوان إلى الخجل، بل يقدمان الشهرة والمال

ولا ينسى المصريون حكاية "الشاب المعجزة" مصطفى الآغا الذي خرجت بعض الصحف تحتفي به باعتباره خارقا للذكاء، ونجح في الفوز بالميدالية الذهبية في مسابقة علمية جرت في جنيف، وزعم أنه اخترع جهازا لتحلية مياه البحر بتكلفة زهيدة وسرعة مذهلة.

ووصل بعض الكتاب وقتها إلى حد أنهم حذروا الحكومة من اختطاف الطفل من جهات أجنبية والعمل لصالحها، في حال عدم تبني موهبته باعتباره ثروة قومية، وفق تعبيرهم.

وزعم الآغا نفسه أن الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما وقتها أرسل له رسالة على البريد الإلكتروني بشكل شخصي يطالبه بالقدوم إلى الولايات المتحدة على الفور، ثم ظهرت معالم الحقيقة بعد ذلك واتضح أن الآغا لم يرشح على الإطلاق إلى الجائزة كما أنه ليس عالما ولا متخصصا من الأساس في تحلية المياه.

ومثال آخر، رياضي هذه المرة فقد استطاع شوقي عبدالحليم، في عامه السادس عشر، خداع الأندية والقنوات الرياضية بأنه لاعب محترف في صفوف أحد الأندية الفرنسية الكبيرة، وتحاول أندية أخرى كبرى تلقفه وتجنيسه للفوز بإمكاناته التي تضاهي أمهر لاعبي كرة القدم في العالم.

وواصل ادّعاءاته التي روجت لها بعض وسائل الإعلام بالقول إن النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي قال عنه إنه خليفته في الملاعب، قبل أن يفضح رواد مواقع التواصل أكاذيب شوقي الذي لا تتعدى مهارته في كرة القدم، مهارة هاو يلعب في أحد شوارع وحواري القاهرة.

وتتكرر تلك النماذج بين الشباب بطريقة مثيرة، ولا يتوقف أصحابها عن محاولة الفوز بالنجومية والمجد الزائف، وبحسب تفسيرات وتأويلات الخبراء، فإن دوافع هؤلاء الشباب تتراوح بين البحث عن شهرة سريعة من دون مجهود حقيقي، وبين السمات الطاغية على المجتمعات الفقيرة ورغبة المنتمين إليها في تغيير واقعهم المزري بأي شكل، حتى لو كان ذلك من خلال الخداع والزيف ونشر الشائعات.

احتياجات نفسية

والسبب الرئيسي في لجوء هؤلاء الشباب إلى ادعاء تحقيق منجزات وهمية، يعود إلى عامل هشاشة المجتمع ودخول قطاع كبير من شبابه مرحلة خطيرة من اليأس في تحسين الواقع السياسي الذي أغلق الكثير من المنافذ أمامهم، كما أن احتدام الأزمات الاقتصادية حال دون العثور على مصادر لتحسين الدخل المادي بطريقة مشروعة، ولعبت العوامل الاجتماعية دورها في زيادة الإحباط لدى فئة من الشباب كانت تتصور أن هناك مجالا لتكافؤ الفرص، قد يسمح بالخروج من الشرنقة الضيقة.

يقول العالم الأميركي موراي بوين، صاحب نظرية الإرشاد الأسري، أن تكوين الطفل في مراحل متعددة حتى الوصول إلى سن العشرين، التي تمثل سن الثورة والحماس، يحتاج إلى سد الاحتياجات النفسية الأساسية تماما مثل الاحتياجات الفيزيولوجية. وفي حالة العجز تكون تلك الثغرة ممنهجة لنشوء اضطرابات سلوكية عند وصوله إلى مرحلة الشباب.

وتتعدد الاحتياجات النفسية للإنسان عموما، والشباب خصوصا، بين الاحتواء والحنين والحب غير المشروط والتشجيع والدعم والحماية والرغبة في الإبداع. ويقود غياب الاحتياجات التي تصب جميعها في النهاية نحو فكرة تحقيق الإنجاز، إلى لجوء الطفل ثم الشاب إلى الاحتيال والكذب مهما كان شكله للفوز برضا الأسرة والأهم التشجيع والشعور بالذات.

تقليد أعمى

نجاح بعض النماذج في خداع وسائل الإعلام ومتابعي مواقع التواصل الاجتماعي، الذين يبادرون بالاحتفاء بهم تحت شعار أن المجتمع حافل بكفاءات ولا يجد من يدعمها، ولهاث المسؤولين وراء الإعلام بتكريمهم، يقدم شبابا مشوها لا يحاول تقديم فعل يستحق الإشادة.

ويلجأ بعض الشباب إلى الصراخ على مواقع التواصل الاجتماعي، ولفت الانتباه

الرغبة في الإنجاز تأخذ مسارات عديدة

الجميع يبحث عن مكانة القدوة الأعلى

بطولات وهمية

وتلقي نظرية بوين وارتباطها بالتربية مسؤولية تحوّل الشاب إلى محتال ومخادع أو مدّعي موهبة، على الأسرة وطريقة تربيتها له منذ الصغر وعجزها عن إشباع رغباته الطبيعية والمطلوبة.

وتقول إيناس عبدالودود، أستاذة التربية النفسية بجامعة القاهرة، إن المراحل المختلفة لانتقال الإنسان من طفل إلى شاب، هي المرحلة الأخطر في تحديد هوية الشخص وتكوينه النفسي والفكري، والتصاق المعايير الأخلاقية بوجدانه.

وتضيف في تصريحات لـ"العرب"، أن فشل الأسرة في احتواء الشباب وسد حاجاتهم النفسية مبكرا، من تشجيع وإشادة وشعور بالفخر بأبنائها على أفعال غير حقيقية لا تستحق التقدير، يخلق إنسانا عاجزا ومتعدد الأوجه يبحث عن طرق غير شرعية لإثبات ذاته أمام ذويه، وهو ما ينتهي إلى بحث الكثير من الشباب عن تحقيق إنجازات وهمية للوصول إلى إشباع غرائزهم النفسية.

وتتحمل الأسرة في الحالتين ما يؤول إليه الأبناء، ولا سيما إذا كانت شريكة للشاب في كذبه بادعاء تحقيق إنجاز معين تماما، مثل حالة الشاب عبادي، الذي لعب والده الدور الأكبر في تشجيعه على الاستمرار في اختلاق أكاذيب حول إنجازات علمية واختراعات مزيفة.

أحيانا إلى نماذج هي مشوهة في الحقيقة، كنوع من الانتقام من الحكومة التي لم تقدم فرصا ورعاية ملموسة للشباب، وتكون الانتقادات الموجهة إليها في هذه المسألة، عن قصد أو من دونه، أداة لزيادة نقمة الشباب عليها.

وفي المراحل العمرية بين 12 عاما وحتى سن الـ20، يبحث الشاب عن قدوة يسير على خطاها، وتصبح شاغله، تقترن بغالبية سلوكياته، ولا يشترط أن يصبح ذلك النموذج حسن السلوك أو مثالا خيّرا، وغالبا ما تكون تلك القدوة شخصية شهيرة ومثيرة وملفتة أو نموذجا مجتمعيا يحيط بالشاب، تماما مثل الممثل محمد رمضان أو اللاعب محمد صلاح.

ويرجع بعض الخبراء التفشي السريع لظاهرة احتيال الشباب إلى الخلل الذي أصاب طريقة التفكير التي تقوم عليها الكثير من الممارسات الرسمية، والتي لا تختلف عن الادعاءات المزيفة لدى البعض من الشباب.

ويتذكر المصريون عندما روجت الحكومة لتوصّلها إلى علاج لمرض الإيدز وفيروس الكبد الوبائي (فيروس سي)، وأشاعت أن فريقا طبيا كبيرا عام 2015 بقيادة لواء يدعى إبراهيم عبدالعاطي، اخترع جهازا يعمل بالموجات الإشعاعية يعالج الأمراض المستعصية.

وشغل الاختراع اهتمامات المرضى الميؤوس من علاجهم، وغيرهم من المواطنين، ولم تفكر الحكومة وقتها في أن اختراعها المزعوم ليس له أساس علمي. وتسببت أحاديث عبدالعاطي نفسه حول علاج مرض الإيدز، الذي مازال العالم يعجز عن مواجهته تماما، في إثارة أوساط سياسية ومنصات التواصل الاجتماعي، لتنكشف الخدعة ويختفي المخترع وجهازه فجأة عن الساحة، وتتراجع الحكومة عن دعمها دون اعتذار أو تفسير.

اختفى عبدالعاطي وبقيت ظلاله من مجد مختلق تنعكس على الشباب، فعندما يجد هؤلاء أن الحكومة تحتفي بالهرطقات فمن الطبيعي أن يحاول تقليدها ليجني ثمار شهرة مؤقتة.

ويقول محمد الإمام، الباحث في كلية العلوم بجامعة القاهرة، "تلك الواقعة الفريدة، شكلت موجة من السخرية داخل وخارج مصر، كانت حافزا للكثير من المحتالين على تقليد عبدالعاطي وتحقيق انتشار مماثل، بعد أن أضحى ارتكاب أفعال مشينة علميا ومجتمعيا أمرا لا يدعو إلى الخجل، بل بالعكس يقدم لصاحبه الشهرة والمال".

وأوضح الإمام لـ"العرب" أن ادعاء أو ممارسة أو تقديم أمر ما على أنه علم، دون التزام بالطرق العلمية، ومن دون إمكانية اختباره بشكل موثوق، جريمة تنتهي بزج صاحبها في السجن في الدول الغربية، لأن تطبيق قواعد صارمة تحاسب المدعين ومروجي تلك الإدعاءات هي الحل الوحيد لوقف تلك الظاهرة.

وقال إن "اكتشاف الخدع العلمية لها طرق كثيرة سهلة يمكن للمواطن العادي كشفها قبل المتخصص، وأبرزها عامل العمر، فليس من الطبيعي أن يكتشف طالب في الثانوية العامة خللا في نظرية النسبية، التي تحتاج دراستها 10 سنوات على الأقل، فمتى وأين درس ذلك الطالب النسبية حتى يتحدث عن تفنيدها؟

> فشل الأسرة في احتواء الشباب وسد حاجاتهم النفسية مبكرا، يخلق إنسانا عاجزا ومتعدد الأوجه يبحث عن طرق غير شرعية لإثبات ذاته أمام الناس

وقبل سنوات قليلة شغل شاب مصري يدرس بجامعة الأزهر يدعى عبدالرحيم راضي مواقع التواصل الاجتماعي وصفحات الجرائد والمواقع الإلكترونية، بعدما أعلن فوزه بالمركز الأول في مسابقة القرآن الكريم التي أقيمت في العاصمة الماليزية كوالالمبور، وحصوله على لقب أفضل قارئ في العالم، ثم أعلن الأزهر تنظيم حفل ضخم لتكريمه، لكن بعد أيام انكشفت خدعته بالصدفة عند سؤال أحد المسؤولين في السفارة الماليزية بالقاهرة عن كيفية الاشتراك في المسابقة ليفاجأ الجميع بأنه لا توجد مسابقة مثل هذه أصلا.

وتساءل الناشطون على مواقع التواصل وقتها عن الأسباب التي دفعت الشاب الأزهري المتعلم وحافظ القرآن إلى الكذب والتضليل. وصب البعض غضبه على الشاب لأنه لم يهن نفسه فقط، لكن أساء إلى مؤسسة الأزهر وزملائه من حملة علوم الدين.

عندما سأل راضي عن أسباب فعلته، أجاب بلغة عامية مقتضبة "هي جات عليا!"، يقصد أنه ليس الوحيد الذي يفعل ذلك، ما يعني أنها ظاهرة يتم السكوت عليها، ويتم اكتشافها أحيانا بالصدفة.

انعكست كلمات راضي على حالة المجتمع. وكشفت على نوايا يخشى البعض الاعتراف بها، وهي تتعلق بانهيار منظومة التربية وتفشي الجهل، ما أدّى إلى خلق رغبة تلقائية في تبرير الأفعال ومحاولة البحث عن وسيلة دفاعية لقتل الشعور الداخلي بالذنب.

أصبحت انعكاسات صورة المقرئ الصغير واضحة على كثيرين تساقطت من حولهم أوراق الفضيلة، وانهارت لدى الكثير منظومتهم الأخلاقية. ولم يكن الشاب راضي سوى نموذج لأمثلة تتزايد وتختل معها معايير الصدق والطموح.

باتت المنظومة الأخلاقية لدى قطاع من الشباب تفتقر إلى التوازن القائم على التفرقة بين ما هو صواب وما يقع تحت طائلة الخطأ، ما أسفر عن عجز الكثير من الشباب عن توخّي الدقة في التصورات والتصرفات والطموحات والأحلام.

لا أحد يسمع رأي المرأة في ليبيا

معاناة صامتة تعيشها الليبيات ولا يتحدث عنها الساسة

لا يزال المجتمع الليبي غير مستعد ليمنح نساءه صوتا لم يملكنه في السابق، رغم أن مشاركة المرأة في الحياة العامة تعد استثمارا في الاقتصادات القوية والمجتمعات الأكثر رخاء واستقرارا.

يمينة حمدي
صحافية تونسية مقيمة في لندن

❑ مضت سبع سنوات على سقوط نظام الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، تخللتها العديد من الوعود من سياسيين أبدوا استعدادهم لإقامة دولة في ليبيا تحترم حقوق الإنسان، وعلقت النساء آمالا كبيرة على تلك الوعود، وكن على أهبة الاستعداد للمشاركة في الحياة العامة والارتقاء بمجتمعهن.

واستطعن بالفعل تحقيق نجاح متواضع والفوز بـ33 مقعدا في المؤتمر الوطني في أول انتخابات برلمانية أجريت في عام 2012 بعد 42 عاما من حكم القذافي.

غير أن ما لم يتحقق بعد مازال كبيرا، فالدولة لم تقم حتى الآن بسبب الخلافات السياسية التي عصفت بأي فرصة لترسيخ حكم ديمقراطي في ليبيا، كما لم يرق الواقع الحالي إلى مستوى التوقعات المتفائلة لنساء ليبيا اللاتي أصبحن يعشن في ظل دوامة من الفقر واليأس وانعدام الأمن الشخصي في بلدهن، الذي تديره الميليشيات وتفرض نفوذها بقوة السلاح.

وكانت المرأة الليبية أثناء حكم القذافي تتمتع بحرية وأمن نسبيين، وتعد من أفضل النساء تعليما في العالم العربي وفقا للإحصائيات الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ويعد بلدها أيضا من ضمن الدول التي صادقت على اتفاقية الأمم المتحدة للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة "سيداو"، رغم تحفظه على بعض البنود التي لا تتوافق مع قوانين الشريعة الإسلامية، لكن منذ سقوط نظام القذافي، تطرح أسئلة كثيرة عما تغير في وضع النساء الليبيات.

دور المرأة المهمش

قالت الناشطة المدنية إيناس بوشناف إن سقوط نظام القذافي قد أعطى بوادر على انفتاح المجتمع الليبي على حقوق النساء أكثر، خاصة بعد أن سارت النساء في طليعة الصفوف الأمامية لدعم قوات الجيش والشرطة ووقفن معهم صفا واحد ضد الإرهاب، وحاولن بكل ما أوتين من عزيمة إيصال أصواتهن للعالم عن طريق المشاركة في مختلف الحوارات الهادفة إلى إنهاء حالة الصراع التي يعيشها الليبيون.

وأضافت بوشناف لـ"العرب" "ربما تكون مشاركتنا بسيطة، لكننا دائما نسعى لأن نكون في الصفوف الأمامية حتى لا يتم طمسنا، في العملية السياسية وفي إحلال السلام وإنهاء الصراعات".

وحثت بوشناف نساء بلادها على عدم التوقف عن ممارسة النشاط السياسي ومواصلة نضالهن من أجل أن تأخذ المرأة الليبية مكانتها في مجتمعها وتساهم في صناعة القرار الذي يخدم الصالح العام ويحقق الأمن والسلام.

لكن صورة المرأة الليبية التي تتقدم الصفوف الأمامية لتطالب برحيل القذافي والمزيد من الحرية والمساواة، لم يعد لها أي وجود في المشهد الحالي في ليبيا، وبينما تتراكم الأزمات يوما بعد يوم، لم يتوقف أحد ليسأل المرأة عن رأيها.

وتبدو التحديات التي تواجه المرأة في ليبيا اليوم أكبر بكثير مما كانت عليه حتى في العهد السابق، فهناك تداخلات عدة أولها تنامي نفوذ التيار الإسلامي الذي أصبح يشكل خطرا حقيقيا على حياة كل امرأة تحاول الخروج عن مبادئه وفق ما صرحت مستشارة التعليم الدولي شهرزاد كبلان.

وعبّرت كبلان عن أسفها لما آل إليه الوضع في بلادها قائلة "لقد كان تسلل الإخوان المسلمين إلى المشهد الليبي سببا رئيسيا في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في ليبيا، وقد بدأت ملامح هذا التدخل ليلة إعلان تحرير ليبيا 'كدولة إسلامية' في 23 أكتوبر 2011".

وأضافت كبلان لـ"العرب" "ترسّخ دور الإخوان المسلمين أكثر ليلة الاحتفال بانتقال السلطة في طرابلس في أغسطس 2012 عندما تم استبعاد المذيعة الشابة سارة المسلاتي لأنها لم تكن محجّبة وتعويضها بمذيعة أخرى، هذان الحدثان كان لهما أثر كبير على النساء في ليبيا ومنهما كانت بداية عملية استبعاد النساء من العملية السياسية".

وتابعت "لقد تم اغتيال صديقتي سلوى بوقعيقيص واختطاف زوجها عصام القلال واغتيال 4 نساء أخريات، وهذه رسالة دامية أخرى للنساء في ليبيا للابتعاد عن العملية السياسية".

وشدّدت كبلان على أن المجتمع الدولي كان له دور كبير في ترسيخ استبعاد المرأة من العملية السياسية في ليبيا لأنه وفق تعبيرها "لم يصر على تواجد النساء في محادثات السلام بالرغم من قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1325 حول المرأة والأمن والسلام، الذي تم تبنيه في عام 2000".

وأوضحت "كل المحادثات التي كانت عالية المستوى تم استبعاد النساء منها بشكل مقصود، مثل تلك التي كانت تعقد في الصخيرات، أما المحادثات المنفصلة والمخصصة للنساء فقد كانت تعد في تونس وقد دعيت لها إلا أنني رفضت الانضمام لها لأنها محادثات غير مجدية من وجهة نظري".

وترى كبلان أن المرأة لها مكانتها في ليبيا، وأنه باستطاعتها إحداث التغيير في بلادها وإرساء الأمن والسلام، وذلك عن طريق العمل الدؤوب وليس بعقد المؤتمرات واللقاءات.

الأمل معلق على الشباب

لا تتوقع الكثيرات أن يؤخذ بآرائهن وسط المشهد السياسي المتشظي للبلاد أو أن تكون حقوق المرأة الليبية من ضمن الأولويات، والتحدي الأكبر بالنسبة إليهن يتمثل في عدم وجود قانون يحميهن من المشكلات المترتبة عن العنف وسوء الأوضاع في البلاد.

وقالت الصحافية لبنى يونس لـ"العرب" "تعيش المرأة في ليبيا بين المطرقة والسندان، وتصارع يوميا لأجل البقاء على قيد الحياة والاحتفاظ بعملها، فرغم ما تمتلكه من مؤهلات علمية وطموح تبقى في نظر البعض من المديرين وأصحاب السلطة مجرد كائن درجة ثانية، وهذه الصورة القاتمة تكشف بشكل جلي السياسة الممنهجة في استبعاد النساء وخاصة الكفاءات منهن عن المشهد السياسي".

وأضافت "المجتمع الليبي برمته مازال ينظر للمرأة على أنها مجرد كائن درجة ثانية ولا يصلح سوى للمهن التقليدية المرتبطة تاريخيا بجنس المرأة كالتعليم والطب والتمريض، وحتى لو كانت المرأة تنتمي إلى بيئة أسرية منفتحة وداعمة لطموحها فستواجه عوائق كثيرة إذا ما تطلعت للعمل في مجال السياسة، لأن أصحاب القرار في ليبيا يتاجرون بقضايا المرأة من أجل كسب العطف الدولي وأموال الأمم المتحدة".

وأكدت أن المرأة التي تكون لديها مؤهلات وعزيمة قوية قد تكافح كثيرا لتفتك البعض من حقوقها في العمل السياسي، لكنها يمكن أن تجد من يعمل على تشويه سمعتها وابتزازها حتى تنحني وتعود أدراجها حتى وإن كانت لديها مؤهلات ومواصفات المرأة القائدة.

فيما عبّرت الطبيبة سمية مختار الغول لـ"العرب" عن تشاؤمها من الوضع الحالي في ليبيا، قائلة "كل من لا يملك سلاحا مغيب في ليبيا، حتى أولئك الموجودين في السلطة لا يملكون حرية اتخاذ القرار أمام فوهات البنادق، وبالتالي لا غرابة إذن أن تغيب المرأة وتدفن حقوقها وسط سيل المشكلات التي صارت كل فئات المجتمع تواجهها".

وأضافت "المجتمع الليبي بأكمله لا يأخذ رأي المرأة بجدية حتى صارت هي نفسها تخاف من التصريح بوجهة نظرها حتى لا تكسر قوقعتها التي لازمتها عقودا من الزمن فتتحول إلى كائن رخو".

وواصلت "هناك نساء كثيرات ترشحن للانتخابات بعد سقوط نظام القذافي وفزن، وأنا اليوم أعضّ على أصابعي لأني انتخبتهن، وأتمنى لو كان لدي أكثر من عشرين إصبعا حتى أفرغ شحنة الندم التي بداخلي، من المؤسف أنني أشعر بنفس خيبة الأمل تجاه من اخترت أيضا من الرجال، ولذلك لا أعتقد أن المشكلة تتعلق بجنس المترشح بل بإرث ثقيل ليس من السهل تغييره".

وأشادت الغول بالدور الريادي الذي قامت به البعض من النساء في التصدي بشجاعة للتطرف، ومنهن المحامية والناشطة الحقوقية سلوى بوقعيقيص وفريحة البركاوي الممثلة عن شعبية (مدينة) درنة في المؤتمر الوطني العام الليبي، إلا أنه تم اغتيالهما من قبل الميليشيات المسلحة.

وترى أنه ليس من السهل على المرأة الليبية الوصول إلى مراكز صناعة القرار وخاصة كرسي الرئاسة، معتبرة أن المجتمع الليبي لا يمكن أن يستوعب مثل هذا الأمر على الأقل في الوقت الراهن، أما المستقبل بالنسبة إليها فهو رهين الكفة التي سترجح، إما للتطرف وإما للاعتدال والحداثة.

وأشارت الغول إلى أن المرأة متواجدة وبكثرة في المجالات والتظاهرات الفنية، وتشغل مناصب مهمة في المستشفيات والدوائر الحكومية، مشددة على ضرورة تمكين المرأة سياسيا حتى تتمكن من إحداث توازن المجتمع.

واعتبرت أن الوضع الحالي محتاج إلى الصفات التي تتصف بها المرأة مثل الرأفة والحنان والتعاون من أجل بناء منظومة التعليم والأمن الاجتماعي والصحة، وكل ما هو مهم للشعب الليبي.

وترى الغول أن الأجيال الشابة أكثر احتراما لحقوق المرأة ولديها رغبة أكبر في التحرر من القيود الاجتماعية الرجعية، إلا أنها تخشى أن يفسد الرصاص الغد القريب ويحرم الجميع من العيش بسلام.

النظرة الدونية للمرأة

رغم أن المرأة تعتبر عاملا أساسيا لبناء السلام والحفاظ عليه، كما أن مشاركتها في صنع القرار لا تتعلق بالتصحيح السياسي، وإنما بالاستثمار في مجتمع أكثر رخاء واستقرارا، لكن لا يبدو أن المجتمع الليبي مستعد حاليا ليمنح نساءه صوتا لم يملكنه في السابق ولا سيما في ظل النظرة الدونية السائدة تجاه المرأة.

وعقدت أستاذة التاريخ خيرية فرج حفالش مقارنة بين المجتمعين الليبي والتونسي، لتؤكد من خلالها أن الرجل والمرأة التونسيين قد وصلا إلى مستوى متقدم من الممارسة السياسية بخلاف ما هو سائد في ليبيا.

وقالت حفالش لـ"العرب" "لقد أنشأ السياسي الكبير الحبيب بورقيبة دولة مدنية

طموح الليبيات كبير لكن!

مازالت تتنفس برئته حتى اليوم وهي الدولة التي رعت التنوع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في المجتمع التونسي بحيث عندما ثار المجتمع التونسي استطاع أن يغير النظام وأن يحتفظ بالدولة بعكس ليبيا التي منيت سنة 1969 بضباط عسكريين صغار مغامرين أنهوا مسيرة 18 عاما من بناء الدولة واستبدلوها بحكومة دكتاتورية جعلت من الدولة والحاكم شيئا واحدا، وبذلك لم تكن هناك دولة على الإطلاق كانت الدولة هي الزعيم الأوحد وبالتالي فعندما مات الزعيم انهارت المظاهر الهشة للدولة وتحتم على الليبيين أن يبدأوا في بناء الدولة من جديد كما بدأ أسلافهم في منتصف القرن الماضي".

وأضافت "حكم الانقلابيون ليبيا لمدة 42 عاما لم يعش خلالها الليبيون أي شكل من أشكال الديمقراطية، تم إلغاء الدستور وتجريم العمل السياسي، ولم يعرف الليبيون أحزابا ولا انتخابات أو برلمانا، كما لم يمتلكوا أي تجربة في العمل السياسي أو تراثا متراكما في هذا الشأن، لم يكن لديهم سوى ما مارسه أولئك الذين هربوا خارج البلاد إبان حكم القذافي، وبالتالي فالرجل والمرأة في ليبيا مضروبان بعصا واحدة هي عصا الدكتاتورية التي لم تجانب أحدا طوال أربعة عقود".

وأوضحت "حتى السنوات التي مرت بعد الثورة لازلنا نعيش فيها ارتدادات زلزال 2011 وحصاد حقبة الدكتاتورية التي كان تأثيرها في العقول والسلوك أقوى من تأثيرها على مؤسسات الدولة طوال أربع عقود".

وشددت حفالش في خاتمة حديثها على أن "المشكلة في ليبيا تتجاوز مسألة الفارق بين الرجل والمرأة إلى ما هو أبعد من ذلك، نتيجة ضعف مستوى النمو والنضج".

وتؤكد جميع الليبيات اللواتي استطلعت "العرب" آراءهن أنهن يرغبن في تمثيل بلادهن والدفاع عنها، وليست غايتهن تحقيق مصالحهن أو فرض نوعهن. وقالت امرأة فضلت عدم الظهور في الأضواء "لا يمكننا تأنيث المصلحة الوطنية، فليبيا ليست ذكرا أو أنثى، إنها وطن لجميع الليبيين".

ويعير الرجال في ليبيا أيضا الاهتمام بقضايا النساء وخاصة الجيل الشباب، ولا ينكرون أن المرأة يمكن أن تكون لها رؤى أكبر وأكثر عمقا إزاء كيفية حل المشكلات السياسية واتخاذ مواقف قوية إزاء بعض القضايا مثل الرجال، غير أن المفاهيم التقليدية قد تجعل المرأة نفسها تعيش أسيرة للأدوار النمطية.

واعتبر المذيع محمد الدينالي أن المرأة في ليبيا قد تم تغييبها عن المشهد السياسي قسرا وليس بإرادتها، مشيرا إلى عملية انتقاء النساء اللاتي يحق لهن الظهور على شاشة التلفزيون.

وقال الدينالي لـ"العرب" "من تظهر حاليا على الشاشة تكون عادة شخصية مفروضة من جهات معينة، ومثل هذا الأمر لا يقتصر على النساء فحسب، فهنالك أمثلة متعددة لرجال خيّرين غيبوا عن المشهد السياسي بسبب أوضاع البلاد غير المستقرة والصراعات وتحكم السلاح وفرضه كحل وحيد دون سواه، ما جعل الكثير من الليبيين الأكفاء يخيرون السكون والابتعاد عن المشهد".

وأضاف "لنتذكر معا الحقوقية سلوى بوقعيقيص التي اغتالتها الجماعات الإرهابية في عام 2014 بسبب كلمتها الحرة وقوة إرادتها، بسبب اغتيالها اعتزلت معظم الناشطات العمل السياسي خوفا من أن يلقين نفس المصير".

وتابع "المرأة بصفة عامة معرضة أيضا للتشويه والتشهير بسمعتها ونحن كشعب محافظ على التقاليد نخاف كثيرا على العرض، حتى الرجال لم يسلموا من الضرب تحت الحزام، فما بالكم بالنساء".

وأشار الدينالي إلى أن البرلمان قد أتاح للمرأة الليبية المشاركة في الحياة السياسية وكان ظهورها محتشما، لأن السياسة من وجهة نظره تتطلب شخصيات قوية، إلا أن عضوات البرلمان الليبي لم يستطعن فرض أنفسهن بسبب ضعف كلمتهن وانسحابهن من النقاشات الحادة التي كانت تحصل تحت قبة البرلمان.

خيرية فرج حفالش:
المشكلة في ليبيا تتجاوز مسألة الفارق بين الجنسين إلى ما هو أبعد من ذلك، نتيجة ضعف مستوى النمو والنضج

محمد الدينالي:
السياسة تتطلب شخصيات قوية، إلا أن عضوات البرلمان الليبي لم يستطعن فرض أنفسهن بسبب ضعف كلمتهن

شهرزاد كبلان:
كان تسلل الإخوان المسلمين إلى المشهد الليبي سببا رئيسيا في تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في البلاد

لبنى يونس:
تعيش المرأة في ليبيا بين المطرقة والسندان، وتصارع يوميا لأجل البقاء على قيد الحياة والاحتفاظ بعملها

إيناس بوشناف:
ربما تكون مشاركتنا في الحياة السياسة بسيطة، لكننا نسعى دائما لأن نكون في الصفوف الأمامية حتى لا يتم طمسنا

سمية مختار الغول:
كل من لا يملك سلاحا مغيب في ليبيا، حتى أولئك الموجودين في السلطة لا يملكون حرية اتخاذ القرار

حفلات الزواج العرفي موضة طلابية أم خلل مجتمعي

شباب ضائع يحاول إضفاء الشرعية على زواج محظور

انتشر مؤخرا في الأوساط الطلابية بمصر ما أطلق عليه "حفلات الزواج العرفي" بشكل يفتح باب التساؤل عن طبيعة الظاهرة التي تشابكت أسبابها وتنوعت بين نقص الوازع الديني، وبين الظروف الاقتصادية السيئة والانفتاح الإلكتروني وسهولة التواصل بين الجيل الشاب، بالإضافة إلى ضعف الثقافة الاجتماعية التي تمثل الحارس القيمي على تقاليده وأعرافه.

سعاد محفوظ

❏ أصبحت موضة الزواج العرفي متأرجحة بين طبقة طلاب الجامعات الفقيرة منها والثرية وبين الخلل في النسق المجتمعي القائم، خاصة بعد صدور دراسة حديثة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة تؤكد ارتفاع معدل الزواج العرفي في المجتمع الطلابي.

كما أظهرت الإحصائية السنوية للجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر، حول معدلات انتشار ظاهرة الزواج العرفي على امتداد المحافظات المصرية من ريف وحضر ووجه قبلي وبحري، ارتفاع عدد عقود توثيق الزواج العرفي "التصادق" إلى 149 ألفا و232 عقدا عام 2017 وهذا العدد يمثل نسبة 16.4 بالمئة من جملة عقود الزواج مقابل 128 ألفا و411 عقدا في عام 2016 بزيادة قدرها 16.2 في المئة.

والتصادق هو تسجيل زواج عرفي تم بين زوجين بتاريخ حدوثه بينهما مهما طالت مدته لتكتسب الزوجة حقوقها الشرعية.

وتتحدث منال (20 سنة) طالبة بكلية التجارة عن تجربتها قائلة "أحببته لأنه كبير في السن كنت دائما أقول لصديقاتي: إنني لن أتزوج إلا رجلا ناضجا قادرا على تحمل المسؤولية، بدأت أزوره في مكتب المحاسبة الخاص به، حتى توطدت العلاقة بيننا فقلت له بصراحة إنني لا أستطيع أن أرتكب معصية الزنا، فأجابني بأنه لا يستطيع أن يغضب زوجته، واقترح أن نتزوج عرفيا، فوافقته على طلبه وما هي إلا أشهر حتى عرفت زوجته بالأمر، وأجبرته على قطع علاقته بي تماما".

> الزواج العرفي انتشر أيضا داخل طبقات المجتمع الراقي التي لا يجد شبابها مشكلة في الزواج مثل زواج الدم وزواج الكاسيت

وتقول مها (19 عاما) طالبة "لقد نجح في إقناعي بتلك الفكرة المجنونة، حيث قال لي نحن طالبان ولا يمكنني تحمل تكاليف الزواج، وأن أهله لن يسمحوا له بالزواج وهو على مقاعد الدراسة، كان وسيما لبقا وكنت أحبه ولم أكن أفكر في شيء إلا في الطريقة التي أستطيع أن أكون فيها معه، تم كل شيء بسرعة كتبنا ورقة قلت فيها زوّجتك نفسي وأجاب: وأنا قبلت، هكذا تزوجنا بكل يسر وسهولة فلا مهر ولا شهود ولا مأذون". وأضافت: كنا نلتقي في شقة صغيرة يملكها أحد أصدقائه، وبعد مدة قصيرة بدأ يتهرب مني، ثم كانت الصدمة الكبرى عندما قابلته لآخر مرة وأخبرني أنه لم يعد يرغب بالاستمرار في علاقتنا، وقبل أن أفتح فمي بكلمة قال: إنك لا تستطيعين المغامرة بفضح نفسك، وأعطاني عنوانا لطبيب يقوم بترقيع غشاء البكارة وقال لا تحملي همًا لقد اتفقت معه على كل شيء ودفعت له مقدما حتى لا تتهميني بأنني نذل أو جبان.

أما محمد (23 سنة) فيروي قائلا "منذ أول لحظة شاهدت فيها منى بالجامعة أحببتها، وفاتحت والدي في رغبتي بالارتباط ففوجئت به يثور علي ويصرخ في وجهي متهما إياي بالأنانية وعدم التفكير في أحد غير نفسي فقط، لأنني لم أفكر في إخوتي الثلاثة الصغار المحتاجين لكل الأموال ليتعلموا، وذهبت إلى أهل فتاتي بمفردي ورويت لهم ظروفي كاملة ولم أخف عنهم شيئا، وأكدت لهم أن حبي لابنتهم كاف ليجعلني أتخطى كل الصعاب فأجاب والدها باستهزاء من طلبي وسألني وهو يضحك: هل يعقل أن أضع يدي في يد شاب يأخذ مصروفه كل يوم من أبيه؟".

وتابع "قررنا أن نتزوج عرفيا واتفقنا على كتابة عقد الزواج العرفي، واتفقنا مع فرقة موسيقية لإحياء الحفل الذي يضم عددا من زملائنا الأحبة الذين يرغبون في تتويج قصة حبهم، وقمت أنا وبعض العرسان بتأجير شقة مفروشة في حي بسيط، وبدأت أنا ومنى نتقابل فيها مرتين في الأسبوع نمارس فيها حياتنا كأي زوجين طبيعيين، ونفس الشيء بالنسبة لباقي زملائي ولا أحد يلومنا لأن الحب ليس خطيئة وإنما أجمل ما في الحياة".

ومن جانبها تقول الدكتورة عزة كريم علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية بالقاهرة: إذا لم تستح فافعل ما شئت.. هؤلاء شبان ضائعون لا هدف لهم في الحياة كل همهم هو إشباع غرائزهم تحت مسمى الحب، وحتى لا يشعروا بتأنيب الضمير قاموا بكتابة ورقة لا قيمة لها في المجتمع، لكنها بالنسبة لهم الحل، ولقد لعبت وسائل الإعلام دوراً في حدوث ظاهرة الزواج العرفي، حيث أكدت مرارا وتكرارا على شرعية هذا الزواج سواء خلال الأفلام أو المسلسلات التي تدافع عن المرأة المتزوجة عرفيا وظهورها بمظهر المغلوب على أمرها.

كما أكدت على شرعية الزواج العرفي إذا توافرت فيه شروط الزواج الصحيح، وهي الموافقة والقبول والإشهار، وكانت حجتها لرفض الزواج العرفي وبطلانه عدم توافر عنصر الإشهار فيه فلجأ مثل هؤلاء الشباب لإقامة حفلة وقاموا بدعوة زملائهم إليها حتى لا يكون هناك ما يبطل هذا الزواج، وإذا سألهم أحد عن مدى صحة زواجهم هذا يؤكدون أن كل أركان الزواج السليم متوافرة لديهم.

حلول واهية

وأضافت: قبل أن نتساءل عن أسباب قيام هؤلاء الشبان بالإعلان عن زواجهم لا بد أن نتساءل عن حدوث الزواج العرفي من الأساس، وبالرغم من الدور الذي لعبته الظروف الاقتصادية السيئة في دفع الشباب لعقد مثل هذا النوع من الزواج إلا أن هناك عاملا أكثر خطورة ساعد على انتشار الزواج العرفي، وهو غياب الأسرة وعدم مراقبتها لأبنائها وعدم قيامها بزرع المبادئ والقيم النبيلة في نفوسهم منذ الصغر، وتركت لوسائل الإعلام هذا الدور.

وتابعت موضحة "ما يؤكد كلامي هذا أن الزواج العرفي قد انتشر أيضا داخل طبقات المجتمع الراقي التي لا يجد شبابها مشكلة في الزواج مثل زواج الدم وزواج الكاسيت وأخيرا زواج الإنترنت، وكلها بدع قادمة من الغرب يبثها الشباب دون تفكير ودون من يقول لهم هذا خطأ وهذا صواب!

وأضافت "أؤكد أن قيام هؤلاء الشباب بتنظيم حفلة لزواجهم هو محاولة لإضفاء حالة من الشرعية على هذا الزواج الذي يرفضه المجتمع ورغبة منهم في الضحك على أنفسهم وعلى مجتمعهم بحجج لا يقبلها منطق ولا عقل!"، محذرة من خطورة الظاهرة التي ارتفعت بشكل ملحوظ.

طبق اليوم

سلطة الدجاج المشوي والحمضيات

* **المقادير:**
- نصف كوب من عصير البرتقال
- ربع كوب من عصير الليمون
- 2 حبات من البصل الأخضر مفروم ناعما
- فصّان من الثوم المفروم
- ملعقة صغيرة من الفلفل الأحمر المطحون
- ملعقة صغيرة من الكمون المطحون
- ملعقة صغيرة سكر
- 4 صدور دجاج فيليه مقطع أنصافا
- 8 أكواب خس مفروم خشن
- 2 أعواد كرفس مفروم
- حبة برتقال مقشر ومفروم مكعبات

* **طريقة الإعداد:**
- يخلط عصير الليمون وعصير البرتقال والبصل الأخضر والثوم المهروس والفلفل المطحون والكمون والسكر في وعاء.
- يوضع نصف الخليط في وعاء آخر ويضاف الدجاج ويترك في الثلاجة لمدة ساعتين على الأقل.
- تسخن شواية الفرن على حرارة متوسطة ويوضع الدجاج في طبق الفرن ويدخل الفرن لمدة 30 دقيقة حتى ينضج.
- يوضع الخس والبرتقال في طبق واسع.
- يخرج الدجاج من الفرن ويقطع إلى شرائح ويضاف إلى طبق الخس والبرتقال.
- توزع باقي كمية الصلصة فوق السلطة وتخلط جميع المكونات.

موضة

أزياء ديور مصممة لضمان حرية الحركة

❏ أزاح بيت أزياء كريستيان ديور الستار عن أسبوع باريس للموضة بعرض من الرقص المعاصر على المشى، رافقه سير العارضات بمجموعته التي شملت تنورات قصيرة وفساتين مصممة لضمان حرية الحركة.

وديور جزء من مجموعة لوي فيتون للمنتجات الفاخرة وهي العلامة التجارية الأولى التي تكشف عن تصميماتها للربيع والصيف المقبلين ضمن سلسلة عروض أزياء تستمر أسبوعا وتختتم موسم أسابيع الموضة في باريس بعد نيويورك ولندن وميلانو.

وتتولى إدارة جديدة دار ديور الفرنسية للأزياء منذ بداية العام بعد سلسلة من التغييرات شهدتها مجموعة لوي فيتون تهدف إلى إعطاء علاماتها التجارية الشهيرة دفعة جديدة تلائم ذوق صغار السن الذين أصبحوا يمثلون قسما كبيرا من الزبائن مع تركيزها على التسويق على الإنترنت.

ومن ناحية أخرى، أضفى بيت أزياء غوتشي لمسة غرابة على أسبوع باريس للموضة الاثنين بعرض يضم ببغاء وتسجيلات فيديو مخيفة وأزياء مزخرفة وظهورا مفاجئا للمغنية والممثلة البريطانية جين بركين.

وأصبحت غوتشي من العلامات التجارية الفاخرة الأسرع نموا في السنوات الأخيرة محققة زيادة في الإيرادات للمجموعة الأم كيرينج بفضل ما أضفاه المصمم أليساندرو ميكليه من لمسة مبهجة على التصميمات المعروضة. وبدأ العرض، الذي أقيم في لو بلاس وهو ملهى ليلي من سبعينات القرن الماضي تحول إلى مسرح، بعرض فيديو يصور مكانا مروعا ومخيفا قبل أن تظهر العارضات بمجموعة من الفساتين المزخرفة الجذابة والرجال بسترات ذات أطراف طويلة وسراويل قصيرة للغاية. ويستمر أسبوع باريس للموضة حتى الثاني من أكتوبر القادم.

صناعة الإشاعة.. وجه لحرب باردة

عبدالستار الخديمي
كاتب تونسي

❏ يعيش العالم اليوم في كافة أصقاع الأرض، دون اعتبار لمدى التطور الاجتماعي والحضاري ودون اعتبار للفوارق الطبيعية والبشرية، على وقع التضخيم والتهويل والمبالغة، ولعل الوجه الأبرز لذلك الإشاعة ومدى تأثيرها في المحيط الأسري والاجتماعي وحتى العالمي. إذ أن انتشارها بتوصيف شعري "كالنار في الهشيم"، وبتوصيف فيزيائي "أسرع من الضوء"، وبتوصيف عسكري كـ"الطائرة الشبح" لا يعترضها أي حاجز أو رادار.

كانت الإشاعة تنطلق بصفة تلقائية، عبارة عن كذبة بيضاء تنتشر بسرعة فائقة وتتخذ حيزا هاما من اهتمام الناس، ولكنها أضحت في أيامنا هذه صناعة قائمة الذات، تدرّس وتستعمل في مجالات الحياة كافة؛ اجتماعيا وسياسيا وعسكريا ومخابراتيا واقتصاديا.. إنها بكل بساطة أصبحت وسيلة من وسائل الهيمنة بأشكالها المختلفة المادية أو النفسية أو الذهنية.

للإشاعة وتداعياتها مستويات عديدة تختلف باختلاف الهدف من نشرها، فقد تكون الغاية شخصية لا تتعدى الفضاء الأسري الضيق، فيعمد أحدهم إلى بثّ إشاعة عبر وسائل التواصل الاجتماعي كردّة فعل على إساءة تعرّض لها من طرف قريب من أقربائه فيخترع أمرا يرنو من خلاله إلى تشويه صورة المعني بالأمر، وأغلب هذه التصرفات تنبع من حقد دفين يتولد عن خلاف عاطفي أو أسري أو مادي.

وقد تكون الإشاعة موجّهة لخدمة غرض اقتصادي في إطار المنافسة على احتكار السوق، فيعمد البعض إلى تشويه صورة صنف بعينه من البضائع والمنتجات للحدّ من الإقبال على شرائه، ويُعتمد ذلك في إطار محلي أو وطني أو عالمي، في إطار المنافسة، التي تفتقد بهذا الفعل سمة النزاهة ويصبح كل شيء متاحا من أجل السيطرة على السوق المحلية أو العالمية. الغريب في الأمر أن الأفراد والعائلات والمجتمعات يستجيبون بكثافة لتصديق الإشاعة خوفا على الصحّة أو محاولة تجنب كل ما يسبب الأمراض.

فكم من منتوج صرنا لا نتحمل استهلاكه لحضور الإشاعة المشوهة دائما في أذهاننا، ولولا حرصنا على عدم المشاركة في نشر الإشاعة -مهما كانت درجة الصدق أو الكذب فيها- لذكرنا بعض المواد الاستهلاكية التي رافقها جدل كبير وحامت حولها شكوك تتعلق بالنظافة والسلامة. ويتعاظم التنافس حتى يصير بين أكبر الشركات المنتجة في العالم في المجالات الاستهلاكية العديدة وكمثال فقط الشركات المنتجة للوسائل التكنولوجية كالهواتف وغيرها من الأجهزة.

أما الإشاعة السياسية فهي الأكثر شيوعا بين الناس والأكثر قدرة على الانتشار البرقي، فالساسة على حدّ السواء ومهما اختلفوا في مراجعهم الأيديولوجية والفكرية فإن لهم مؤيدين كما أن لهم معارضين كثيرين أيضا، وبما أنهم من الشخصيات المعروفة اجتماعيا فهم محلّ اهتمام متزايد من الخاصة والعامة، وقد تكون للإشاعة السياسية واجهتان، إحداهما إيجابية حيث تزيد من التعريف بالشخصية السياسية بطريقة غير مباشرة، والأخرى سلبية لأنها تجعل صورة الشخصية تهتزّ لدى مؤيديها كما معارضيها. وفي بعض المواقف قد يعمد الشخص ذاته إلى إنتاج الإشاعة وبثها لتنتشر وذلك بحثا عن الإثارة الإعلامية.

وإذا كانت الإشاعة تخدم بعض الأطراف في مجالي الاقتصاد والسياسة بطريقة غير شرعية، وتكسب من وراء نشرها إلى أبعد مدى ممكن، فإنها ولا شك تحدث كثيرا من اللخبطة والتردّد لدى الأشخاص والعائلات. فعلى سبيل الذكر لا الحصر تعيش الأسر التونسية هذه الأيام على وقع "إشاعة الأعاصير" التي ستضرب البلاد من حين إلى آخر، واتضح في ما بعد أن الأمر لا يعدو كونه تغيّرا مناخيا موسميا عاديا نزلت خلاله كميات من الأمطار فاقت في الشمال التونسي مثلا المعدلات المألوفة ما تسبب في خسائر بشرية ومادية، ولكنها لم تصل إلى درجة الإعصار.

تفاقم الأمر في وسائل التواصل الاجتماعي وكثرت المنشورات الداعية إلى الحيطة وأخذ الحذر؛ في جانب منها تعدّ أمرا إيجابيا لغاية الحدّ من الخسائر التي قد تسببها هذه التغيرات المناخية الفجئية وغير المنتظرة في مجملها. أما الجانب السلبي فيها فتمثل في موجة الخوف التي اجتاحت الآباء والأمهات تجاه منظوريهم، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا سنسوق البعض منها؛ إشاعة تقول إن هناك عصابة متخصصة في خطف الأطفال لغاية التجارة بالأعضاء، فيتضاعف خوف الوالدين ويصبح هوسا قاتلا ويلازمان مرافقة منظورهما مما يسبب له حرجا أيضا.

إشاعة أخرى تتعلق بأصناف جديدة من حبوب المخدرات فتصبح كل الحبوب حتى الحلوى منها مخدرا يجب الابتعاد عنه، ولكن في المقابل قد تكون حافزا للمراهقين للاكتشاف فينخرطون في التجربة دون وعي بمخاطرها.

إشاعة تتعلق بتفشي ظاهرة الاغتصاب ما يسبب رعبا لدى الفتيات وتصبح جلّ تنقلاتهن ثقيلة على النفس، ويصبن بالريبة من كل مار أو ناظر بعفوية.

كل ما ذكرنا لا يعني أن لا وجود لمثل هذه المظاهر السيئة في المجتمع ولكنها تصبح مقلقة إذا وقع تهويلها وتضخيمها عبر حوادث لا وجود لها أصلا.

ختاما نؤكد أن الإشاعة أضحت صناعة لها منتجوها المتخصصون ولها بيئات انتشارها المخصوصة بحسب أهدافها المعلنة والخفية.

أزمة الأهلي ومالك نادي «بيراميدز» تفضح حال الرياضة في مصر

الأهلي يخسر عقد الرعاية وجماهيره تواصل التطاول على تركي آل الشيخ

لا يعرف الشارع الكروي المصري الآن سوى الحديث عن أزمة رئيس هيئة الرياضة السعودي تركي آل الشيخ، مالك نادي "بيراميدز" المصري، مع النادي الأهلي، وازدادت الأجواء توترا بعد تدخل أكثر من طرف، ليس بغرض التوسط للحل، لكن لدخول حرب بالوكالة، وهو ما كشف حالة العبث التي تسيطر على الإدارة الرياضية في مصر.

عماد أنور
صحافي مصري

الأهلي بوابة تركي آل الشيخ إلى عالم الرياضة المصرية

❑ **القاهرة** – تعرضت جميع أطراف الأزمة للاتهامات إما بالتربح وأما بالتكذيب، ونفذ آل الشيخ تهديده الذي ألمح إليه عقب قرار اتخذه بالانسحاب من الاستثمار الرياضي في مصر، في أعقاب تعرضه لهجوم وصل إلى حد السباب من جماهير الأهلي، في مباراة جمعت بين الأهلي وحوريا الغيني في دوري أبطال أفريقيا. وتحاول بعض الجهات الرياضية إثناءه عن قراره لعدم الإضرار بتجربة الاستثمار الرياضي.

وبدأ وزير الرياضة السعودي الدخول إلى عالم الرياضة المصرية، عبر بوابة النادي الأهلي، قبل أن تتوتر الأجواء بينهما، وضخ الملايين من الدولارات لجلب صفقات جديدة لدعم فريق الكرة الأول بالنادي، حتى أن تعيينه في منصب الرئيس الشرفي للأهلي، كان مقابل مبلغ مالي دفعه لتمويل حملة محمود الخطيب الانتخابية على رئاسة النادي الشعبي المصري.

قال تركي في تغريدة له عبر موقع "تويتر" إن الخطوات المقبلة ستكون أكثر حدة، وهو ما ظهر في بيان رسمي الخميس صدر عن شركة "صلة" السعودية الرياضية، بفسخ تعاقدها من رعاية النادي الأهلي، ومطالبة إدارة النادي برد مبلغ 100 مليون جنيه مصري (نحو 5.5 مليون دولار)، بسبب ما بدر من جمهور الأهلي والذي يتنافى مع الأخلاق الرياضية، على حد وصفهم. واستشهدت الشركة بالعقوبة التي وقعها الاتحاد الأفريقي لكرة القدم "كاف"، وهي غرامة مالية قدرها 20 ألف دولار، والحرمان من جمهوره مباراتين مع إيقاف التنفيذ، بسبب ما بدر من الجماهير.

أرسلت الشركة خطابا رسميا إلى الأهلي يفيد بفسخ التعاقد، ما دفع إدارة الأهلي إلى البحث عن بديل، وقال المستشار القانوني للنادي حلمي عبدالرازق لـ"العرب" إنه في حالة فسخ التعاقد ستتم مخاطبة الشركة صاحبة ثاني أعلى عرض مادي في مزايدة الرعاية، وهي شركة "برزنتيشن" المصرية الراعية لاتحاد الكرة، وفي حال تقديم الشركة عرضا مماثلا لعرض صلة، سيتم منحها حق الرعاية.

أما في حالة عدم تقديم نفس العرض، والبالغ نحو 500 مليون جنيه مصري (نحو 27 مليون دولار)، سيتم عمل مزايدة جديدة، غير أن الأزمة ولدت فريقين، أحدهما مساند لموقف الأهلي، وهو الفريق الذي يتهم مناصري آل الشيخ بالتربح منه، أما الفريق الآخر فالقى بالتهم على إدارة الأهلي التي رفعت آل الشيخ إلى عنان السماء وقت أن كان داعما ماديا للنادي، ثم انقلبت ضده بعد اعتذاره عن الرئاسة الشرفية للأهلي.

الكل مخطئ

وقعت أخطاء بالجملة من الجميع، بدءا من إدارة الأهلي ومرورا بتطاول جماهيره، وحتى الفريق المساند للمستشار تركي آل الشيخ، دون أن يلتفت أحد إلى أمر خطير، وهو اعتبار البعض أن الشيخ تركي هو ممثل للمملكة العربية السعودية في مصر، وأن التطاول عليه يعد تطاولا على المملكة نفسها، ما يؤدي إلى زرع فتنة بين مصر والسعودية تخرج تماما عن نطاقها الرياضي. كان الوفاق قائما بين آل الشيخ وإدارة الأهلي، وساند الرجل النادي في أكثر من موقف، منها دفع مبلغ 40 مليون جنيه (نحو مليون ونصف المليون دولار)، في أزمة اللاعب عبدالله السعيد، ورد المبلغ إلى نادي الزمالك، الذي نجح في الحصول على توقيع اللاعب دون علم ناديه.

ثم عاد رئيس نادي بيراميدز وموّل صفقة لاعب الأهلي صلاح محسن، بنفس المبلغ الذي تم دفعه في السعيد، ومن قبلها تمويل حملة محمود الخطيب (رئيس الأهلي الحالي) الانتخابية، لكن بعض التغريدات التي كتبها آل الشيخ وقتها، وألمحت إلى تدخله في شؤون الفريق، دفعت إدارة الأهلي إلى إصدار بيان ضده، وبناء على ذلك اعتذر الرجل عن الرئاسة الشرفية.

هنا ظهر رئيس نادي الزمالك، مرتضى منصور، والذي نجح في الاستفادة من المستثمر السعودي، وأقنعه بتمويل صفقات عديدة لناديه، فضلا عن شراكة في تبادل اللاعبين بين الناديين، لذا كان طبيعيا أن يجتهد منصور في الدفاع عن آل الشيخ فور إعلانه انسحابه من الاستثمار الرياضي في مصر، بزعم محاولة فض الاشتباك أولا ثم محاولة إشعاله لاحقا.

انتقد منصور في مقطع فيديو بثه عبر قناته الخاصة على موقع "يوتيوب"، رد فعل مجلس إدارة الأهلي تجاه جماهيره، وألمح إلى أن ذلك يعني إما أنهم مؤيدون وإما داعمون لذلك التصرف، وكشف أن لديه بعض المعلومات تفيد باتفاق أحد أعضاء مجلس إدارة الأهلي مع البعض من مشجعي النادي (أعضاء أولتراس سابقون)، بالتواجد في المدرجات لتوجيه السباب إلى آل الشيخ.

برغم خروج الخطيب عبر قناة ناديه مطالبا الجماهير بالتشجيع فقط، دون الإساءة إلى شخص أو مؤسسات، غير أن مواقع التواصل الاجتماعي تحولت إلى منصة للهجوم على الرئيس الشرفي السابق للنادي، وتحول الأمر إلى معركة تجاوزت الحدود الرياضية، وبرر البعض ذلك بأن توجيه السباب شيء يحدث في مدرجات ملاعب الكرة على مستوى العالم.

يحدث ذلك دون أي تدخل رسمي من وزير الرياضة المصري أشرف صبحي لحل الأزمة، ويؤدي موقف الصمت الذي تتخذه القيادات الرياضية في مصر إلى تفاقم الأزمة وتخطي جمهور الأهلي الحدود في التطاول على شخصيات سعودية أخرى رفيعة، لأن الغالبية منها لا تعي الأضرار الشعبية المترتبة على ما يحدث.

وتزعم هذه الغالبية أن تركي آل الشيخ حضر إلى مصر للسيطرة على الرياضة فيها، وعندما فشل مع النادي الأهلي قرر الانتقام، لكن الرجل كان بداية لدخول المستثمرين الخليجيين عالم الاستثمار الرياضي في مصر، لا سيما وأنه على أتم الاستعداد لدعم المشاريع الرياضية، نافيا أي أغراض سيئة، حتى مع أزمات التحكيم التي شهدتها بطولة الدوري المحلي مؤخرا، قال إنه جاهز لتمويل دخول تقنية الفيديو. لكن تركي آل الشيخ أخطأ عندما استمر في كتابة تغريداته، التي يؤدي بعضها إلى احتقان الجماهير ضده، لوجود شبهة تشف في الأهلي، وبالنظر إلى مصالح المستثمرين الشخصية، فهناك من أثلجت صدورهم فور قرار الوزير السعودي بالانسحاب، وعلى رأسهم شركة "بيرزنتشن" المصرية، التي تسعى للسيطرة هي الأخرى على الرياضة في بلدها، فوجود منافس في حجم آل الشيخ قد يفسد تطلعاتها، لا سيما وأنه يمتلك من المال ما يفوق ميزانية الشركة بأكملها.

يشهد العالم كله عدة تجارب لمستثمرين خليجيين في أندية أوروبية، منها تجربة الإماراتي الشيخ منصور بن زايد، مالك نادي مانشستر سيتي الإنكليزي، وباريس سان جرمان المملوك لرجل الأعمال القطري ناصر الخليفي وغيرهما، لكن الأصل في عملية الاستثمار هي ترك إدارة النادي للمتخصصين، في ما يتعلق بالتسويق والرعاة وصفقات اللاعبين، كي تؤتي التجربة ثمارها.

لعل رغبة رجال أعمال وشخصيات عامة عربية في الاستثمار الرياضي، لا تخلو من تحقيق وجاهة اجتماعية، مع اقتران أسمائهم بكبرى أندية العالم، وعلى الدرب نفسه بدأ آل الشيخ تجربته الرياضية، واختار في خطواته الأولى أكبر أندية أفريقيا والوطن العربي وهو النادي الأهلي المصري، وما يعزز الفكرة أن الرجل لم يكن شخصية ذائعة الصيت على مستوى مصر، قبل تجربته الاستثمارية، وهو ما يدعو البعض إلى التشكيك في استمراره على موقفه في الابتعاد عن مصر، خشية ترك كل هذه الهالة الإعلامية التي يتمتع بها.

اتهامات بالجملة

هناك طرف آخر في الأزمة يتمثل في نجوم الكرة ومقدمي البرامج العاملين في نادي بيراميدز وقناته الفضائية، والذين اتخذوا موقع الدفاع عن تركي، وطالتهم أسهم الاتهام بالركض وراء المصالح الشخصية، لا سيما أن المعلق الرياضي مدحت شلبي خرج عبر برنامجه في فضائية "بيراميدز"، وطالب مجلس إدارة الأهلي ورئيسه محمود الخطيب، بالنظر إلى مصلحة الدولة المصرية، وهنا بدأت معركة رياضية جديدة شعارها المزايدات غير الرياضية.

وأقحم شلبي السياسة في الرياضة، سعيا منه لكسب المعركة، وتوجيه الرأي العام ضد الأهلي وجماهيره بعد أن أذاقته كافة أنواع التطاول خلال أيام قليلة مضت، وقال شلبي إن التصرفات الموتورة لبعض الجماهير، ستؤثر على العلاقات بين البلدين، لا سيما وأن المملكة كانت داعما أساسيا لمصر في الأربعة أعوام الماضية.

لكن ما أشعل غضب جماهير الأهلي، هو عزف شلبي على وتر شديد الحساسية بالنسبة للجمهور المصري، عندما عاود الحديث عن أزمة بورسعيد، التي عرفت إعلاميا باسم "مجزرة بورسعيد"، ونشبت الأزمة عقب أحداث شغب دامية عقب مباراة الأهلي والمصري البورسعيدي، على ملعب الأخير بالدوري الممتاز في عام 2012، وراح ضحيتها 74 من جمهور الأهلي.

وأشار شلبي إلى أن أصحاب التصرفات غير المسؤولة من جماهير الأهلي، تسببوا في مقتل هذا العدد من زملائهم، ليعيد فتح جرح عمره 6 سنوات، تسبب في إثارة الملايين من عشاق الأهلي، كما حرم المدرجات المصرية من الحضور الجماهيري فترة طويلة.

وأكد جمال شوقي، عضو المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام المصري، لـ"العرب"، أن تسييس الإعلام الرياضي كارثة، لأن هذا السلوك يتسبب في شحن الجماهير بالغضب وإمكانية عدم السيطرة عليه، وتبني بعض البرامج الرياضية وجهات نظر بعينها لخدمة أغراض أندية محددة ما يفقد الرياضة متعة الاستقلالية ويثيرالضغائن بين الجمهور ويزيد التعصب الأعمى.

وأضاف أن الإعلام الرياضي يخلط بين الحرية والتجاوز في الحديث عن القضايا الخلافية، خاصة إذا كانت ترتبط بعلاقات دول، لافتا إلى حتمية ردع مقدمي البرامج التي تتعمد الخروج عن المعايير والقيم والأخلاق الرياضية لأنها تدفع أحيانا إلى إثارة غضب جماهير تجاه أندية وكيانات أخرى.

يتصرف مناصرو الأهلي بغضب شديد، ويعتبرون أن تجربة نادي بيراميدز، التي تبناها الشيخ، عندما قام بشراء نادي الأسيوطي قبل انطلاق الموسم الجاري، وحوّل اسمه إلى "بيراميدز"، ما هي إلى وسيلة للتآمر على الأهلي، وزعزعة استقرار أحد أكبر الأندية عربيا وأفريقيا.

وأوضح أحمد حسن المشرف العام على فريق الكرة في بيراميدز، لـ"العرب" أن النادي يتعرض لحملة انتقادات ممنهجة، ووجد حسن نفسه أمام فوهة مدفع جماهير الأهلي الغاضبة، ومعه لاعب الأهلي السابق هادي خشبة، ومدرب الأهلي السابق حسام البدري، والأخير يتولى إدارة بيراميدز بعد انسحاب مالكه.

ادعت الجماهير أن الثلاثي باع مبادئه من أجل المال، وقال أحمد حسن، وهو المتحدث الرسمي للنادي، إنه أكثر من ارتدى قميص منتخب بلاده، ويعرف جيدا معنى الشرف، ولم يبع أي شيء، واختير للعمل في بيراميدز لتاريخه المشرف، وحتى لو كان عمله من أجل المال، فهو يمتهن مهنة شريفة، ولفت إلى مقاطع فيديو لرموز الأهلي وهم يشيدون بتركي آل الشيخ، وتساءل هل كان الرجل جيدا وقت أن دعم الأهلي ماديا؟

تشبه الأزمة الراهنة كرة الثلج، كل يوم يتزايد حجمها نتيجة تراكم الثلوج من حلوها، وبدأت تتدحرج من المجال الرياضي إلى الإعلامي، وأوشكت أن تدخل فضاء السياسة، لأن غالبية الأطراف التي دخلت على خطوطها لن ترتاح إلا إذا حدثت مشكلة كبيرة، وهو ما يؤدي إلى تداعيات خطيرة، فالمستفيدون من تفاعلات الأزمة شعبيا، قد يصحون على كارثة تتجاوز الحدود.

> لعل رغبة رجال أعمال وشخصيات عامة عربية في الاستثمار الرياضي، لا تخلو من تحقيق وجاهة اجتماعية، مع اقتران أسمائهم بكبرى أندية العالم، وعلى الدرب نفسه بدأ آل الشيخ تجربته الرياضية

مانشستر سيتي يتخطى برايتون بأقل مجهود ممكن

ويستهام يضاعف آلام مانشستر يونايتد بهزيمة ثالثة في الدوري الإنكليزي

أحرز سيرجيو أغويرو هدفا مذهلا ليقود مانشستر سيتي إلى الفوز 2- صفر على برايتون هوف ألبيون بملعب الاتحاد السبت، ليؤكد حامل اللقب بقيادة المدرب بيب غواردیولا أنه سيكون المنافس الأصعب في الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم.

السيتي يواصل حصد النقاط

❏ **لندن** – تغلب مانشستر سيتي على ضيفه برايتون هوف ألبيون، بثنائية نظيفة في المباراة التي جمعتهما، السبت، على ملعب الاتحاد ضمن منافسات الجولة السابعة من عمر الدوري الإنكليزي.

وحملت ثنائية السيتي توقيع رحيم ستيرلينغ في الدقيقة 29، وسيرجيو أغويرو في الدقيقة 69.

وارتفع رصيد مانشستر سيتي إلى 19 نقطة، بينما تجمد رصيد برايتون عند 5 نقاط في المركز الـ16.

وسيطر لاعبو المدرب بيب غواردیولا على اللقاء منذ البداية، ولم يسمح الضغط الهجومي الكاسح لهم، بأن يتمكن الخصم من الوصول لمناطق السيتي، سوى بكرات غير مؤثرة.

> مانشستر يونايتد يكرر أسوأ بداية له في تاريخ مشاركاته بالدوري الممتاز، حيث حصد عشر نقاط فقط خلال أول سبع مراحل، وهو ما شهده موسم 2014/2013

وتقدم رحيم ستيرلينغ من الناحية اليمنى ليستغل فارق السرعة أمام مدافع ألبيون، ثم مرر كرة أرضية وصلت إلى أغويرو، الذي أضاع أول فرصة محققة بتسديدة علت العارضة في الدقيقة 12.

ونجح ليروي ساني في التوغل من الجبهة اليسرى، ليمرر كرة عرضية متقنة وصلت إلى رحيم ستيرلينغ الذي أسكنها الشباك، مسجلا الهدف الأول للسماوي في الدقيقة 29.

وظل الضيوف في حالة تراجع عددي كامل في مناطقهم للتعامل مع سيطرة السيتي على مجريات اللقاء، حيث غابت أي محاولات على مرمى الحارس إيديرسون.

وكاد ديفيد سيلفا أن يضاعف النتيجة قبل انتهاء الشوط الأول من تبادل ثنائي مع زيتشينكو، ولكن تصدى حارس برايتون لتسديدة النجم الإسباني.

وسار الشوط الثاني على نفس النهج بسيطرة واستحواذ لأصحاب الأرض، ولكن ظهرت تعليمات المدرب كريس هيوتون، باستغلال المساحات خلف أطراف السيتي بمجرد افتكاك الكرة.

وواصل ساني مستواه الجيد خلال اللقاء وتمركز بشكل جيد داخل منطقة الجزاء، لكنه أضاع فرصة قريبة للغاية داخل منطقة الجزاء بعدما خرجت تسديدته فوق المرمى في الدقيقة 56.

ومن عمل فردي بوسط الملعب استلم أغويرو الكرة وراوغ أكثر من لاعب، ثم لعب كرة ثنائية مع ستيرلينغ الذي مرر الكرة لأغويرو داخل منطقة الجزاء ليسجل المهاجم الأرجنتيني الهدف الثاني للسيتي في الدقيقة 65.

وأجرى غواردیولا تبديلين بعد مضاعفة النتيجة بخروج أغويرو وساني، ودخول غابريل خيسوس ورياض محرز.

وفي الدقيقة 85 طالب لاعبو برايتون باحتساب ركلة جزاء لصالح فريقهم، بعدما لمس فرناندينيو الكرة بيده داخل منطقة الجزاء، ولكن الحكم أمر بمواصلة اللعب دون احتساب مخالفة لينتهي اللقاء بفوز السيتي.

وفي باقي مباريات الجولة فاز توتنهام على مضيفه هيديرسفيلد 2 – صفر، وأرسنال على ضيفه واتفورد 2 – صفر، وإيفرتون على ضيفه فولهام 3 – صفر، وليستر سيتي على مضيفه نيوكاسل يونايتد 2 – صفر وولفرهامبتون على ساوثهامبتون بالنتيجة ذاتها.

وفي افتتاح منافسات المرحلة السابعة من الدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم، ضاعف ويستهام معاناة مانشستر يونايتد ومديره الفني البرتغالي جوزيه مورينيو، حيث تغلب عليه 3 – 1 السبت.

وتكررت بذلك أسوأ بداية لمانشستر يونايتد في تاريخ مشاركاته بالدوري الممتاز، حيث حصد عشر نقاط فقط خلال أول سبع مراحل، وهو ما شهده موسم 2014/2013، ولكن كان بفارق أفضل حينها تحت قيادة المدير الفني ديفيد مويس، الذي أقيل من منصبه قبل نهاية الموسم نفسه.

ورفع ويستهام رصيده بذلك إلى سبع نقاط ليقفز إلى المركز الثاني عشر، بينما تجمد رصيد مانشستر يونايتد عند عشر نقاط بعد أن تلقى الهزيمة الثالثة له في الموسم مقابل ثلاثة انتصارات وتعادل واحد.

ووجه ويستهام ضربة مبكرة لمانشستر يونايتد عندما افتتح التسجيل بعد أربع دقائق فقط من بداية المباراة عن طريق فيليبي أندرسون.

وتلقى مانشستر يونايتد صدمة أخرى قبل دقيقتين من نهاية الشوط الأول عندما عزّز ويستهام تقدمه بالهدف الثاني، وسجله فيكتور ليندیلوف لاعب مانشستر بالخطأ في مرمى فريقه.

وفي الشوط الثاني ضغط مانشستر يونايتد بقوة وبشكل متواصل بحثا عن العودة وتعديل النتيجة، لكن ويستهام استعرض صلابة دفاعية كبيرة واعتمد في محاولاته على الهجمات المرتدة.

وأنقذ حارس مرمى ويستهام شباكه من هدف محقق في الدقيقة 64، حيث أرسل أشلي يونغ عرضية إلى مروان فيلايني، الذي سدّد الكرة برأسه، لكن الحارس أبعدها قبل أن تتجاوز خط المرمى.

وفي الدقيقة 71، نجح مانشستر يونايتد أخيرا في هز الشباك، حيث تلقى ماركوس راشفورد الكرة من ضربة ركنية ووجهها بلمسة مهارية بقدمه إلى داخل الشباك وسط ذهول لاعبي ويستهام وحارس مرماه.

ولم تستمر فرحة لاعبي مانشستر يونايتد كثيرا، حيث عزّز ويستهام تقدمه مجددا بإضافة الهدف الثالث في الدقيقة 74، عندما تلقى ماركو أرناوتوفيتش طولية رائعة وانطلق داخل منطقة الجزاء، ثم صوب الكرة بهدوء ودقة لدى انفراده بالحارس، وباءت جميع المحاولات في الدقائق الأخيرة بالفشل، لتنتهي المباراة بفوز ويستهام 3–1.

والمفارقة أن الخسارة الجديدة ليونايتد أتت في يوم أشارت فيه صحيفة "ذا صن" الإنكليزية، إلى أن اسم الفرنسي زين الدين زيدان المدرب السابق لريال مدريد الإسباني، بات يتردد بقوة لخلافة مورينيو في يونايتد، وأنه بدأ فعلا بأخذ حصص لتحسين لغته الإنكليزية.

وتأتي الخسارة قبل خوض "الشياطين الحمر" مباراتهم الثانية في المجموعة الثامنة لدوري أبطال أوروبا باستضافة فالنسيا الإسباني الثلاثاء، علما وأنهم فازوا على يونغ بويز السويسري 3 – صفر في الجولة الأولى.

الكثير من التواضع، الكثير من البراعة

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❏ كم من مرّة أجد نفسي مشدودا غير مجبر لمتابعة مباريات نادي تشيلسي الإنكليزي. كم من مرّة لا أثق في نفسي المترددة والمنقسمة عادة بين عدة أندية ومنتخبات، فلا أجد مفرّا من متابعة مباريات المنتخب الفرنسي.

ثمة بلا شك سحر. ثمة دافع أقوى من السحر، يشدني في أحيان عدّة للغوص في تفاصيل وبعض مكامن مباريات نادي تشيلسي ومنتخب فرنسا، بكل بساطة ثمة لاعب طالما أبهرني وأطربني كلما داعب الكرة ووجّهها نحو زملائه.

هو لاعب يملك من الحماس ما يملأ كل مستقر. هو لاعب لا يهدأ، لا يكلّ ولا يتعب، ولو شاء لعب أربع مباريات متتالية، هو ليس لاعبا ينتمي إلى مصاف النجوم البراقة التي تبهر الأعين، بل هو بكل بساطة يشبه حجر الزاوية عند تشييد المنزل أو لنقل الوتد الرئيس الذي تتكئ عليه كل خيمة.

إنه الفرنسي نغولو كانتي لاعب وسط تشيلسي، الذي لم يكن يوما مثار اهتمام ومتابعة مكثفة من قبل أحباء الكرة أو وسائل الإعلام، لكنه رغم ذلك كان دوما مطمح كل مدرب عالمي ساع إلى تكوين فريق مهاب.

طيلة الأيام الأخيرة اختلفت الآراء وتباينت بخصوص أحقية بعض المتوجين خلال الحفل السنوي للفيفا. انقسم الجميع بين مؤيد لمنح الكرواتي لوكا مودريتش جائزة الأفضل على حساب البرتغالي كريستيانو رونالدو والمصري محمد صلاح.

اختلف أيضا الجميع حول أحقية بعض الجوائز المسندة لبعض اللاعبين وخاصة في ما يتعلق بالتشكيلة الأساسية، لكن بالتوازي مع ذلك حصل إجماع تام بخصوص أهلية هذا الفرنسي كانتي بالوجود ضمن قائمة الأفضل.

فهذا اللاعب الذي لم يجد دائما أي احتفاء إعلامي يوفيه حقه بعد عطائه الرائع طيلة السنوات الماضية، حقّ له أن يكون اليوم ضمن كوكبة النجباء والبارعين بعد أداء مبهر خلال مونديال روسيا الأخير الذي تألق فيه وساعد منتخب بلاده على الظفر باللقب.

اليوم بات كانتي ضمن أكثر اللاعبين المطلوبين من الأندية الكبرى عالميا، فبرشلونة بدأ من الآن يخطط للتعاقد معه في الموسم المقبل، وبدوره فإن باريس سان جرمان بصدد التحضير لتقديم عرض مغر للغاية يليق بمكانة وعبقرية نجم خط الوسط العالمي لنادي تشيلسي.

كل أعين الفنيين غالبا ما تقف عند تحليل المباريات التي يخوضها كانتي على لمسات هذا اللاعب ووقفته الرائعة في وسط الميدان. الجميع متفق على أن هذا الفتى بصدد البرهنة على أنه أحد أفضل اللاعبين في العالم حتى وإن تغافلت عنه وسائل الإعلام وانسحبت من محيطه الأضواء.

لكن.. لحظة، فكانتي قد يكون يميل إلى هذه الوضعية التي تجنّبه الضغوط ومتطلبات النجومية الزائفة، فكل من يعرفه وكل من يتابع فصول حياته وتطور مراحل مسيرته الرياضية يدرك جيدا أنه كان ولا يزال ذلك الفتى الخجول المتواضع.

هو الفتى الذي لم تركبه بتاتا مغريات الصف الأول لأفضل اللاعبين عالميا. ولم تغره بالمرة متطلبات صعوده التاريخي في سلم المجد، لقد ظل وفيا لتواضعه، ظل وفيا لأصدقائه القدامى، في هذا السياق استحضرت ما قام به هذا "النجم" عندما لبى دعوة لاعب سبق أن كان زميلا له في فريق كاين الفرنسي للقاء استعادة ذكريات.

الأكثر من ذلك أن كانتي لم يتردد لحظة في قبول دعوة للعشاء مقدمة من عدد من المشجعين في مدينة لندن، لقد استلذ الدعوة وقبلها بكل رحابة صدر.

أما في الميدان، فإن كانتي من النادر، إن لم نقل من المستحيل، أن يدخل في صدام مع أحد المنافسين حتى وإن كان مظلوما. لقد اتشح دوما برداء التواضع والخجل وبدا وكأنه استلهم من أقوال المفكرين والفلاسفة حول قيمة التواضع، فاتخذ ذلك شعارا له في الحياة.

"ثق بأن الصوت الهادئ أقوى من الصراخ وأن التهذيب يهزم الوقاحة وأن التواضع يحطم الغرور"، هكذا ذكر أحد المفكرين، وهكذا سيّر كانتي حياته. لقد أدرك جيدا أن "أشد العلماء تواضعا أكثرهم علما، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاء ماء".

كانتي ربما تماهى تماما مع ذلك "الشخص المتواضع الذي يمتلك الكثير ليتواضع به"، فارتقى مسافات شاهقة في عنان السماء واكتسب ود منافسيه قبل أصدقائه، لقد حظي دوما باحترام الجميع، فصوته لا يعلو، وشعاره كان طيلة هذه المسيرة الموفقة "اعمل في صمت، تكسب المزيد".

لقد كسب هذا الفتى الشغوف والبارع ثقة الجميع وأضحى اليوم أحد أفضل اللاعبين في العالم، لقد بات قدوة لكل اللاعبين الذين عرفوه ولعبوا معه. دعنا نستحضر ما حصل معه مع بقية زملائه في المنتخب الفرنسي عقب التتويج باللقب العالمي، فالكل تغنى بكانتي والكل أقرّ بأن لكانتي مكانة رفيعة للغاية سواء فوق الميدان أو في حجرات الملابس.

رفع على الأعناق وهو يغالب نفسه ويغطي وجهه بكفي يديه كي يداري خجله، لم يتعوّد على أن يكون في مكان أرقى من بقية أقرانه، لذلك حق له أن يسمو بتواضعه وخجله، فلا التواضع أحبط عزائمه ولا الخجل أعاقه وقلّل من شأنه وسط كوكبة النجوم في العالم.

أمم أفريقيا بالكاميرون بين الشك واليقين

❏ **القاهرة** – كشف الاتحاد الأفريقي لكرة القدم "كاف" عن وجود "تأخر كبير" على مستوى البنى التحتية في الاستعدادات الكاميرونية لكأس الأمم الأفريقية 2019، مشيرا إلى أن القرار النهائي بشأن هذه الاستضافة سيصدر أواخر نوفمبر المقبل.

وجاء الإعلان في بيان نشره الموقع الإلكتروني للاتحاد فجر السبت، بعد اجتماع للجنة التنفيذية للكاف يومي الخميس والجمعة، يسبق اجتماع الجمعية العمومية الاستثنائية الذي يعقد الأحد في شرم الشيخ.

وأشارت اللجنة إلى أنها اطلعت على تقرير للجنة المكلفة بمتابعة التحضيرات الكاميرونية، وأنه أظهر "تأخرا كبيرا في إنجاز البنى التحتية".

وأكد البيان أن "القرار النهائي سيصدر في نهاية نوفمبر بعد زيارة أخيرة يقوم بها وفد من الاتحاد ومن شركة الاستشارات والتدقيق رولاند بيرغر (مقرها مدينة ميونيخ الألمانية)"، موضحا أن لجنة مشتركة من الاتحادين القاري والدولي (فيفا) ستزور الكاميرون أيضا في أكتوبر "لدراسة المسائل الأمنية". وحدّدت اللجنة التنفيذية في بيانها موعد النسخة المقبلة من البطولة التي تقام مرة كل عامين، وستقام نسخة 2019 بين 15 يونيو و13 يوليو، وكان الاتحاد القاري قد اتخذ العام الماضي قرارا بزيادة عدد المنتخبات من 16 إلى 24، ونقل البطولة من موعدها المعتاد مطلع السنة إلى الصيف، وإقامتها تاليا بعد نهاية البطولات الوطنية لا سيما في أوروبا.

ومن المقرر أن تستضيف الكاميرون النسخة المقبلة من البطولة، إلا أن تصريحات العديد من مسؤولي الاتحاد القاري في الأشهر الماضية، لا سيما رئيسه أحمد أحمد، أتت متفاوتة بشأن جاهزية البلاد خاصة على مستوى البنى التحتية.

وفي مقابلة مع صحيفة "لوموند" الفرنسية نشرت الجمعة، قال أحمد "الاتحاد الأفريقي لكرة القدم لن يدلي بأي تصريح حول القرار قبل الانتخابات الرئاسية الكاميرونية في السابع من أكتوبر".

وتردد في التقارير الصحافية خلال الأشهر الماضية، أن المغرب سيكون الأوفر حظا لاستضافة البطولة في حال سحبها من الكاميرون، علما وأن المملكة كان من المقرر أن تستضيف نسخة 2015، قبل أن تعتذر عن ذلك في ظل مخاوف من انتشار فيروس "إيبولا".

المغرب على الخط

ممثلة مصرية تختار إطلالة لمهرجان الجونة من القمامة

اتخذت فنانة مصرية شابة من حضورها بمهرجان الجونة السينمائي، الذي اختتمت دورته الثانية الجمعة الماضي، فرصة للظهور بإطلالة فريدة صمّمت من مخلفات الأكياس البلاستيكية حتى تلفت الانتباه لضرورة التعامل مع النفايات البلاستكية والمحافظة على البيئة.

إطلالات بأذواق متنوعة

❏ **الجونة (مصر)** – لفتت الممثلة المصرية الشابة سارة عبدالرحمن أنظار الجمهور على هامش الدورة الثانية لمهرجان الجونة السينمائي على ساحل البحر الأحمر، بارتدائها ملابس مصنوعة من النفايات.

وحاولت الفنانة المعروفة بعشقها للأزياء والملابس، علما وأنها عملت لفترة كعارضة أزياء، الاستفادة من حضورها في المهرجان لتنفرد بتصاميم من الأكياس البلاستيكية التي أعيد تدويرها، تدعو من خلالها إلى ضرورة المحافظة على البيئة.

وبدأت عبدالرحمن مشوارها الفني من خلال فيديوهات قصيرة تقدمها عبر المواقع الاجتماعية تناقش فيها بعض الظواهر بشكل كوميدي، لذلك لجأت إلى حسابها الرسمي على فيسبوك للرد على منتقدي إطلالتها بمهرجان الجونة السينمائي، حيث نشرت صورا لها بملابسها الغريبة، مشيرة إلى أن مصر تستهلك كميات هائلة من الأكياس البلاستيكية في السنة.

ودوّنت على حسابها تعليقا مع الصور كتبت فيه أن "مصر تنتج 12 مليار كيس بلاستيك في السنة"، موضحة أن "نسبة من 1 إلى 5 بالمئة فقط من هذا العدد الضخم تتم إعادة تدويرها"، مشيرة إلى أن الباقي "يترك لمدة طويلة ملقى في مصب للنفايات ونظرا لتعرضه المستمر لأشعة الشمس فإنه ينتج مادة سامة اسمها (الميثان)، وهي مادة تسبب الكثير من الأضرار للإنسان وتساهم في نشر الأمراض أو تستقر هذه المخلفات البلاستيكية في قاع البحر أو في الصحراء، وهو ما يهدد الثروة الحيوانية برّا وبحرا".

وقدمت أمثلة قائلة "في مدينة الغردقة مثلا الشعب المرجانية تندثر بسبب الأكياس البلاستيكية، فتجمع هذه النفايات وتكدسها يعتبران أمرا كارثيا، لذلك نحتاج لأن نعرف عنها أكثر حتى نتمكن من التعامل معها".

وأضافت "أعلم أن هذه المسألة لا يمكن القضاء عليها بين يوم وليلة، لكن هذا لا يعني ألا نحاول التعامل معها بطرق مثلى".

وأكدت أنها "سعيدة جدا بأن توضح أن إطلالتها في المهرجان صمّمت من حولي 30 كيسا بلاستيكيا أعيد تدويرها".

وعرفت الفنانة للجمهور من خلال دورها في مسلسل "سابع جار" وكان أول أدوارها السينمائية في فيلم "ألف مبروك".

ظهور مختلف يحمل رسالة

صباح العرب

عدلي صادق

في حضرة الأغنيات

❏ تُضجرني السياقة لمسافات طويلة في الشتاء، ويُضجرني أكثر أثناءها هطول المطر بغزارة. الهاتف الذكي، الموصول بشبكة العنكبوت، يتيح لمن يريد مغالبة الضجر، أن يستمع إلى ما يشاء. وإذ لا شغف لديّ بالأغنيات الجديدة؛ تراني أفتش عن القديم العاطفي الذي يفتح بابا لمساءلة النفس واستعادة مشاعر تشكلت منذ أيام الاستماع الأول لكل أغنية. يبدأ التأمل ذو الخاصية الوَرَعية، ويتداعى التعقب لخيوط الحياة.

مع بساطة الكلمات، التي تشفع لها أصوات عذبة تصدح بها، فإن حكايات الأغنيات القديمة وسردياتها، مهذبة وأقل جنسانية بكثير، من بعض العظات الدينية. يقتصر دورانها على فرضيات الحب والشوق، الهجر والشجن، خيبة الأمل أو ومضات الفرح الاحتفالي. وكل هذه مستقاة، في أصولها الأولى، عن طبائع المجتمع وافتتانه بالجمال اللافت، دون الذهاب مع الهوى إلى المذموم!

يختلف سماع الأغنيات القديمة، عن سماع جديد الأغنيات عبر شرائطها المصورة. وبالمجمل، ليس صحيحا ما يزعمه الفقه الظلامي، حين يقول إن الاستماع إلى الموسيقى يجر إلى المعاصي، أو أن المستمع يشتري لهو الحديث، وأن أصوات المزمار والربابة والعود والكمان، تصد عن سبيل الله. فما يصدُّ عن سبيل الله، ومن يطرد الإنسان من حومة البشرية، هو الإدمان على صرير السكين التي تذبح بريئا، وتُحيل الأنثى إلى محض فرج أو ضلع، إن حاول الذكر تقويمه سيكسره، وإن استمتع به، فإنه يفعل ذلك وفي الضلع عِوَجْ، وغير ذلك من الأوصاف المرعبة!

لا حديث صحيحا عن تحريم الغناء، وأقصى الصحيح الذي قيل فيه، أن حَسَنَهُ حسن، وقبيحه قبيح. وفي الواقع لا قبيح في الأغنيات العاطفية. إنها تثير الشجن ولا تثير الغرائز. لكن الهاجس الجنسي الذي يجعل أصحابه يرون في كل شيء مقاربة مضاجعة، لا يزال يستأثر على عقولهم ويؤثر على نظرتهم للقضايا المصيرية!

يتميّز معظم الغناء العربي، بالنبرات الحزينة، وهذه ظاهرة تولى باحثون ألمان تقصي أسبابها، من خلال تحليل الشعور الذي يدفع إلى اختيارها، فوجدوا أن الطرب الحزين، يستحث مجموعة واسعة من المشاعر الإيجابية، كالحنين والسكينة والهدوء، ورقة الإحساس، والإحساس بالثقة والميل إلى التساؤل. وذهبوا إلى أن الموسيقى الحزينة، ليست جميلة ومسلّية وحسب، وإنما تلعب أيضا دورا في جلب السعادة والراحة النفسية، إذ تنظم صيرورات المزاج والعواطف السلبية!

على امتداد الطريق الطويلة، ومع هطول الأمطار، رافقتني الأغنيات الحزينة، التي فعلت فعلها المضاد، تذكيرا بالزمن الجميل، واستدعاء لوجوه رافقت أيامنا ثم رحلت عن الدنيا أو غابت عن النظر!

بينيلوبي كروز تحصد الأوسكار بفضل واينستين

❏ **لوس أنجلس** – فازت بينيلوبي كروز بجائزة أوسكار عن دورها في فيلم أنتجه هارفي واينستين وبعد سنة على انكشاف فضيحة التحرش الجنسي التي طالت المنتج، تؤكد الممثلة الإسبانية أنها لم تتعرض شخصيا لتحرش منه وكانت تجهل التصرفات البادرة عنه.

وكانت بينيلوبي كروز قالت بعد تسلمها جائزة أوسكار أفضل ممثلة في دور ثانوي عن فيلم "فيكي كريستينا برشلونة" العام 2009 "شكرا هارفي واينستين". والفيلم من إخراج وودي آلن الذي يتعرض بدوره لسهام حركة "أنا أيضا" المناهضة للتحرش الجنسي.

واتهمت نحو مئة امرأة واينستين بانتهاكات جنسية مختلفة، وهو ينفي أن يكون قد بدرت عنه تصرفات تصنف على أنها تحرش جنسي إلا أن القضاء وجه إليه تهمة الاغتصاب. وقد أفلست شركته بعد الفضيحة التي انكشفت في الخامس من أكتوبر الماضي.

وأكدت كروز "التعامل مع هارفي كان صعبا. جميعنا يعرف ذلك. لقد جرت بيننا مناقشات مهنية حامية لكني عدا ذلك، لم أجد نفسي في أوضاع مختلفة معه".

وقائمة النجمات اللواتي يتهمن واينستين بالتحرش والانتهاك الجنسيين طويلة، من أنجلينا جولي وغوينيث بالترو إلى روز ماكغاون وليا سيدو وروزانا أركيت. وتصفه سلمى حايك صديقة بينيلوبي كروز بأنه "وحش" وتتهمه بأنه تحرش بها جنسيا وهددها باستخدام العنف لأنها كانت تصد محاولاته.

وأكدت الممثلة الإسبانية (44 عاما) أنها ذهلت عندما قرأت شهادة "شقيقتها" سلمى حايك في صحيفة "نيويورك تايمز" في ديسمبر الماضي.

وأوضحت كروز أنها شعرت "بالاستغراب والحزن العميق" عندما قرأت أول الاتهامات. وأكدت أن واينستين لطالما أبدى لها "كل الاحترام" ولم تشهد "يوما على سلوك كهذا" من جانبه.

إلا أن كروز وهي من الممثلات المفضلات لدى المخرج الإسباني بيدرو ألمودوفار تعرب عن تضامنها مع ضحايا التحرش إن من جانب واينستين أو آخرين، مشددة على أن هذه الظاهرة تتجاوز بكثير أوساط السينما.

وأكدت "أظن أنه ينبغي علي أن أتحدث أيضا باسم النساء اللواتي لا يقمن بعمل علني. عاملات التنظيف أو المدرسات والطبيبات والمحاميات والنساء اللواتي لا يحصلن على فرصة رواية قصتهن".

وتابعت "لا يمكننا القول إن كل شيء وجَد حلاً. لكن ما تم الكشف عنه هائل جدا ويشكل بداية التغيير"، متوقعة "نضالا طويل الأمد".

وتشدد على أن "هذا ليس نزاعا بين النساء والرجال. ينبغي أن يكافح الرجال والنساء جنبا إلى جنب للحصول على المساواة".

اكتشاف نوع جديد من عصفور الطنان

❏ **كيتو** – تم اكتشاف نوع جديد من عصفور الطنان في الإكوادور التي تضم أكثر من 40 بالمئة من أنواع هذه الطيور المتواجدة فقط في القارة الأميركية.

والعصفور الصغير البالغ حجمه 11 سنتيمترا فقط يتمتع عند مستوى العنق بلون أزرق كثيف فيما بطنه أبيض مع خطين أسودين ورأس أخضر زمردي.

ويعيش هذا العصفور على ارتفاع ثلاثة آلاف إلى 3700 متر. ويقع موطنه الطبيعي في هضبة بين مقاطعتي لوخا وإل أورو عند الحدود مع البيرو.

لص ألماني يسرق مالا ثم يعيده ويختفي

❏ **برلين** – تبحث الشرطة الألمانية عن لص سرق المئات من اليوروهات من محطة بنزين قبل أن يعيدها بعد ساعتين.

وذكرت الشرطة أن سارقا مثلما دخل إلى المحطة في بلدة غريسهايم بغرب ألمانيا الجمعة الماضي وطالب بملء حقيبة بلاستيكية بالمال ثم اختفى.

وبدأت الشرطة عملية البحث عن السارق، لكنها لم تكتشف عودته إلى المحطة بعد ساعتين وقيامه بإلقاء كيس النقود أمام الباب قبل أن يختفي مرة أخرى. وقالت الشرطة إنه حتى الآن ليس لديها الدافع وراء قيام الرجل بسرقة المال.

أطباء يبتكرون كرسيا متحركا لإنقاذ سلحفاة

❏ **واشنطن** – نجح أطباء أميركيون في إنقاذ سلحفاة بطريقة فريدة ومثيرة، تمثلت في صنع كرسي متحرك لها.

وقد عثر على السلحفاة في حديقة برية محلية في الولايات المتحدة، وهي تعاني من كسور متعددة في قعر القوقعة، وتم نقلها إلى مستشفى حديقة حيوانات ماريلند لتلقي العلاج. وثبت الأطباء البيطريون ألواحا معدنية وأسلاكا جراحية ومشابك خياطة من أجل تدعيم الأجزاء المكسورة بما يسمح بالتئامها، لكن التحدي أمام الأطباء كان عدم ملامسة قاع القوقعة للأرض.

ومن أجل منع احتكاك الجزء السفلي المكسور من القوقعة بالأرض، طلب الأطباء من أحد عشاق الليغو تطوير كرسي صغير متحرك يحمل السلحفاة ويساعدها على الحركة من دون ملامسة الأرض.

وبحسب موقع سكاي نيوز، تمكنت السلحفاة من استخدام الكرسي المتحرك متعدد الألوان والمصنوع من الليغو، بعد أسابيع قليلة من جبر كسورها، ويتكون من أربع عجلات ويرتبط بالقوقعة بمعجون لاصق.

ويسمح الكرسي المتحرك للسلحفاة بالتنقل أثناء تماثلها للشفاء، كما يساعدها على ممارسة سلوكياتها الطبيعية.